العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2015/09/13 – الموافق لـ 29 ذوالقعدة 1436

السنة 38 العدد 10037

Sunday 13/09/2015

38th Year, Issue 10037

العرب الثقافي

حسيبة عبد الرحمن: العريس

محمود شقير: مطر غزير على قباب القدس

سناء ناصر: بهذا تحدثني رأسي: لا تتنكري للخطيئة

حسام هلالي: جوني المشاء يتسكع في الخرطوم

أمير العمري: دراما المسكوت عنه في السينما الإسرائيلية

نوري الجراح: في وصف ما يحدث في أرض العرب

ص11 إلى 16

وجوه

الشيخ علي جمعة

ص 7 المثير للجدل بفتاواه وآرائه السياسية

إنعام الجندي

ص 8 العروبي التائه في خراب المدائن

جرجي زيدان

ص 9 مأزق المؤرخ في رواية الحدث الذي يقع الآن

الجيلالي الغرباوي

ص 10 الفنان الذي اخترع الحداثة الفنية في المغرب

توتر في الصخيرات بسبب تمسك إخوان ليبيا بتنحية حفتر

● وفد البرلمان الشرعي يرفض أي تعديل يمس من جوهر الاتفاق السابق

مجموعة من الحجاج، داخل الحرم المكي، مجتمعين أمام الرافعة التي تسبب سقوطها، بسبب الرياح القوية، يوم الجمعة، في مقتل 107 أشخاص وجرح العشرات

❑ **الصخيرات (المغرب)** – قالت مصادر من فريق البرلمان الليبي المعترف به دوليا إن توترا كبيرا ساد المفاوضات بسبب شروط المؤتمر الوطني المنتهية ولايته المرتبط بجماعة إخوان ليبيا، ومن بين هذه الشروط المطالبة بتنحي القائد العام للقوات المسلحة الليبية الفريق خليفة حفتر، وتعويضه بآخر يلقى قبولا في صفوف المؤتمر.

وأشارت إلى أن وفد البرلمان الشرعي طالب المبعوث الأممي برناردينو ليون بالضغط على وفد المؤتمر حتى تكون مقترحاته متماشية مع ما تمّ الاتفاق عليه سابقا، وأن لا يدخل الحوار في متاهة المقترحات المتناقضة، لكن ليون لم يبد حزما تجاه مناورات المؤتمر وكأن هدفه هو إرضاء ممثلي إخوان ليبيا وضمان مشاركتهم في الحكومة.

ولم تقف مناورات الإخوان عند المطالبة بتنحي الفريق حفتر، بل هم يضغطون للدفع نحو اختيار رئيس الحكومة من خارج قائمة الاثني عشر مرشحا الذين قدمهم البرلمان للمبعوث الأممي.

ويريد المفاوضون الإخوان أن يتولى المؤتمر المنتهية ولايته والبرلمان الشرعي المصادقة على ما سيتم الاتفاق عليه في جولة الصخيرات الحالية، وهو أمر يتعارض مع المسودة التي تبناها البرلمان الشرعي وقبل بها ليون والتي تجعل البرلمان هو الجهة الشرعية الوحيدة التي تتولى المصادقة على نص الاتفاق النهائي.

وقال يونس فنوش، عضو البرلمان، إن التسريبات حول ما يدور في كواليس الحوار لا توحي بأيّ خير.

وأشار في كلمة على حسابه على فيسبوك إلى أن هناك محاولات مستميتة من بقايا المؤتمر بالتواطؤ مع ليون، لإدخال تعديلات مهمة وخطرة على المسودة الرابعة (المعدلة) المعتمدة من مجلس النواب، وهذا مرفوض تماما.

وحث فنوش رئيس مجلس النواب صالح عقيلة قويدر على مصارحة ليون بأن أمامه خيارين، إما الحفاظ على ثوابت المجلس ومنها أن المسودة لم تعد قابلة لأيّ تعديل أو تحوير، أو إعلان فشل الحوار، وانطلاق مجلس النواب في بحث خياراته البديلة.

ويرفض قادة البرلمان مناقشة أيّ مقترح من خارج المسودة الرابعة، أو تقديم تعديلات للملاحق المكملة لها تكون متعارضة معها.

وسبق أن طلب رئيس مجلس النواب من ليون تعهدات مكتوبة وملزمة، أبرزها أن يكون رئيس الحكومة ونائبه الأول من الشخصيات المرشحة من قبل المجلس، وأن تظل كل القرارات الصادرة عن المجلس غير قابلة للتعديل وأن تبقى مرجعية للاتفاق السياسي.

ورفض أبو بكر بعيرة، وهو عضو في مجلس النواب وأحد المرشحين لرئاسة الحكومة، إقصاء قيادات الجيش وبينها الفريق خليفة حفتر، والسعي إلى استبدال قيادات أمنية وطنية بأخرى قد يكون بعضها على علاقة بالميليشيات المسلحة.

وأفاد أشرف الشح، المستشار الأول لفريق الحوار عن المؤتمر المنتهية ولايته أن مناقشة حكومة وحدة وطنية مرهون بتلبية مطالب المؤتمر، وإدخال تعديلاته على الاتفاق السياسي بين الأطراف الليبية، وهو ما يعني أن المبعوث الأممي قبل بفتح أبواب التنازلات لترضية إخوان ليبيا المدعومين من تركيا.

وحذر محللون من أن حرص المبعوث الأممي على إنهاء الحوار قبل يوم 20 سبتمبر الحالي قد يفرض على الليبيين اتفاقا على تقاسم السلطة وليس اتفاقا لحل الأزمة المستمرة منذ أربع سنوات، وأن ذلك قد يكون سببا في استمرار الحرب تحت مسوغ جديد ليس أكثر، هو المسوغ الأممي.

وقال المبعوث الأممي في تصريح ليلة الجمعة "لدينا أمل في أن تكون الأطراف مدركة أن تاريخ 20 سبتمبر ثابت وأن يكون هناك حس من المسؤولية والليونة حتى يضع كل طرف صالح ليبيا والشعب نصب عينيه".

وأشار المحللون إلى أن رغبة أوروبا في وجود حكومة وفاق وطني في ليبيا لا يمكن أن تبرر قبول ليون بالضغوط الإخوانية وخاصة ما تعلق بتنحية القيادات الأمنية والعسكرية التي حققت نجاحات هامة في مواجهة الميليشيات خاصة في بنغازي ودرنة حيث يتمركز داعش وتنظيمات متشددة أخرى.

وواضح أن جلسات الحوار تتجه إلى إدماج الفريقين المتخاصمين في الحكومة مع الحفاظ على مصالح كل منهما في السيطرة على مواقع نفوذه، وهو خيار وصفه مراقبون بالملغّم وأنه يقود إلى تقسيم فعلي لليبيا، ويضفي شرعية على محاولة ميليشيا فجر ليبيا وواجهتها السياسية المؤتمر المنتهية ولايته مستقبلا الانفصال عن الحكومة وتكوين حكومة جديدة خاصة بهما.

وقد يجد البرلمان المعترف به دوليا نفسه مجبرا على الالتجاء إلى بدائل أخرى لمنع تقسيم البلاد إلى حكومتين وجيشين، وهو خيار سبق أن انفردت "العرب" في عدد سابق بكشفه.

وكشفت مصدر سياسي خاص عن أن البرلمان وقبائل المنطقة الشرقية قاما بإجراء مصالحة لحل الخلافات بين اللواء حفتر قائد الجيش ووزير الدفاع مسعود أرحومة وقادة المحاور العسكرية في بنغازي، وتم اتخاذ قرار بتشكيل قوة عسكرية جديدة لتحرير بنغازي في أسرع وقت ممكن لاستباق هذه التطورات.

وأفاد المصدر أنه تم عقد لقاءين في مدينة الأبيار والبيضاء حضرهما وزير الدفاع والفريق خليفة حفتر وكبار الضباط وأعيان القبائل في المنطقة الشرقية، لافتا إلى أنه تم الاتفاق على إعادة تهيئة الجيش وتشكيل مجلس عسكري يتولى السلطة مؤقتا في حال فشل المفاوضات الجارية حاليا في جنيف.

غياب خير سفير لليمن

خيرالله خيرالله

ص 5

تحرك عسكري روسي لمنع سقوط اللاذقية

❑ **دمشق** - ذكرت وسائل إعلام رسمية في سوريا أن طائرتين روسيتين تحملان 80 طنا من المساعدات الإنسانية وصلتا أمس إلى مطار بمدينة اللاذقية.

يأتي هذا في ظل توسع دائرة الشكوك حول الدور الذي تلعبه روسيا في سوريا، وخاصة تركيز المساعدات على مدينة اللاذقية التي ترشحها تحاليل لأن تكون العاصمة البديلة للرئيس السوري بشار الأسد في حالة سقطت دمشق واضطر إلى اعتماد الخطة (ب)، أي قيام دولة علوية على الساحل.

وتعمل موسكو ما في وسعها لمنع سقوط اللاذقية ذات الغالبية العلوية خاصة أنها أصبحت في مرمى صواريخ المعارضة.

وسرت أخبار وتصريحات كثيرة عن تكثيف الوجود الروسي في سوريا، خاصة بعد أن اعترف وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بأن المساعدات الإنسانية تكون مقرونة في العادة بمساعدات عسكرية من الكرملين لنظام الأسد.

جاء هذا في وقت قال فيه مسؤولان أميركيان إن واشنطن تعتقد أن حوالي 200 من قوات مشاة البحرية الروسية الآن يتمركزون في مطار قرب مدينة اللاذقية السورية أحد معاقل الأسد.

وقال المسؤولان لرويترز إن عدد القوات الروسية زاد في الأيام القليلة الماضية، وأشار أحد المسؤولين إلى أن معظم القوات الروسية تعمل في إعداد المطار لاستخدامه في المستقبل.

ونفت سوريا عددا من التقارير التي ذكرتها وسائل الإعلام ومصادر مخابراتية في الأيام القليلة الماضية بأن حليفتها موسكو تزيد وجودها العسكري ودعمها للبلاد.

وقالت روسيا إنها ترسل أسلحة إلى سوريا لمساعدة الحكومة على قتال تنظيم الدولة الإسلامية وترسل أيضا خبراء لتدريب الجيش السوري على استخدامها.

وأكد لافروف أن بلاده ستواصل تزويد الأسد بالأسلحة والمعدات الضرورية لمكافحة الإرهاب، وأن مهمة الخبراء الروس تتمثل في تدريب العسكريين السوريين على استخدام المعدات الروسية .

وزودت موسكو نظام الأسد بطائرات تدريب حربية، عمد النظام إلى تعديلها للاستخدام لمهمات هجومية، بحسب ما أكدته وكالة "آكي" الإيطالية نقلاً عن مصادر سورية مطلعة.

وأضافت الوكالة أن هذه الطائرات باتت قادرة على حمل صواريخ وقنابل ثقيلة الوزن، مشيرة إلى أن هذه الطريقة تُجنّب روسيا مشاكل تزويد النظام بطائرات هجومية مثل "الميغ".

واعتبر الرئيس الأميركي باراك أوباما أن زيادة التدخل العسكري الروسي في سوريا مؤشر على قلق الأسد ولجوئه للمستشارين الروس لمساعدته.

اليساري الراديكالي كوربن رئيسا لحزب العمال البريطاني

● كوربن يتمسك بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي والاعتذار للعراقيين، ويرفض الحرب على داعش

❑ **لندن** – بعد جدل كبير رافق انتخابات حزب العمال البريطاني الذي يبحث عن منافذ جديدة تعيده للواجهة، حسم اليساري الراديكالي جيريمي كوربن السجال بفوزه بأريحية لتولي رئاسة الحزب العريق؛ في خطوة سيكون لها أثر كبير في عديد الملفات الحساسة مثل العلاقة مع الاتحاد الأوروبي والمشاركة في الحرب ضدّ تنظيم داعش.

وفاز كوربن، المعجب بآراء ماركس، والذي حصل على 95 بالمئة من الأصوات في الجولة الأولى، بفارق كبير عن منافسيه الثلاثة، وهم الوزيران السابقان من حزب العمال إيفيت كوبر وآندي برنام، وليز كندال ممثلة للسياسات التي يؤيدها رئيس الوزراء السابق توني بلير، والذي تتعارض سياسته الخارجية مع كوربن.

وسيتعين على القائد الجديد النهوض بالحزب بعد خسارته المدوية في الانتخابات التشريعية في السابع من مايو الماضي أمام المحافظين بزعامة رئيس الوزراء ديفيد كاميرون. كما يتعين على خليفة إيد ميليباند، أيضا أن يقود الحزب حتى الانتخابات التشريعية المقبلة في 2020، ويعمل من أجل إنهاء حقبة عشر سنوات من حكم المحافظين.

وتنتظر الرئيس الجديد لحزب العمال مهمة أخرى لا تقل أهمية وصعوبة عن سابقاتها وتتعلق بالعمل على رفع الخلافات الداخلية التي أصبحت مكشوفة بين قيادات حزبية؛ إذ تؤكد التقارير أن الحزب قد دخل في أزمة داخلية كبيرة منذ انتخابات مايو.

وسجلت في الفترة الأخيرة خلافات عميقة وعلنية بين قيادات حزب العمال حول الكثير من القضايا الجوهرية على رأسها تقليص العجز في الميزانية عبر استقطاع مليارات الجنيهات من برامج الرعاية الاجتماعية.

ومن مقترحات كوربن المثيرة للجدل أن تغادر بريطانيا الاتحاد الأوروبي. وهذا الطرح سيربك عمل كاميرون الذي سيبدأ قريبا حملة من أجل بقاء بريطانيا في الاتحاد الأوروبي تحضيرا للاستفتاء الذي سينظم نهاية 2017. ويتوقع المحللون أن يحدث هذا الخيار انقسامات أخرى داخل الحزب المعروف بتأييده الكبير للاتحاد الأوروبي.

ويرجح المتابعون أن يشكل كوربن ورقة ضغط على رئيس الوزراء فيما يتعلق بشن ضربات ضد داعش في سوريا، حيث صرح غداة إعلان كاميرون عن نجاح أول غارة شنتها طائرة بريطانية دون طيار في مقتل ثلاثة جهاديين في سوريا، قائلا "لست مقتنعا أن الغارات على سوريا ستعطي نتيجة غير مقتل المدنيين هناك".

وكان جيريمي كوربن قال في مقابلة صحفية خلال حملته الانتخابية أنه سيقدم اعتذارات عن الحرب في العراق في حال تم انتخابه رئيسا للحزب.

واضاف أنه قد حان الوقت ليقدم حزب العمال اعتذاراته للشعب البريطاني لجره إلى الحرب في العراق على أساس كذبة، وإلى الشعب العراقي عن المعاناة التي ساهمت بريطانيا بالتسبب فيها.

11 سبتمبر: إنصاف بوش وهيغل

أحمد عدنان

ص 5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

سياسات الحكومة المرتبكة تضع السلم الاجتماعي في الجزائر على المحك

خبراء يحذرون: الوضع مهدد بالانفجار وعلى سلال القطع مع الحلول الترقيعية

تواجه حكومة عبدالمالك سلال مطلع العام القادم اختبارا صعبا في مواجهة الشارع الجزائري، بالجهر بالقطع نهائيا مع سياسة شراء السلم الاجتماعي، عبر الإعلان عن حزمة جديدة من الضرائب وبداية الانسحاب التدريجي للخزينة الدولة عن دعم المواد الاستهلاكية.

صابر بليدي

□ **الجزائر**– تتجه الحكومة الجزائرية لاتخاذ جملة من الإجراءات الضريبية، ستنعكس بصورة مباشرة على المواطن الجزائري، الأمر الذي يهدد السلم الاجتماعي في هذا البلد.

وتشهد الجزائر في السنوات الأخيرة حالة احتقان شعبي جراء سوء إدارة حكومة سلال للملفين الاقتصادي والاجتماعي وانتشار مظاهر الفساد داخل المؤسسات الحكومية، زد عليهما تهاوي أسعار النفط الذي يعتبر أحد ركائز الاقتصاد الجزائري.

وقد دفع هذا الوضع المهترئ الخبراء والمحللين إلى دق ناقوس الخطر والتحذير من مغبة استمرار هذا الوضع، لافتين إلى أن عديد المؤشرات تنبئ بإمكانية تفجّر الوضع في الجزائر الأمر الذي ستكون تداعياته وخيمة في ظل حالة الاضطرابات الأمنية والسياسية التي يعانيها عدد من دول المنطقة.

التحذيرات المتصاعدة، يبدو أنها لا تلقى آذانا صاغية من حكومة سلال، حيث كشفت الوثائق الأولية لقانون المالية للعام 2016، عن

> الحكومة وضعت حزمة من الضرائب الجديدة ستمس بصفة مباشرة جيوب الجزائريين، ما يهدد لأول مرة منذ 15 عاما الاستقرار الاجتماعي، ويضع الحكومة في مواجهة الشارع الجزائري

وضع الحكومة لحزمة من الضرائب الجديدة ستمس بصفة مباشرة جيوب الجزائريين، ما يضع لأول مرة منذ 15 عاما الاستقرار الاجتماعي على المحك، ويضع الحكومة في مواجهة الشارع الجزائري.

ورغم أن الحكومة لا زالت تتكتم أمام الجزائريين بعدم انزلاق البلاد في أتون أزمة اقتصادية، ووفرة هوامش المناورة لديها لأجل مواجهة تداعيات تهاوي أسعار النفط في الأسواق الدولية، وتقلص مداخيل البلاد من 68 مليار دولار في العام 2014 إلى 34 مليار دولار خلال العام الجاري، إلا أن التدابير التي كشفت عنها تسريبات قانون المالية للعام المقبل، تؤكد بداية سياسة التقشف وشد الحزام التي سلطت في أول تجلياتها على الفئات الاجتماعية البسيطة.

وعلاوة على تداعيات الخفض الممنهج لقيمة الدينار الجزائري منذ عدة أشهر، بدأت مؤشرات المواد الاستهلاكية المستوردة في الارتفاع، لا سيما وأن البلاد تعتمد بشكل كبير على الاستيراد لتموين السوق الداخلية، كما أن العملة المحلية فقدت حوالي 25 بالمئة أمام الدولار الأميركي و20 بالمئة أمام اليورو، فإن الضرائب الجديدة ستدفع الجزائريين إلى دفع المزيد من جيوبهم المنهكة، في مجالات الوقود والكهرباء والماء والسيارات والمواد الكمالية، مما يرشح قدرته الشرائية إلى المزيد من الانهيار.

وحسب التسريبات التي كشفت عنها وثائق قانون المالية، فإن الحكومة ستلجأ لرفع رسم القيمة المضافة من 7 بالمئة إلى 17 بالمئة، مما يرفع قيمة اللتر الواحد من الوقود بمختلف أنواعه في محطات البنزين بحوالي ثلاثة دنانير (2.5 سنت) أما اللتر الواحد من الغاز الطبيعي المسال سيسجّل ارتفاعا مضاعفا قد يصل إلى حوالي 18 دينارا (15 سنتا) في حين سيرتفع الديزل بثلاثة سنتات، كما يقر مشروع القانون زيادات في ضريبة السيارات تبدأ من 50 يورو وتصل إلى 150 يورو في حال لم تتجاوز السيارة عمر خمس سنوات، في حين يرتفع السعر ليصل إلى ما بين 25 يورو و65 يورو بالنسبة إلى السيارات التي يتجاوز عمرها 5 سنوات.

ولن يتوقف نزيف المواطن الجزائري عند هذا الحد، بل يتعداه إلى خدمات أخرى تتعلق باستهلاك الكهرباء والماء وإنترنت الجيل الثالث، والإقامة في المدن الكبرى، والسكن والعقار والنفايات، بعدما أقرّ القانون رفع رسم القيمة المضافة من 7 إلى 17 بالمئة، كلما تجاوز الاستهلاك حدا معينا قدّر في الكهرباء بـ125 كيلوواط، وهو المستوى الذي تبلغه أبسط العائلات الجزائرية.

وبحسب خبراء اقتصاديين فإن سلّة الضرائب الجديدة زيادة على كونها تشكل صدمة قوية للجزائريين، بالنظر لتداعياتها الاجتماعية والاقتصادية وحتى النفسية، فإنها ستستنزف حوالي 30 بالمئة من الرواتب التي لا تتعدى 250 يورو، وهو ما يضع مسألة الاستقرار الاجتماعي على المحك، ويجر الحكومة إلى مواجهة علنية للغضب الاجتماعي بعد سنوات من سياسة الشراء والمقايضة.

ويرى الخبير الاقتصادي ورئيس جمعية "الجزائر استشارات للتصدير"، إسماعيل لالماس في اتصال مع "العرب"، بأن ما رشح لحد الآن هو تسريبات لجس نبض الرأي العام، وقانون المالية المقبل سيكون غصة في حلق الحكومة، لأنها مجبرة للدفاع عن خيارات قاسية أمام المؤسسات والشارع والإعلام.

وأضاف: "ما تعيشه الجزائر هو نتيجة طبيعية لسياسة الريع المنتهجة منذ الاستقلال، وأهم عنصر في المعادلة هو عامل الثقة، فمن فشل في تحقيق نهضة اقتصادية لمّا كان النفط بسعر 140 دولارا للبرميل، لا يستطيع أنه يقنع الرأي العام بتحقيق هذا الهدف وسعر النفط بـ50 دولارا، وبالتالي فإن فرض هذه الضرائب على وجاهتها النظرية، يظهر عيبها في اهتزاز صدقية الجهة التي أقرتها وفي غياب التضامن والعدل في توزيع أعباء الأزمة بين الفئات البسيطة والفئات الميسورة.

وتابع "الحكومة أمام خيارات محدودة ولا مفر لها من البحث عن مصادر جديدة لتعويض خسائر الجباية البترولية التي كانت تغطي 60 بالمئة من إجمالي المداخيل الجبائية، ولذلك اتجهت إلى إطلاق تحفيزات من أجل استقطاب الكتلة النقدية السوق الموازية والمقدرة بـ3700 مليار دينار (37 مليار دولار)، لكن التخبط في التوزيع العادل للأعباء ودعم المواد ذات الاستهلاك الواسع، هو الذي سيعمق من الفوارق الطبقية ويفتح عليها أبواب الاضطرابات الاجتماعية".

وتعول الحكومة على رفع مداخيل الضرائب بـ50 بالمئة، لتصل إلى حدود 2600 مليون دينار (26 مليار دولار) من أجل تغطية تقلص مداخيل الجباية البترولية، مع إدخال آليات جديدة للتحصيل كما هو جار مع كتلة السوق الموازية، أو توسيعها لتشمل أكبر قدر من المواطنين، واتخاذ تدابير صارمة ضد المؤسسات الاقتصادية والخدماتية المخالفة للنصوص التشريعية.

سلال أمام تحديات اقتصادية واجتماعية كبيرة قد تطيح به

المعارضة التونسية تتحدى الطوارئ وتخرج إلى الشارع رفضا لقانون المصالحة

□ **تونس** – شهدت العاصمة تونس وعدد من محافظات البلاد مسيرات احتجاجية، ضد قانون المصالحة الذي طرحه الرئيس الباجي قائد السبسي.

وتوافد، السبت، المئات من المتظاهرين على شارع الحبيب بورقيبة للمشاركة في المسيرة رغم سريان قانون الطوارئ الذي يمنع التظاهر.

وشارك عدد من أحزاب المعارضة في المسيرة أبرزها الجبهة الشعبية أكبر كتلة معارضة في البرلمان إلى جانب أحزاب الجمهوري والتحالف الديمقراطي والتيار الديمقراطي والتكتل من أجل العمل والحريات وحزب المؤتمر من أجل الجمهورية.

وحتى أول أمس الجمعة كان الجدل قائما بين وزارة الداخلية والحكومة من جهة والأحزاب المعارضة من جهة ثانية بشأن الإبقاء على موعد المسيرة أو إلغائها.

وطالبت الداخلية ورئاسة الحكومة بإرجاء المسيرة إلى يوم آخر بسبب وجود تهديدات إرهابية لاستهداف أماكن حساسة وحيوية وكان الأمن قد أغلق بالفعل منذ أيام شارع الحبيب بورقيبة الرئيسي بالعاصمة أمام حركة المرور لدواعي أمنية.

وانتشرت عناصر الشرطة السبت في مداخل الشارع والأنهج المتفرعة عنه وقامت بتفتيش الوافدين عليه.

وكان مشروع قانون المصالحة الذي اقترحه الرئيس الباجي قائد السبسي في 20 مارس الماضي، والذي تمت إحالته على لجنة التشريع العام بمجلس نواب الشعب لدراسته، قد أثار ردود فعل متباينة.

ويمهد هذا القانون المثير للجدل والذي ينتظر مناقشته في البرلمان للعفو عن رجال أعمال تورطوا في فساد مالي في ظل حكم الرئيس السابق زين العابدين بن علي والسماح لهم باستئناف نشاطهم.

وقال رضا بالحاج المستشار السياسي للرئيس إن القانون سيسمح بإنعاش الاقتصاد ودفع الاستثمار والتنمية في البلاد.

وأضاف بلحاج القيادي أيضا في حزب نداء تونس الذي يقود الائتلاف الحاكم أن القانون لن يتم سحبه ولكن سيدعم النقاش حوله ومقترحات لتعديله.

وتعتبر الأحزاب المعارضة هذه الخطوة تطبيعا مع الفساد وقفزا على العدالة الانتقالية التي نص عليها الدستور.

ورفعت الأحزاب المشاركة في المسيرة شعارات مناوئة لحركة نداء تونس وحركة النهضة الإسلامية الداعمين لمشروع القانون.

وخرجت أيضا مسيرات في مدن كبرى أخرى مناهضة لمشروع القانون. ففي محافظة صفاقس، عاصمة الجنوب، خرجت مسيرة طالب فيها المحتجون بسحب القانون لأنه يخدم مجموعة من الفاسدين وأصحاب رؤوس الأموال على حد تعبير منسقة حزب المسار في الجهة بسمة أم الزين.

وفي محافظة قفصة، اعتبر النائب في مجلس النواب عن الجبهة الشعبية اليسارية عمار عمروسية أن مشروع القانون يُمثل خطوة متقدمة في الالتفاف على الثورة.

وقد دفعت التحركات الاحتجاجية اللجنة الرباعية التي تضم منظمة الأعراف والمنظمة الشغيلة والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، والهيئة الوطنية للمحامين إلى استئناف الحوار الوطني مع الحكومة حول القانون. وقال عبدالستار بن موسى، رئيس رابطة حقوق الإنسان، إنه سيتم استئناف الحوار للخروج بمقترح توافقي بديل عن مشروع قانون المصالحة.

وحركة نداء تونس قادرة على ضمان مرور القانون بصيغته الحالية، بعد أن ضمنت تأييد حزب الاتحاد الوطني الحر له، إلى جانب حصولها على دعم واضح له من راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة الإسلامية الذي أعلن أكثر من مرة تأييده له رغم المعارضة التي أبداها عدد من قياديي حركته.

ولكنّ مراقبين يرون بأن حركة نداء تونس ليست في وارد اتخاذ مثل هذه الخطوة التي ستعمق أزمتها مع باقي أطياف المعارضة، وأنها ستتجه لإجراء تعديلات على القانون تسمح لها باحتواء الحراك الاحتجاجي المتصاعد.

مئات المتظاهرين في شارع الحبيب بورقيبة رفضا للمصالحة

الأجهزة الأمنية المغربية توقع بخلية إرهابية

□ **الرباط** – تمكنت الأجهزة الأمنية المغربية من الإيقاع بخلية إرهابية، في نجاح جديد يحسب للمؤسسة الأمنية التي تمكنت على مر الأشهر الماضية من الإيقاع بعشرات الخلايا التي مثلت خطرا كبيرا على أمن المملكة.

وكشفت وزارة الداخلية المغربية، أمس السبت، عن تفكيك "خلية إرهابية" مكونة من خمسة عناصر ينشطون في عدة مدن، بينهم 3 لهم ارتباطات مع تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بداعش.

وقالت الداخلية المغربية، في بيان لها "في إطار التصدي الاستباقي للخطر الإرهابي، تمكن المكتب المركزي للأبحاث (التحقيقات) القضائية التابع للمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (المخابرات المغربية)، بناء على معلومات دقيقة، من إحباط مخطط إرهابي يستهدف المس الخطير بأمن المملكة".

وتشكل المكتب المركزي للأبحاث القضائية في مارس الماضي كهيكل أمني جديد أوكلت إليه مهمة مواجهة التحديات الأمنية الراهنة وفي مقدمتها الإرهاب، تحت سلطة جهاز مكافحة التجسس الداخلي.

ولفت بيان الداخلية، إلى أن "الخلية تتكون من 5 عناصر ينشطون في مدن بني ملال، سيدي علال البحراوي، وتينزولين (إقليم زاكورة)".

وذكر أن ثلاثة من عناصر الخلية التي يتبنى أعضاؤها ما أسماه "النهج الدموي لتنظيم ما يسمى بالدولة الإسلامية"، تمت مداهمتهم في أحد البيوت بمدينة الصويرة، حيث تم حجز 4 مسدسات أوتوماتيكية، ومسدس رشاش، و7 قنابل مسيلة للدموع، و3 عصي كهربائية، وكمية كبيرة من الذخيرة الحية، ومواد مشبوهة يحتمل استعمالها في صناعة المتفجرات، إضافة إلى أسلحة بيضاء.

وبحسب الداخلية المغربية فإن "عناصر الخلية خططوا لتنفيذ عمليات تخريبية نوعية بالمملكة، قبل التحاقهم بمعسكرات الدولة الإسلامية في المنطقة السورية العراقية"، بحسب البيان.

سياسات الحكومة المركزية تعزز النزعة الانفصالية في العراق

البصرة تخير العبادي بين الاستجابة لشروطها أو الانفصال

تهدد سياسة الهروب إلى الأمام التي تنتهجها الحكومة العراقية في التعامل مع مطالب الحراك الاحتجاجي في البصرة بعواقب وخيمة على العراق كأن تشكل بداية لتقسيمه، وذهاب وحدته.

التحركات الاحتجاجية في العراق مستمرة في ظل تباطؤ العبادي في أصلاحاته

□ **البصرة (العراق) – تتجه الأوضاع داخل محافظة البصرة جنوبي العراق نحو مزيد من التصعيد، في ظل فشل حكومة حيدر العبادي في احتواء الأزمة وإيجاد حلول جوهرية لوضع حد لتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المحافظة،**

وتعالت أصوات ممثلي الحراك الاحتجاجي في الشارع وأيضا داخل البرلمان، مطالبين بتسريع تنفيذ شروطهم أو أنهم سيضطرون إلى سلك طريق الانفصال عن الحكومة المركزية، في تطور خطير وقف عنده المحللون.

وقال أمس السبت النائب عن المحافظة، عبدالسلام المالكي، في بيان صحفي، إنّ "البصرة عانت الكثير ولم نجد من يسمع لمناشدات أبنائها، رغم كونها تمثل رئة العراق الاقتصادية، ونجد عوائلها تسكن بيوت الصفيح". وأوضح المالكي، أنّ "معاناة البصرة تتوجب الوقوف بشكل ميداني ومباشر عليها، وعلى مجلس الوزراء أن يعقد جلسته المقبلة في المحافظة، وأن تكون هنالك قرارات حقيقية تتضمن تشكيل لجان متابعة من الوزراء وبشكل ميداني دون تسويف أو تخدير للوقوف على جميع المشاكل التي تعانيها"، مطالباً بـ"منح المحافظة النسبة الكبرى من سلفة الخمسة تريليونات دينار التي أطلقت للمشاريع الاستثمارية والتجارية والزراعية".

وحذر النائب عن المحافظة، أنه "أمام الحكومة فرصة أخيرة، فالشارع يغلي والمرجعية انتبهت لهذا الخطر"، مضيفا "أمام رئيس الوزراء حيدر العبادي خياران لا ثالث لهما؛ إمّا تنفيذ مطالب المحافظة أو وضع التخصيصات المالية للاستفتاء على تشكيل إقليم البصرة".

ويقول خبراء إن تصريح المالكي بإمكانية الاتجاه إلى الانفصال عن الحكومة المركزية تحول خطير في الأزمة، معتبرين أن رئيس الوزراء الحالي يتحمل الجزء الأكبر في تردي الأوضاع بثاني أكبر مدينة في العراق.

وطرح الانفصال ليس غائبا عن الشارع في البصرة إلا أن تهديد مسؤول في المحافظة بذلك يحمل دلالات عميقة، حيث أنه في السابق تركزت الدعوات في الحصول على حكم ذاتي هناك استنادا للنموذج الكردي، وقد تم طرح الموضوع أمام البرلمان مرتين إلا أنه لم يمر.

ولكن تطورات الأمور في العراق وانتفاضة أهالي المدن الجنوبية التي تعتبرها الأحزاب الدينية مركز ثقلها، وانغماس التحالف الحاكم في خلافات داخلية على النفوذ والاقتصار على الحلول الترقيعية للمحافظة، كلها عوامل تدفع نحو إيقاظ النزعة الانفصالية.

ويرى خبراء أنه في حال تم السير في خيار الانفصال فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف الحكومة المركزية في العراق بشكل أكبر، فضلا عن ذلك فإنه سيحول البصرة إلى أرض صراعات بين الفصائل والأحزاب الدينية على السلطة، والأخطر أن ذلك يعني خضوع المحافظة كليا إلى النفوذ الإيراني.

وتعتبر طهران المستثمر الرئيسي في المحافظة، وقد كثفت في السنتين الماضيتين من استثماراتها لتشمل عدة قطاعات أهمها في النفط والعقارات. وتشهد المحافظة منذ أكثر من شهرين تحركات احتجاجية تطالب بإقالة مسؤولين، ومحاسبة متّهمين بالفساد مع إجراء إصلاحات هيكلية في المحافظة وتحسين الأوضاع الخدماتية من كهرباء ومياه، وتوسيع صلاحيات مجلس المحافظة.

وقابل العبادي هذا الحراك بإصلاحات شكلية اقتصرت على تفعيل مبدأ المحاسبة، وهي إلى اليوم لم ترق إلى التنفيذ باعتبار أن معظم المتهمين موالون لأحزاب دينية ذات نفوذ سياسي كبير في العراق. وبالتوازي مع ذلك صعّدت الحكومة من حملتها الأمنية لضرب الحراك من خلال تكثيف ملاحقتها للنشطاء ولوسائل الإعلام الداعمة له.

واتهم نشطاء مشاركون في الحراك الاحتجاجي حكومة العبادي بالسعي لاحتواء التحركات الاحتجاجية دون تحقيق أيّ خطوات حقيقية، لافتين إلا أن تفعيل المحاسبة لم يكون سوى لامتصاص غضب الجموع المحتجة، تجاه الأحزاب الدينية.

ويخشى العديد من أن سياسة الأيادي المرتعشة التي يعتمدها العبادي ومماطلته في تنفيذ مطالب الأهالي من شأنها أن تعزز النزعة الانفصالية داخل المحافظة.

ومثلما كان متوقعا لقي تهديد النائب عن محافظة البصرة عبدالسلام المالكي بالانفصال ردود فعل غاضبة من قيادات التحالف الوطني الحاكم، معتبرين أن ذلك يهدف إلى إعاقة الإصلاحات التي دعا إليها العبادي.

واتهمت قيادات التحالف مسؤولين تلاحقهم تهمة الفساد بالتسويق للانفصال للهروب من المحاسبة. هذه الاتهامات يجد فيها الكثيرون محاولة للهروب إلى الأمام ودفعا نحو مزيد التصعيد.

ومحافظة البصرة هي ثاني أكبر محافظة في العراق ويوجد بها أكثر من 3 ملايين نسمة، وتعتبر شريانه الاقتصادي، حيث تحتوي على نحو 70 بالمئة من احتياطيات البلاد النفطية التي تصل إلى 143 مليار برميل.

> صعدت الحكومة من حملتها الأمنية لضرب الحراك من خلال تكثيف ملاحقتها للنشطاء ولوسائل الإعلام الداعمة له

والبصرة هي المنفذ البحري الوحيد للعراق ومركز معظم صادراته النفطية. ورغم ما تحويه من مقدرات إلا أن متساكنيها يعانون من أوضاع مزرية على خلفية الحظر الاقتصادي الذي شهده العراق لمدة 10 سنوات، ليزداد الوضع سوءا بعد الاحتلال الأميركي، ولم تول الحكومات المتعاقبة على العراق منذ 2003 أي اهتمام بالمحافظة بل على العكس فقد استفحلت فيها مظاهر الفساد.

الرياض تفتح تحقيقا في وفاة 107 أشخاص في مكة

□ **الرياض – فتحت السلطات السعودية تحقيقا في انهيار رافعة في الحرم المكي، الأمر الذي أدى إلى مقتل 107 أشخاص على الأقل.**

وسقطت رافعة حمراء ضخمة على جزء من الحرم المكي كان غاصا بالمصلين في ذلك الوقت، وليس من الواضح إن كان القتلى سقطوا نتيجة انهيار الرافعة أو بسبب التدافع الذي أعقب الانهيار.

وقالت أندونيسيا، أكبر دولة مسلمة في العالم من حيث عدد السكان، أن اثنين من مواطنيها قتلا في الحادث فيما أعلنت كل من ماليزيا وإيران جرح عدد من مواطنيهما.

وفيما قدم قادة دول العالم تعازيهم أمر أمير منطقة مكة الأمير خالد الفيصل بفتح تحقيق في الحادث.

وفي وقت سابق اعتبر الفريق سليمان العمرو مدير عام الدفاع المدني لقناة العربية أن سوء الأحوال الجوية هو ما سبب الحادثة قائلا "الحقيقة كما تعلم أن هناك حالة مناخية مرت بها مكة المكرمة خصوصا مدينة الطائف ومكة أيضا وكانت هناك أمطار غزيرة ملازمة لهذه الحالة إلى جانب رياح شديدة كانت سرعتها غير طبيعية أدّت إلى اقتلاع بعض الأشجار واللوحات إلى جانب سقوط الرافعة وبالتالي نتج عن ذلك عدد من الوفيات والإصابات".

وأضاف "عدد الوفيات مرشح للزيادة" وتابع أن كثيرين ممن أصيبوا ومجموعهم 238 شخصا إصاباتهم طفيفة.

ويشهد الحرم المكي توسعة هي الثالثة للمسجد الحرام، والتي ستسمح بوصول الطاقة الاستيعابية إلى 1.8 مليون مصل فيما تبلغ مسطحات البناء لهذه المرحلة من التوسعة 1.4 مليون متر مربع.

وأظهرت صور نشرت على وسائل التواصل الاجتماعي جثثا مغطاة بالدماء حيث سقط الجزء الأعلى من الرافعة التي يبدو أنها التوت أو انقسمت، على المسجد المؤلف من عدة طبقات. وأظهر تسجيل عرض على يوتيوب أشخاصا يصرخون ويركضون بعيد سماع دوي كبير.

وشوهد حطام الرافعة ذات اللونين الأحمر والأبيض وقد سقطت على أرض المسجد فيما تعلو عدة رافعات أخرى في المكان.

وعادة ما يكون المسجد الحرام مكتظا يوم الجمعة.

ونقلت وكالة الأنباء السعودية عن أحمد بن محمد المنصوري المتحدث باسم المسجدين قوله إن "الرافعة سقطت في الساعة 5:10 بعد الظهر (14:10 تغ) نتيجة الرياح القوية والأمطار الغزيرة".

وشبه عرفان العلاوي، أحد مؤسسي مؤسسة بحوث التراث الاسلامي ومركزها مكة، الكارثة بانفجار قنبلة، ورأى أن السلطات قصرت بسماحها بوجود عدة رافعات على مقربة من المسجد.

والعلاوي معروف بانتقاده لأعمال تطوير المواقع المقدسة ويقول إنها تزيل الروابط الحسية بالنبي محمد.

التحالف يستبق تحرير صنعاء بغارات ممنهجة على مواقع الحوثيين بالعاصمة

□ **صنعاء – تواصل مقاتلات التحالف العربي غاراتها المكثفة على صنعاء مستهدفة مواقع عسكرية في جنوب وغرب العاصمة اليمنية، مخلفة عشرات القتلى في صفوف المسلحين الحوثيين. يأتي ذلك قبيل استئناف محادثات السلام الأسبوع المقبل برعاية الأمم المتحدة.**

وقصف طيران التحالف مخازن أسلحة وصواريخ في جبل عطان ومعسكر الحفا، ومواقع لميليشيات الحوثي و قوات موالية لصالح وتعزيزاتهم العسكرية التي يحاولون الدفع بها إلى مختلف الجبهات.

وجاءت هذه الغارات استكمالا لسلسلة عمليات سابقة شنها الطيران على مخازن الأسلحة في عدة مواقع على غرار جبل نقم ومعسكر الصيانة وقرب مبنى التلفزيون الحكومي.

واستهدفت غارات للتحالف معسكر النهدين أيضا، حيث يقع مجمع الرئاسة اليمنية في منطقة السبعين، واستهدف معسكر الحفا في جبل نقم الذي يسيطر عليه الحوثيون.

وتسبق هذه الغارات الجوية للتحالف على مواقع للحوثيين في صنعاء، العملية العسكرية الموسعة لتحرير العاصمة.

وأفادت تقارير عسكرية أن تغييرات جوهرية طرأت على خطة تحرير صنعاء، حيث سيتم العمل على ثلاثة محاور الأول يقوم على تحريك المقاومة الشعبية مدعومة بطيران التحالف من مأرب إلى صنعاء، وفي المحور الثاني السيطرة على صعدة بعد تحرير البقع، فيما يتمثل المحور الثالث في التحرك السريع من البيضاء إلى ذمار التي تبعد عن صنعاء قرابة 90 كيلومترا.

> استهدفت غارات التحالف معسكر النهدين، حيث يقع مجمع الرئاسة اليمنية في منطقة السبعين

إلى جانب تسليح الجيش الشرعي للقبائل في البيضاء بأحدث أنواع الأسلحة المتوسطة بهدف قطع الإمدادات العسكرية القادمة من صنعاء عن الحوثيين.

وفي المقابل تواصل ميليشيات الحوثي استهداف المدنيين بصواريخ الكاتيوشا والمدافع، حيث أفادت مصادر محلية في مأرب أن 35 مدنيا قتلوا وسقط عشرات الجرحى جراء قصف صاروخي عشوائي شنته ميليشيات الحوثي وصالح على أحياء سكنية ومحال تجارية ومناطق تجمعات الأسواق الشعبية وسط المدينة. وفي سياق التطورات الميدانية اكتمل وصول جثامين شهداء دولة الإمارات العربية المتحدة إلى مطار البطين في أبو ظبي بعد إتمام كافة إجراءات التعرف على هوياتهم في المملكة العربية السعودية.

وأوضحت القيادة العامة للقوات المسلحة أن عدد شهداء الإمارات الذين استشهدوا الجمعة الماضية بلغ (52) شهيدا.

وجرت المراسم العسكرية الخاصة لاستقبال الجثامين على أرض المطار، حيث كان عدد من كبار ضباط القوات المسلحة في الاستقبال.

وتعود الأزمة اليمنية إلى طاولة المفاوضات السياسية بعد أن وافق أطراف النزاع في اليمن على عقد محادثات ستكون مباشرة للمرة الأولى، بهدف خلق إطار جديد للاتفاق على آليات تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي 2216، ووقف إطلاق النار واستئناف عملية الانتقال السياسي السلمي، وفقا لمبادرة مجلس التعاون الخليجي وآلية التنفيذ ونتائج مؤتمر الحوار الوطني.

ويأتي هذا التطور بعد أشهر من فشل الجولة الأولى من المفاوضات التي عقدت في جنيف في شهر يونيو الماضي، قبل أن ينتقل إسماعيل ولد الشيخ أحمد المبعوث الأممي إلى إدارة مفاوضات منفصلة مع جميع الأطراف. حيث تنقّل طوال الفترة الماضية بين العاصمة العمانية مسقط ،حيث كان يتواجد وفد من الحوثيين وحزب المؤتمر الشعبي العام بزعامة الرئيس المخلوع علي عبدالله صالح، وبين العاصمة السعودية الرياض، حيث يتواجد الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي وباقي المسؤولين.

التحالف العربي يصعد ضد الحوثيين في صنعاء

ويقر المتابعون أن العودة إلى المفاوضات تأتي بعد التغييرات العسكرية الميدانية التي باتت تتجه لصالح الشرعية اليمنية وقوات التحالف العربي لا سيما بعد تحرير معظم المحافظات الجنوبية، وقرب انطلاق آخر عملية عسكرية لتحرير صنعاء، وما تبقى من معاقل ميليشيات الحوثيين.

ويتضمن برنامج المحادثات ضمانة عملية لعودة مؤقتة للحكومة الحالية إلى صنعاء لمدة ستين يوما، يتم خلالها تشكيل حكومة وحدة وطنية مصغرة. كما تنص على انسحاب الحوثيين من المدن فيما يتولى قادة المناطق العسكرية الست تنظيم عملية الانسحاب وملء الفراغ.

ويعتقد المراقبون الدوليون أن فترة انتقالية قصيرة قد تبدأ في اليمن وتحتاج لتشكيل ثلاثة مجالس، الأول مجلس أمن ودفاع يتألف من قادة المناطق العسكرية الست الذين عينهم هادي إلى جانب اثنين آخرين يضافان إلى المجلس. هذا ويتولى رئيس الوزراء أو نائب رئيس الجمهورية رئاسة مجلس الدفاع والأمن، على أن يتم سريعا اختيار رئيس وزراء جديد بديلا لخالد بحاح الذي ينتمي إلى الجزء الشمالي من اليمن.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

ترقب اقتصادي وسياسي وارتياح شعبي باستقالة الحكومة المصرية

شبهات فساد تطيح بإبراهيم محلب ووزراءه

حمل الإعلان المفاجئ عن استقالة رئيس الوزراء إبراهيم محلب، وتكليف الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي وزير البترول اسماعيل شريف، بتشكيل الحكومة الجديدة، عديد التساؤلات حول أسباب هذا القرار المفاجئ، الذي أتي قبل خمسة أسابيع عن إجراء الانتخابات البرلمانية، ومدى علاقته بالجملة ضدّ الفساد التي انطلقت بتوقيف وزير الزراعة المتهم في قضية فساد كبيرة.

السيسي لمحلب: «وعدتني أن تكون بلدوزر يفتح الطريق.. هو فين البلدوزر ده»

القاهرة – كشف مصدر سياسي مصري لـ"العرب" أن استقالة حكومة المهندس إبراهيم محلب المفاجئة نسبيا، تعد خطوة ثانية من الرئيس عبدالفتاح السياسي ضمن حملته على الفساد التي بدأت الأسبوع الماضي بالقبض على وزير الزراعة صلاح هلال.

وقال المصدر إن استقالة محلب جاءت بناء على طلب مفاجئ من السيسي خلال اجتماعهما المجدول صباح أمس، لعرض تقرير رئيس الوزراء عن زيارته الأخيرة لتونس، مفصحا أن الاستقالة من شأنها تخفيف الضغوط السياسية والاجتماعية على الرئيس المصري، ونقلها إلى عاتق محلب الذي طالته، وعددا من وزرائه، العديد من الاتهامات والشبهات بالفساد، تصاعدت وتيرتها خلال الأيام القليلة الماضية.

وأضاف المصدر أن سكوت الرئيس المصري عليها، ربما يؤدي إلى انعكاسات سلبية على الخطوات الإيجابية التي اتخذها، حيث حقق إنجازات كثيرة ملموسة على مستوى السياسة الخارجية لمصر، لا تقارن بالأداء الداخلي المتعثر للحكومة المستقيلة.

وفي وقت سادت فيه تكهنات وتخمينات مختلفة حول أسباب اختيار شريف إسماعيل، وزير البترول، في الحكومة المستقيلة لرئاسة الوزراء، وجدوى التغيير قبيل انتخابات البرلمان، أكد مراقبون أن الأداء الاقتصادي المخيب للحكومة المستقيلة أدى إلى تعطيل مشروعات كبيرة، كان يعول عليها النظام لإحداث حراك كبير، فضلا عن تزايد شبهات الفساد، والتي طالت عددا من الوزراء والمسؤولين. وهذه كلها عوامل وقفت خلف الرحيل الدرامي للحكومة بكاملها، في وقت كانت التوقعات تقتصر فيه على تغيير عدد محدود من الوزراء، سواء الذين أثبتوا فشلا في أدائهم، أو ممن حامت حولهم شبهات فساد.

وأوضح مصدر اقتصادي مسؤول لـ"العرب" أن تكليف إسماعيل استند على جملة من المبررات، أهمها نجاحه اللافت في تحقيق إنجازات عدة في حدود وزارته (البترول)، آخرها اكتشاف حقل الغاز الجديد "شروق" في البحر المتوسط، ونزاهته المشهود لها، فضلا عن قدرته الواضحة على ضبط تصريحاته بما لا يجعله هدفا للحملات الإعلامية.

وكانت الأوساط الاقتصادية بمصر تلقت نبأ تغيير الحكومة بحالة من الارتياح، بعد تصاعد المشكلات خلال الفترة الماضية على أصعدة مختلفة. وقد تسبب الأداء المخيب لوزراء المجموعة الاقتصادية في تعطيل العديد من المشروعات الاقتصادية والتنموية، التي كان الرئيس المصري أعلن عنها بنفسه، سواء أثناء انعقاد مؤتمر شرم الشيخ الاقتصادي أو في الشهور التي تلت توليه منصبه، مثل مشروع المليون وحدة سكنية، والعاصمة الإدارية الجديدة، ومشروع المليون ونصف المليون فدان الزراعي، وغيرها.

قضية قصور الرئاسة

جاء الإعلان على استقالة حكومة ابراهيم محلب، بعد أيام قليلة، من زيارة رئيس الوزراء المستقيل إلى تونس، والتي تعرّض خلالها لموقف محرج حين سأله صحفي تونسي، خلال مؤتمر مشترك مع رئيس الوزراء التونسي، بشأن التهم المنسوبة إليه في قضية "قصور الرئاسة"؛ وكان ردّ محلب أن انسحب من المؤتمر مباشرة بعد السؤال دون أيّ ردّ.

وعلى خلفية هذا الموقف، لم يستبعد مراقبون أن تكون استقالة حكومة محلب نتيجتها الأزمة التي تلت انسحابه من المؤتمر الصحفي المشترك مع نظيره التونسي الأسبوع الماضي، لعجزه عن الرد على سؤال حول تورطه في القضية المعروفة في مصر باسم "قصور الرئاسة"، وهو ما جعله هدفا لحملة هجوم إعلامية غير مسبوقة في مختلف برامج "التوك شو" التي اتهمته بأنه عبء على النظام السياسي وعلى الرئيس نفسه.

أشارت المصادر لـ"العرب" إلى أن اختيار إسماعيل جاء في الوقت الذي تستعد فيه مصر للدخول بشكل غير مسبوق في مشروعات الطاقة، لسد الفجوة الحالية وتلبية احتياجات الاستثمارات الجديدة التي أعلنت عنها.

وقال مجد الدين المنزلاوي، رئيس جمعية مستثمري الطاقة الجديدة والمتجددة لـ"العرب"، إن الاقتصاد المصري يراهن الفترة المقبلة على التوسع في الاستثمار بمجال الطاقة، وهو ما يستلزم أن تكون الحكومة على معرفة كبيرة بأهمية هذا الملف لتلبية الثورة الاستثمارية التي تستهدفها مصر سواء في محور قناة السويس أو مشروع "الألف مصنع الجديد".

بدوره، طالب، محمد البهي، رئيس لجنة التكامل العربي باتحاد الصناعات المصرية، الحكومة الجديدة في تصريحات لـ"العرب"، بضرورة مواجهة البيروقراطية وتعزيز مناخ الاستثمار، من خلال إرساء مبادئ الشفافية، والعمل على الانتهاء من نظام الشبّاك الواحد للتعامل مع المستثمرين.

> الاستقالة من شأنها تخفيف الضغوط السياسية والاجتماعية على الرئيس المصري ونقلها إلى عاتق محلب الذي طالته وعددا من وزرائه العديد من الاتهامات والشبهات بالفساد

على صعيد الانتخابات البرلمانية المرتقبة أكدت مصادر قضائية لـ"العرب" أن إقالة الحكومة لن تغير شيئا من الجدول الزمني للانتخابات المقرر إجراؤها الشهر المقبل. وقالت مصادر باللجنة العليا للانتخابات أنها ماضية في عملها، بغض النظر عن الحكومة التي تدير البلاد، لافتة إلى أن اللجنة انتهت ظهر أمس من تلقي أوراق المرشحين.

وشدد المستشار عادل الشوربجي عضو اللجنة العليا للانتخابات البرلمانية، في تصريحات لـ"العرب"، على أن استقالة الحكومة ، لن تؤثر على عمل اللجنة العليا، مشيرا إلى أنه تم الانتهاء من تلقي طلبات المرشحين وسيتم إعلان الكشوف 16 سبتمبر الجاري.

الانتخابات البرلمانية في موعدها

محللون سياسيون أكدوا نفس الرأي، حيث ذكر وحيد عبدالمجيد، رئيس تحرير دورية السياسة الدولية لـ"العرب"، أن استقالة الحكومة لن تحدث أيّ تغير في مصر والحكومة القادمة لن تختلف عن الحالية، لافتا إلى أن كل الحكومات المصرية خلال الخمسين عاما الماضية هي نسخة متشابهة لا تختلف سوى في الأسماء.

وعلى الرغم من الجولات الميدانية التي كان يقوم بها محلب منذ توليه رئاسة الوزارة في فبراير من العام الماضي، إلا أن المشكلات أخذت في التزايد على كافة الأصعدة، لدرجة أن الرئيس المصري عبّر عن ضيقه من إخفاق الحكومة في دعابة ذات مغزى حين قال له في 7 يونيو الماضي "وعدتني أن تكون بلدوزر يفتح الطريق.. هو فين البلدوزر ده".

وحول جدوى حدوث تغيير حكومي قبل شهرين من تشكيل البرلمان، أكد السفير جمال بيومي، مساعد وزير الخارجية الأسبق لـ"العرب"، أن التطورات فرضت نفسها، وأن حكومة إسماعيل مهمتها محددة بإجراء الانتخابات التي ستأتي بمن يختار الوزارة، وأن التغيير كان متوقعا.

من جانبها، اعتبرت المستشارة تهاني الجبالي، النائب السابق لرئيس المحكمة الدستورية، رئيس التحالف الجمهوري للقوى الشعبية، استقالة الحكومة انتصارا للشعب المصري، بعد إخفاقاتها المتتالية، في اتخاذ قرارات تحقق طموح الشعب في عدالة اجتماعية حقيقية.

وأضافت الجبالي لـ"العرب" أن حكومة محلب أخفقت في اتخاذ القرارات المناسبة في اللحظات المناسبة، وعملت على المبالغة في سن تشريعات مثيرة للجدل، في توقيتات خاطئة بينما تجاهلت صياغة تشريعات واتخاذ قرارات كانت واجبة الصدور لمواجهة الفساد، لنفاجأ لاحقا بوزرائها متورطين في قضايا فساد.

وبشأن تأثيرات تغيير الحكومة على الانتخابات البرلمانية، قالت الجبالي إن الحكومة الجديدة سيكون أمامها تحدّ كبير يتمثل في مسؤوليتها عن توفير بيئة صالحة لإجراء الانتخابات.

في ذات السياق، علق حسين عبدالرازق، عضو المجلس الرئاسي لحزب التجمع اليساري على قرار تغيير الحكومة، قائلا لـ"العرب": إن استقالة الحكومة قبل أشهر من انتهاء فترة عملها الطبيعية بعد تشكيل البرلمان لا يخرج عن ثلاثة احتمالات. الأول أن الحكومة استشعرت مسؤوليتها بعد ثبوت تورط وزراء بها في قضايا فساد، فقررت الاستقالة، وهذا مستبعد. والثاني أن الرئيس السيسي، رأى أن الحكومة أصبحت عبئا عليه ولديه معلومات عن فساد وزراء آخرين فقرر تحميلها مسؤوليتها السياسية وطلب منها الاستقالة، وهذا الأقرب للواقع. والاحتمال الثالث، هو توصل جهات التحقيق لأدلة تورط وزراء آخرين، بالتالي إقالة واحد بعد الآخر تسبب فضائح سياسية فاستقالت الحكومة لإبعاد المتورطين. ودعا حسين رئاسة الجمهورية لإعلان أسباب استقالة الحكومة على الرأي العام لترسيخ مبدأ الشفافية.

شريف إسماعيل.. ثاني رئيس للوزراء في عهد السيسي

كلف الرئيس المصري، عبدالفتاح السيسي شريف إسماعيل (وزير البترول في حكومة إبراهيم محلب المستقيلة) بتشكيل الحكومة الجديدة خلال أسبوع، بعد قبول استقالة حكومة إبراهيم محلب.

وكان شريف إسماعيل، قد تولى منصب وزير البترول في حكومة حازم الببلاوي في 16 يوليو 2013، بعد أيام من إطاحة الجيش بمحمد مرسي، خلفا للوزير شريف هدارة.

وبعد استقالة حكومة الببلاوي في 24 فبراير 2014 استمر إسماعيل وزيرا للبترول في الحكومة الجديدة برئاسة إبراهيم محلب، والتي تعرف بحكومة محلب الأولى.

وشريف إسماعيل من مواليد 6 يوليو 1955، وتخرج من كلية الهندسة جامعة عين شمس عام 1978. وشغل عدة مناصب قبل توليه وزارة البترول، كان أبرزها منصب وكيل وزارة البترول لشؤون الغاز في الفترة من 2000 حتى عام 2005، ورئيس مجلس إدارة الشركة المصرية القابضة للغازات الطبيعية (حكومية) منذ 2005 حتى 2007، ورئيس مجلس إدارة شركة جنوب الوادي القابضة للبترول (حكومية) منذ 2007 وحتى 2013.

مظاهرات في أوروبا تضامنا مع اللاجئين

لندن – جابت، أمس السبت، مظاهرات، ضمّت عشرات الآلاف من الأوروبيين، شوارع في لندن ومدريد وكوبنهاغن وعدة مدن أوروبية أخرى حيث وصلت أسر كاملة من اللاجئين قادمة من سوريا أو العراق أو حتى أفغانستان عبر طريق محفوف بالمخاطر عبر المتوسط والبلقان وأوروبا الوسطى. وفي موازاة ذلك، أعلن عن تنظيم تظاهرات ضد استقبال المهاجرين في بولندا وتشيكيا وسلوفاكيا خصوصا مما يظهر الانقسام العميق في أوروبا حول المسألة.

وقال منظمو اليوم الأوروبي للتحرك من أجل اللاجئين "لقد حان الوقت للتنديد بالحدود التي تسبب الموت والتي أقيمت باسمنا".

وتظاهر في كوبنهاغن حوالي ألف شخص دعما لاستقبال اللاجئين، حاملين لافتات كتب عليها "أهلا وسهلا باللاجئين" و"أوروبا هي الجوار القريب لسوريا". وجرت تظاهرات مماثلة في مدن دنماركية أخرى، خصوصا في بادبورع الحدودية مع ألمانيا التي يعبرها عدد كبير من اللاجئين. وفي هذه المدينة، احتشد 400 شخص يؤيدون استقبال اللاجئين، فيما شارك 150 شخصا في تظاهرة مضادة تؤيد إقفال الحدود.

واحتشد في ستوكهولم أكثر من ألف شخص أيضا للتعبير عن دعمهم لسياسة استقبال أكثر سخاء. ولذات الهدف نزل آلاف البريطانيين إلى شوارع لندن لحث حكومتهم على بذل المزيد من الجهود لمساعدة اللاجئين السوريين وساروا في تظاهرة شارك فيها الزعيم الجديد لحزب العمال جيريمي كوربن. وجابت التظاهرة وسط لندن وصولا إلى مكاتب رئيس الحكومة ديفيد كاميرون رافعين لافتات كتب عليها "افتحوا الحدود" و"اللاجئون إلى الداخل، المحافظون إلى الخارج".

وكان كاميرون ليّن موقفه بشأن السماح بدخول المزيد من اللاجئين مع تفاقم أزمة المهاجرين في أوروبا، حيث وافق الأسبوع الماضي على دخول 20 ألف مهاجر إلى بريطانيا على فترة خمس سنوات. وقال كاميرون إن هؤلاء اللاجئين سيأتون مباشرة من مخيمات اللاجئين، فيما رفضت الحكومة البريطانية المشاركة في نظام الحصص الذي طالب به الاتحاد الأوروبي لتقاسم عبء اللاجئين الذين وصلوا أوروبا؛ في موقف مشابه لموقف دول أوروبا الشرقية التي رفضت دعوة للموافقة باسم القيم الأوروبية على استقبال الحصص المخصصة لهم من المهاجرين.

وأعلنت منظمة الهجرة الدولية أن أكثر من 430 ألف لاجئ ومهاجر عبروا المتوسط منذ يناير وأن قرابة 2748 قضوا غرقا. ونصف الواصلين إلى أوروبا هم من السوريين الهاربين من الحرب الدائرة في بلادهم.

متظاهرون يرفعون لافتات كتب عليها «أهلا وسهلا باللاجئين» و«أوروبا هي الجوار القريب لسوريا»

غياب خير سفير لليمن

خيرالله خيرالله

❑ كان الصديق أحمد محمد المتوكل، الذي توفاه الله عن عمر يناهز الخمسة وسبعين عاما ذلك الوجه اليمني المشرق الذي سيفتقده أصدقاؤه الكثر، خصوصا أولئك الذين عرفوه عن كثب. كان بالفعل خير سفير لليمن وكل ما له علاقة بهذا البلد العريق الذي يمرّ حاليا في أزمة عميقة يصعب تصوّر كيف سيخرج منها.

تعرّفت إلى أحمد المتوكل في بيروت عندما كان سفيرا للجمهورية العربية اليمنية، أي اليمن الشمالي قبل الوحدة. كان ذلك في منتصف ثمانينات القرن الماضي عندما كنت رئيسا للقسم العربي والدولي في صحيفة "النهار". وجدت فيه سفيرا لليمن في لبنان وسفيرا للبنان في اليمن وحتّى خارج اليمن.

نمت صداقتنا وتعزّزت مع الوقت، خصوصا بعد زيارتي الأولى لصنعاء التي كانت بترتيب من الأستاذ أحمد، كما كنا نسمّيه. اختار السفير أحمد المتوكّل ثلاثة صحافيين لبنانيين للمشاركة في الاحتفال بإعادة بناء سدّ مأرب التاريخي. رافقت في تلك الرحلة الأستاذ طلال سلمان، صاحب جريدة "السفير" ورئيس تحريرها، والأستاذ حسن صبرا، صاحب "الشراع ورئيس تحريرها.

كان ذلك في أغسطس 1986. وكان الأستاذ أحمد السبب الذي أوقعني في غرام اليمن ومدينة صنعاء التي تعيش حاليا أيّاما صعبة ومحنة حقيقية. بالنسبة إليّ بقي أحمد المتوكّل يمثل صنعاء الجميلة. كان يمثّل الصداقات التي تبقى وتتحدّى الزمن.

كان سدّ مأرب، الذي أعاد بناءه على نفقته الخاصة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، عنوانا لبلد يبني نفسه ويتلمّس طريقه كي يكون في مصاف الدول التي تستطيع التقدّم على رغم كلّ الصعوبات القائمة، بما في ذلك قلّة الثروات البشرية والنموّ الكارثي للسكّان. أراد الشيخ زايد بنخوته العربية الأصيلة انتشال اليمن من الفقر والتخلّف وردم الهوة قدر المستطاع بينه وبين جيرانه. كانت إعادة سدّ مأرب بمثابة البداية.إلى ذلك، كان سدّ مأرب عنوانا للأمل باليمن حيث يحرث الإنسان الصخر ويبني منازل ومزارع وحقولا في أماكن لا يمكن للمرء أن يتخيّل أنّ في استطاعة اليمني الوصول إليها.

بفضل أحمد المتوكّل تعرّفت على حقيقة اليمن واليمنيين وعلى الحياة في صنعاء. صار اليمن في دمي، ذلك أنّ أحمد المتوكّل عرّفني على بعض الشخصيات اليمنية التي لا يمكن إلّا الإعجاب بها والتعلّم منها. كما عرّفني بأحلى ما في صنعاء. من بين الذين عرفني إليهم شقيقه اللواء يحيى الذي لم يكن مجرّد سياسي يمني دمث، بل كان أكثر من ذلك بكثير، كونه كان يعرف اليمن وما يحيط باليمن عن ظهر قلب.

عبر أحمد المتوكّل تعرّفت على اليمن واليمنيين. فتح لي كل الأبواب. ولكن أكثر ما تعرّفت عليه، عبره، كان ذلك الإنسان الذي يعرف معنى الصداقة والوفاء.

طوال ثلاثين عاما، أي منذ العام 1985، بقي أحمد المتوكّل صديقا، هو وأفراد عائلته. كان يدخل بيتي في بيروت، قبل انتقالي إلى لندن، من دون استئذان. وكنت أدخل بيته في صنعاء من دون استئذان طبعا.

كان يسرّ إليّ بكل صغيرة وكبيرة. كان يخفي خلف مظهره البسيط وتواضعه الجمّ، هو الآتي من إحدى أكبر العائلات اليمنية، حسّا سياسيا مرهفا. غالبا ما ذكّرني بكلام كنت أقوله في جلسات القات في صنعاء. كان صريحا في تعليقاته وملاحظاته.

كان يقول لي في بعض الأحيان، من باب الصداقة والصراحة، إني بالغت ولم أكن موفّقا. وكان يقول لي في أحيان أخرى إنّي كنت مصيبا. توقف طويلا في إحدى المرّات عند تعليق لي في جلسة قات. كان ذلك قبل أيّام من إعلان الوحدة اليمنية في مايو من العام 1990. تساءلت وقتذاك بصوت عال "ما الثمن الذي سيدفعه اليمن في مقابل الوحدة؟". كان ردّ فعله أنّ سؤالي ليس بريئا، وراح يسألني عن خلفيات السؤال، فأجبته أنّ الوحدة لن تمرّ بسهولة وأن اليمن قد يكون مقبلا على أحداث كبيرة. أعاد تذكيري بالسؤال غير مرّة، خصوصا بعد حرب صيف العام 1994. كان جوابي الدائم أنّه لم تكن لديّ معلومات بمقدار ما كان لديّ حدس.

في كلّ حياتي، لم أجد شخصا بوفاء أحمد المتوكل لأصدقائه وإخلاصه لهم. كانت طيبته المجبولة بالذكاء الفطري، من النوع الذي لا يتمتع به سوى الكبار الذين يمتلكون إرثا أخلاقيا وثقافيا وحضاريا ذا جذور عميقة. هذه الطيبة لم تمنعه من التفريق بين الأشخاص الذين كانوا يترددون على صنعاء ومعرفة خبايا ما يريدونه.

بغياب أحمد المتوكل، يغيب بالنسبة إليّ جزء من اليمن، البلد الذي قدّمني إليه ابن العائلة العريقة، الرجل الذي خدم بلده بكل إخلاص في كلّ موقع شغله، أكان ذلك الموقع عسكريا أو مرتبطا بالعمل الديبلوماسي. ليس من عزاء لي يعوض ما خسرته في الرجل سوى معرفتي بالعائلة التي ربطتني بأفرادها علاقة عميقة صار عمرها يزيد على ربع قرن. لم أستطع يوما تذكّر المرحوم يحيى المتوكّل، إلّا وفي حلقي غصّة.

ربّما كان من الأفضل لأحمد المتوكل أن يغادرنا الآن حتى لا يعيش ويرى ما يمرّ به اليمن هذه الأيّام. الموت رحمه. كان رجلا حساسا إلى حدّ كبير. كانت لديه دائما واقعية ليست بعدها واقعية. كان يقول الأشياء كما هي من دون لفّ أو دوران. كان يدرك تماما ماذا يعني العلم. بذل كلّ ما يستطيع كي يتعلّم أبناؤه، على رأسهم عبدالحميد. أتذكّر كم كانت فرحته كبيرة عندما ذهب ابنه عصام إلى الولايات المتحدة للالتحاق بإحدى جامعاتها.

جعلني أحمد المتوكّل أتعلّق باليمن. تعرّفت من خلاله إلى العائلة، إلى أبنائه وأبناء شقيقه على رأسهم محمد يحيى المتوكل وعلى الأقارب كالصديق حسين المتوكّل. أدخلني أحمد المتوكل إلى صنعاء حيث صار لديّ عشرات الأصدقاء، من طينة العميد علي الشاطر، رجل الوفاء والإخلاص والآدمية، الذي مهّد لأول حديث أجريته مع الرئيس، وقتذاك، علي عبدالله صالح في العام 1986.

مع رحيل أحمد المتوكّل، أتذكّر في كلّ وقت الرحلة الأولى إلى صنعاء. أتذكّر، بعد ذلك، أني كنت برفقته عندما كنت الصحافي العربي الوحيد الذي غطّى الاحتفال الذي جرى في عدن يوم الثاني والعشرين من مايو 1990، في مناسبة توقيع اتفاق الوحدة اليمنية.

كنت إلى جانبه في تلك الأيّام التي لا تنسى والتي رأيت فيها فصولا من التاريخ تتوالى بسرعة مذهلة. لم أتصوّر يوما أن اليمن يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه.. لم أتصوّر أن القدر سيرحم أحمد المتوكل، لكنّه سيحرمنا منه. رحمه القدر لأنّه لن يرى الفصول الأخيرة البشعة من المأساة اليمنية المستمرّة..

> ربما كان من الأفضل لأحمد المتوكل أن يغادرنا الآن حتى لا يعيش ويرى ما يمر به اليمن هذه الأيام. الموت رحمه

المتوكل رحمه القدر لأنه لن يرى الفصول الأخيرة البشعة من المأساة اليمنية المستمرة

* إعلامي لبناني

11 سبتمبر: إنصاف بوش وهيغل

أحمد عدنان

❑ في ذكراها الأولى، عام 2002، نشرت صحيفة المدينة السعودية ملحقا مثيرا عن الحدث تميز بعنوان ناري "العالم من دون السعودية" ومشاركة نخب متميزة كالأساتذة محمد سعيد طيب وجمال خاشقجي ومشاري الذايدي. والحقيقة أن عنوان الملحق عبّر عن لحظة فارقة احتك من خلالها الشأن المحلي بعنف مع اللحظة الدولية، وأصبحت المملكة تحت أسئلة وجودية لا تنتهي تمس نظامها السياسي ومذهبها الديني وتنشئتها التعليمية والفكرية.

إن ما جرى يوم 11 سبتمبر 2001، بلا شك، من أبشع جرائم الإنسانية، وليس هذا محل النقاش، لأنه من الجدير رصد ما جرى بعدها بمنظار شامل بعد مرور هذه السنوات، لم تكن أحداث سبتمبر حجرا ألقي في بحيرة راكدة وحرك ماءها فحسب، بل لعلها نيزك مشتعل أصاب بحرا ميتا وبخر ماءه كله وغيّر تضاريسه المحيطة للأبد.

إن قراءة أحداث سبتمبر وتداعياتها ربما لا تصح من دون الاستعادة بنظرية هيغل "مكر التاريخ"، أي تلك الوسائل التي من خلالها يستطيع المطلق، الروح أو العقل، التجسد في التاريخ لتحقيق إرادته من دون أن تدري تلك الوسائل تحقيقها لأهداف المطلق، فمن "خبث العقل الكلي المسيطر على التاريخ أنه يستعين بالشخصيات التاريخية العظيمة، في سبيل تحقيق أهدافه وخططه ومقاصده، دون أن يكون هؤلاء على علم بذلك، وإنما الذي يجعل هؤلاء أقوياء هو أن أهدافهم الجزئية ومصالحهم الخاصة تحتوي على المحتوى الجوهري الذي هو إرادة الروح الكلية". ومن أمثلة ذلك قيام نابليون بحملته الفرنسية على مصر بهدف توسّعي أناني إضافة إلى استهداف المصالح البريطانية، لكن تلك الحملة قدمت للعرب منجزات الحداثة الأوروبية والحضارة الغربية المعاصرة بعد سنين من الموات، وحتى حين غزا نابليون بروسيا، كانت تسير مع قوافل جيشه، بلا قصد، شعارات الثورة الفرنسية لتغير جوهر ألمانيا ومسارها لاحقا.

يعتقد د. تركي الحمد، وهو محق، أن تداعيات أحداث سبتمبر، وتحديدا دخول القوات الأميركية للعراق، قدمت العولمة للعرب، فحديث الإدارة الأميركية حينها ممثلة في الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش ووزير خارجيته كولن باول عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، ربما غطت في شكلها مصالح أميركية أنانية، لكنها وفق مكر التاريخ، بذرت في التربة العربية القاحلة زهور التغيير، ولا ننسى أن جمال الورد هو الآخر مغلف بالأشواك.

قامت إدارة بوش الابن بإزاحة نظام طالبان في أفغانستان كرمز للاستبداد الديني، ثم أزاحت نظام البعث العراقي كرمز للاستبداد الزمني، فسعت الأنظمة العربية حينها إلى التحرر من أوجه التشابه مع النظامين البائدين، فمع انطلاق العملية الأميركية ضد طالبان أعلن نائب وزير الداخلية السعودي الأمير أحمد بن عبدالعزيز عن إتاحة حق إصدار بطاقة الهوية للمرأة السعودية لأول مرة منذ تأسيس الدولة في ظل اهتمام الإعلام بحال المرأة الأفغانية البائس. ومع انطلاق الغارات الأميركية ضد صدام حسين أعلن وزير الدفاع الأمير سلطان بن عبدالعزيز عن تفعيل الانتخابات البلدية لأول مرة منذ تعطيلها زمن الملك فيصل. وفي مصر نالت الصحافة سقفا تعبيريا غير مسبوق مس الرئيس مبارك وأسرته، وفيما بعد أصدر الرئيس مبارك، لأول مرة منذ توحيد مينا للقطرين، قرارا يحول اختيار رئيس الجمهورية من الاستفتاء الأحادي إلى الانتخابات التعددية، بل إن الرئيس بشار الأسد صرح لصحيفة فرنسية "لست صدام حسين، أريد أن أتعاون".

في المملكة تحديدا، أراد مكر التاريخ أن يضع بصمته بتمعن، لذلك لم يكن وجود وليّ العهد الإصلاحي، الملك فيما بعد، عبدالله بن عبدالعزيز، مجرد صدفة، فطرحت الصحافة والنخب أسئلة الإصلاح بشفافية، من الحديث عن الدستور المفترض وتوسيع المشاركة الشعبية وتمكين المرأة وإرساء ثقافة حقوق الإنسان إلى تجديد الخطاب الديني وتحريره من الحديّة الوهابية التي أدت إلى وجود 15 سعوديا ضمن 19 منفذا لجريمة سبتمبر، في ظل سيادة ثقافة دينية وسياسية ترى المعاصرة، وربما الحياة نفسها، ضربا من الإثم المحرّم. لذلك، يدرك أيّ راصد لتاريخ الصحافة السعودية، أن ربيعها الذهبي منذ صحافة الأفراد تجلى خلال أعوام 2002–2004، وما أنجزه الملك عبدالله من خطوات اجتماعية وفكرية وإدارية، سواء باسمه أو باسم الملك فهد، يجعل عهده فجرا سياسيا لا نظير له في ماضي المملكة وربما في مستقبلها.

كما فشلت الحملة الفرنسية في تحقيق أهدافها الأنانية داخل مصر، لم ينكتب لتجربة الدخول الأميركي في العراق النجاح المأمول. وسمعنا على لسان كوندليزا رايس نظرية "الفوضى الخلاقة"، أي حالة سياسية تنجم بعد غربلة فوضى متعمدة، في إطار مشروع يسمى بـ"الشرق الأوسط الجديد"، لم يكن المشروع مجرد تقسيم سياسي وإداري جديد للمنطقة وفق المصالح الأميركية، بل تعداه إلى محاولة إرساء احتياجات المنطقة الحقيقية، كالاهتمام بالتنمية والتعليم، ونشر ثقافة الحريات والحقوق وتمكين المرأة وإشاعة المواطنة والديمقراطية وسيادة القانون، يومها تلقفت أغلب النخب العربية هذه الأحاديث بالاستهتار والسخرية. لكن مكر التاريخ لا يرحم ولا يتوقف، فبعد عقد كامل من لمسات جورج دبليو بوش على المنطقة اشتعل ما يسمى بالربيع العربي ناطقا باللسان الذي تحدث به بوش قبل أعوام، الديمقراطية وحقوق الإنسان، وما نراه في المنطقة اليوم ليس إلا الفوضى الخلاقة التي تحدّثت عنها كوندليزا رايس، وفي إطار هذه الفوضى قام الربيع وسقط الربيع، ليظهر مكر التاريخ في أروع تجلياته حين قرر أن يصدم العرب والمسلمين بتاريخهم وبأنفسهم عبر ميليشيات الإرهاب والدول المارقة كداعش وحزب الله وإيران وسوريا البعث، وكانت صدمة بالغة للعرب وللمسلمين، أن تكشف زيارتهم الأولى للمرآة مقدار بشاعتهم وقبحهم.

رغم كفري بنظرية المؤامرة، إلا أن تأمّل ما جرى منذ 11 سبتمبر 2001 إلى تاريخه يدعو للدهشة، إنها درجة متقنة من كمال السببية والتفاعلية في اتجاه وجه جديد لم ندر بعد إن كان أفضل أو أسوأ، فالأوضاع القائمة اهترأت وتعفنت ولا مكان لها إلا في القبور، وما جنته أيدينا جعلنا في موضع المتأثر لا المؤثر، ومكر التاريخ لا يعرف إلا الانتصار واختيار الشخصيات العظيمة كجورج دبليو بوش.

> ما نراه في المنطقة اليوم ليس إلا الفوضى الخلاقة التي تحدّثت عنها كوندليزا رايس، وفي إطار هذه الفوضى قام الربيع وسقط الربيع، ليظهر مكر التاريخ في أروع تجلياته حين قرر أن يصدم العرب والمسلمين بتاريخهم وبأنفسهم عبر ميليشيات الإرهاب والدول المارقة

أحداث سبتمبر وتداعياتها ربما لا تصح من دون استعادة نظرية هيغل «مكر التاريخ»

* صحفي سعودي

الأزمة الليبية في مفترق طرق خطير

حسن السوسي

تمر الأزمة الليبية هذه الأيام بإحدى فتراتها المفصلية التي سيتوقف على معطياتها ونتائجها مستقبل البلاد؛ لجهة التغلب على الأزمة، وتدشين مسار السلام والمصالحة لبناء دولة مستقرة، وأيضا لجهة تصعيد مستوى العنف والمواجهات المسلحة بين أطراف الأزمة الأساسيين بغية الحسم العسكري. وبالتالي، يتم بناء ليبيا المستقبل على المدى المتوسط والبعيد وفق إرادة المنتصر وعلى حساب المهزوم.

وهذه النتيجة تحدّدها مجموعة من العناصر والمؤثّرات الداخلية والخارجية، والتي لا يمكن فهم مسار الأزمة واتجاهات تطورها إيجابا أو سلبا، بعيدا عنها.

على المستوى الداخلي يمكن تناول الملف الليبي عبر ثلاثة مداخل هي:

● وضعية الحوار: بعد توقيع أطراف أساسية في الأزمة الليبية، وفي مقدمتها الحكومة المعترف بها دوليا، على اتفاق السلام والمصالحة بالأحرف الأولى في شهر يوليو الماضي في مدينة الصخيرات المغربية؛ عمل المؤتمر الوطني العام المنتهية ولايته وحكومة طرابلس المدعومة من ميليشيات فجر ليبيا، كلّ من موقعه، على عرقلة المسار السياسي الذي ترعاه الأمم المتحدة ممثلة في مبعوثها الخاص برناردينو ليون.

ولا تعوز الأطراف المعرقلة الذرائع لبلوغ غايتها في تعطيل مسيرة الحل؛ حيث تتذرع تارة بكون اتفاق السلام والمصالحة لا يأخذ بعين الاعتبار مقترحاتها حول المرحلة الانتقالية وموقع حكومة طرابلس مقارنة مع موقع الحكومة الليبية المؤقتة المعترف بها دوليا والتي تستند هي أيضا على برلمان منتخب ومعترف به دوليا.

> أمام مفترق الطرق الخطير الراهن في مسار الأزمة الليبية لا يبدو أن اختيار السلام هو الذي ستكون له الغلبة خاصة مع المواقف المعلنة للجماعات التي تؤيد الحكومة غير الشرعية في طرابلس

وتتذرع تارة أخرى برغبتها في نقل الحوار من المغرب إلى جنيف، وانتظار تفهم المبعوث الأممي لمطالبها والرد الإيجابي عليها كشرط لانخراطها في العملية السياسية، وهو شرط تعرف حكومة طرابلس، قبل غيرها، استحالة حدوثه خاصة في كل ما يتعلق بإعادة النظر في اتفاق السلام والمصالحة الذي تمّ التوقيع عليه بالأحرف الأولى مما يجعله غير قابل للتعديل بأيّ حال من الأحوال.

وعلى الرغم من الاتهامات الموجهة إلى برناردينو ليون بمحاباة حكومة طرابلس ومحاولة إرضائها بحجة المحافظة عليها كطرف في الحوار، فإن هذه الأخيرة، وفي مفارقة غريبة توجه نقدها اللاذع إلى ليون وتتهمه بمحاولة شق الصف الوطني الليبي لمجرد تنظيمه لقاءات تشاورية مع شخصيات ليبية لا تتبنّى بالضرورة مواقف القوى المتمردة على الشرعية، مع أن استطلاع مختلف الآراء يندرج في صميم مهمة المبعوث الأممي لتكون الاقتراحات التي يتقدم بها في معرض إشرافه على الحوار نابعة من معطيات الواقع وتعكس مواقف مختلف القوى المنخرطة في الأزمة.

بطبيعة الحال، فإن الحكومة الشرعية، من جهتها، لم تكن راضية على سلوك المبعوث الأممي خاصة على مستوى عدم حسمه بتوجيه أصابع الإدانة إلى الطرف الذي يعرقل الحل السياسي للأزمة مع أن هذا الطرف واضح بالنسبة إلى الجميع وما على المجتمع الدولي إلا تحمل مسؤولياته كاملة في دعم الحكومة الشرعية ومؤسسات الدولة الليبية العسكرية والأمنية لمواجهة تحديات الإرهاب والتمرد العسكري التي تصب في طاحونة الإبقاء على واقع الأزمة وإذكائها.

● بدء صنف جديد من المواجهات: يبدو أن ميليشيات فجر ليبيا لا تستعدي الحكومة الليبية الشرعية والجيش الوطني الليبي فحسب وإنما تحولت إلى عدوّ لكل القوى الوطنية الليبية التي ترغب في العمل على طي صفحة الاقتتال الليبي الليبي والتقدم على طريق إحلال الأمن والسلام في ليبيا، بمن في ذلك القبائل الليبية التي رأت في فجر ليبيا والحكومة غير الشرعية عاملا أساسيا من عوامل استمرار الأزمة وتدهور الأوضاع في البلاد على مختلف المستويات.

ذلك أنها لا تمنع التوصل إلى حل سياسي للأزمة فحسب، بل إنها تعرقل كل محاولة لإجراء حوار وطني جدي متعدد الأطراف كما جسّد ذلك منع وفود القبائل من التوجه إلى جلسات حوار كانت مقررة في القاهرة قبل إلغائها، وهو ما أدانه المبعوث الأممي بشدة محملا مسؤولية هذا الموقف لميليشيات فجر ليبيا. وفي تطور لافت أشارت مختلف وسائل الإعلام

> تركيا تحاول حماية مصالحها في ليبيا وخاصة منها العقود التي أبرمتها مع حكومة طرابلس الموالية لجماعة الإخوان لتنفيذ مشاريع إنشائية بأكثر من مليار دولار

مؤخرا إلى اندلاع اشتباكات عنيفة بين ميليشيات "فجر ليبيا" المتطرفة وجيش القبائل المدعوم من الجيش الليبي غرب العاصمة الليبية طرابلس، أدت إلى إغلاق الطريق الواصل بين مدينة صبراته ومجمع مليتة النفطي ومدينة زوارة.

● عنصر داعش: وجد تنظيم داعش ضالته في استمرار التناحر بين القوى والميليشيات المتصارعة في عدد من مناطق ليبيا لتركيز مواقعه والتفكير في التمدد. لكن الحكومة الليبية الشرعية على ما يبدو قررت أن تتحرك عسكريا ضد بعض معاقل التنظيم الارهابي قبل فوات الأوان.

في هذا السياق شن سلاح الجو الليبي مؤخرا غارات على تجمعات لتنظيم داعش في حي الساحل بمدينة درنة شرق ليبيا. وفي هذا إشارة واضحة من الجيش الليبي إلى المجتمع الدولي الذي ما يزال مترددا في دعم القوات المسلحة الليبية بالعتاد الذي تحتاجه لمحاربة الإرهاب أنها لن تظل مكتوفة الأيدي بانتظار الحلول السياسية التي ما إن يبدو أنها في المتناول حتى تتحرك القوى المعادية في الداخل والخارج لعرقلتها.

العامل الثاني الذي يؤثّر في مسار الأزمة الليبية يتمثّل في التحركات الإقليمية، حيث أصبح واضحا أن الأزمة الليبية قد تحولت إلى ميدان للمواجهة بين بعض الأطراف الإقليمية ذات المصالح. فمصر، ودول جوار ليبيا عموما، ترى أن من مصلحتها خروج ليبيا من دوامة العنف والإرهاب التي حولتها إلى مصدر حقيقي لتهديدات أمنية جدية لاستقرارها وهي تدرك أن طول عمر الأزمة الليبية لن يكون عاملا مساعدا في حربها الراهنة على الإرهاب.

وهذا ما يفسر المساندة السياسية والاستراتيجية التي أبانت عنها السلطات المصرية منذ استلام الرئيس عبدالفتاح السياسي مقاليد الحكم في البلاد للحكومة الشرعية الليبية والجيش الوطني الليبي.

ميليشيا فجر ليبيا وحكومة طرابلس الداعمة لها، تضعان مفاوضات الصخيرات على طريق الانهيار

في حين أن قوى إقليمية أخرى، وفي مقدمتها تركيا، وضعت على عاتقها دعم حكومة طرابلس ذات التوجهات الإخوانية.

وتشير معلومات من ليبيا أن تركيا تحاول حماية مصالحها في ليبيا، وخاصة منها العقود التي أبرمتها مع حكومة طرابلس الموالية لجماعة الإخوان لتنفيذ مشاريع إنشائية بأكثر من مليار دولار وهذا ما يفسر به العديد من المراقبين استماتة أنقرة في دعم الحكومة غير الشرعية.

الطرف الثالث في الملف الليبي هو المجتمع الدولي الذي تبدو عليه علامات التراخي في التعاطي مع الأزمة بحسم، الأمر الذي دفع العديد من المراقبين إلى القول إن الحوار الوطني الليبي محاط في الوقت الراهن بمختلف عوامل الفشل وإنّ الجهود التي يبذلها برناردينو ليون لم تعد تحظى بقبول مختلف أطراف الأزمة الليبية خاصة أنها تحولت إلى شكل من أشكال المناورة السياسية التي قد لا تكون منتجة للحل السياسي وسط رفض الحكومة الشرعية والحكومة المتمردة على الشرعية على حد سواء. فالأولى تتهم ليون باصطفافه إلى جانب جماعة طرابلس المتمردة، وهذه الأخيرة ربطت مساهمتها في أيّ حوار بالاستجابة إلى مطالبها في تغيير اتفاق السلام والمصالحة وهو أمر لا يبدو أنه في متناول أيّ كان بعد التوقيع على ذلك الاتفاق بالأحرف الأولى.

وأمام مفترق الطرق الخطير الراهن في مسار الأزمة الليبية لا يبدو أن اختيار السلام هو الذي ستكون له الغلبة خاصة مع المواقف المعلنة للجماعات التي تؤيد الحكومة غير الشرعية في طرابلس.

* باحث مغربي

التدخل العسكري الروسي في سوريا وانكفاء دول الإقليم إلى الداخل

شادي علاء الدين

أعلن التدخل العسكري الروسي في سوريا أن إيران لم تعد اللاعب الأساسي الوحيد على الساحة السورية.

وهذا المدخل الذي اختاره فلاديمير بوتين لتفعيل دوره في المنطقة، يتمثل في سعيه للدخول إلى نادي الحرب على الإرهاب من البوابة السورية، بعد أن استنتج أن ترك الأمور تذهب في اتجاه سقوط الأسد، سيحرمه من دوره ويهدد مصالحه في المنطقة.

التوافق الأميركي الروسي الأوروبي على ضرورة اعتبار الحرب على داعش أولوية أساسية، تتفوق على ما عداها، يطرح إشكاليات عديدة تتعلق بمصير سوريا والمنطقة، خصوصا بعد خروج مئات الآلاف من السوريين من البلاد بعد فتح أبواب اللجوء في أوروبا، إضافة إلى أن عدد السوريين اللاجئين في لبنان والأردن وتركيا تجاوز الخمسة ملايين، أي ما يعادل ثلث عدد سكان سوريا تقريبا.

تستهدف الحرب الدولية على الإرهاب المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم داعش. واللافت أن هذه المناطق تضم جلّ ثروات سوريا ومعظم مواردها، وقد نجح التنظيم المتطرف في خلق نظام إداري لها جعلها المساحة الأكثر استقرارا وقابلية للعيش، مقارنة بباقي المناطق الواقعة تحت سلطة المعارضة، أو تلك الواقعة تحت سلطة النظام.

هكذا تتخذ الحرب على الإرهاب بالنسبة إلى قاطني تلك المناطق شكل تدمير آخر مساحة مستقرة قابلة للعيش في سوريا دون تأمين أيّ بديل، لذا لن يكون أمامهم أيّ خيار سوى التماهي التام مع التنظيم المتطرف والتعرض للإبادة، أو محاولة الفرار خارج البلاد.

وتضم المناطق الواقعة تحت سيطرة داعش حوالي ثلث عدد سكان سوريا، وإذا أضفنا إلى هذا العدد الثلث الذي ترك البلاد، لا يتبقى سوى الثلث الذي يتألف من كوكتيل متوازن عدديا من الأقليات العلوية والمسيحية والدرزية، إضافة إلى وجود سني خرج من واقعه الأكثري ليتحول إلى تنويع أقلوي الطابع. وهذه الأقليات الهشة لا تغري أحدا بالاستثمار فيها حيث لا يمكن لأيّ واحدة منها السيطرة وتشكيل بنية نظام أو دولة، لذا يرجّح أنها ستترك لمصيرها.

يقودنا منطق الحرب على الإرهاب في سوريا إلى استنتاج مفاده أن سوريا الجديدة التي يعمل على خلقها ستكون بلا سوريين. هذا السيناريو يفرض على الدول الإقليمية تحجيم دورها الخارجي، ويجبرها على الانكفاء نحو الداخل، أو الحرص على حصر عناوين التدخل الخارجي بسياقات محدودة، مرتبطة بشكل مباشر بالوضع الداخلي.

إيران ستجد نفسها مدفوعة إلى سحب استثمارها العسكري في سوريا، والحرص على بلورة مفاعيل الاتفاق النووي في الصراع الداخلي الذي بدأ يظهر بوضوح بين المحافظين والمتشددين، حيث يسعى كل طرف إلى الاستفادة من الواقع الجديد الذي يؤسس له في الداخل الإيراني.

من هنا نفهم أن عودة المرشد الأعلى إلى خطاب العداء لأميركا وإسرائيل، الذي كان قد غاب عن التداول طوال هذه الفترة، ليس سوى رسالة داخلية يتوجه بها إلى روحاني وفريقه وإلى الإصلاحيين على أعتاب انتخابات البرلمان ومجلس الخبراء.

من هنا يمكننا أن نستنتج أن حزب الله لم يعد استثمارا إيرانيا مفيدا في هذه المرحلة، بل بات مجرد تفصيل صغير في السجال الإيراني الداخلي، لذا فإنه من المتوقع أن نشهد في الفترة المقبلة انكفاء الحزب نحو الداخل اللبناني، ومحاولة انتزاع موقع أساسي فيه، لأنه الملاذ الأخير له.

> إيران ستجد نفسها مدفوعة إلى سحب استثمارها العسكري في سوريا والحرص على بلورة مفاعيل الاتفاق النووي في الصراع الداخلي الذي بدأ يظهر بوضوح بين المحافظين والمتشددين

تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى الأهمية الاستثنائية التي يتخذها الحراك الشعبي لناحية منع حزب الله من إحكام سيطرته على مقاليد الأمور في البلاد. تكمن هذه الأهمية في كون الحزب كان قد عمل جاهدا على إلغاء السياسة، وتفجير الحياة العامة، وتدمير كل متطلبات العيش، ومنع النقاش بشأنها تحت عنوان الجهاد ومتطلبات المعركة.

حرمان الحزب من هذه العناوين يضعه في مواجهة حراك شعبي لا يطرح في وجهه أسئلة كبرى تعوّد أن يجيب عليها عبر ضخ عناوين أيديولوجية، وشعارات طائفية، وبث منطق التخويف. فالحراك الشعبي، الذي يشكل الشيعة جزءا كبيرا منه، يطرح عليه مواضيع حياتية مباشرة يجد نفسه عاريا أمامها، من قبيل الكلام الذي رفع في الحملات الشعبية مرفقا بصورة نصر الله والذي يعلن ساخرا "عنا بالضاحية مافي شي، لا كهربا ولا مي ولا شي".

السعودية تبدو كذلك مشغولة بالداخل، حيث لا يمكن النظر إلى تدخلها في اليمن الذي تسعى بشكل واضح إلى تقصير مدته، والتوصل إلى تسويات منطقية بشأنه، سوى أنه يأتي في سياق الاهتمام بتحصين الساحة السعودية الداخلية. هكذا لا يتوقع أن تولي لبنان اهتماما كبيرا بل أن تسعى إلى بقاء الأمور على حالها، والحفاظ على الخط الأحمر الوحيد المجمع عليه سعوديا ودوليا بشأن لبنان، والذي يبدو أنه يقتصر على منع الانفجار الأمني. الهموم الحياتية التي تحرك الشارع ليست محل اهتمام السياسة السعودية، وليس من المتوقع

> مسار الحرب الدولية على الإرهاب في سوريا يعني أن كل الدول الإقليمية ستعمل في هذه المرحلة على تقليل التورط في الخارج قدر الإمكان وضبطه ضمن الحدود التي تضمن استقرار الداخل

أن تساعد حلفاءها في لبنان على إيجاد حلول لها. هكذا يجد تيار المستقبل، حليف السعودية الأبرز في لبنان، نفسه في موقع يضعه في تماس مع الحراك الشعبي.

الانكفاء صوب الداخل الذي فرضه مسار الحرب الدولية على الإرهاب في سوريا يعني أن كل الدول الإقليمية ستعمل في هذه المرحلة على تمكين الأوضاع الداخلية، وتقليل التورط في الخارج قدر الإمكان، وضبطه ضمن الحدود التي تضمن استقرار الداخل. ويبدو لبنان في ظل هذه التحولات الحلقة الأضعف لأن لا شأن داخليا فيه لا يرتبط بالخارج، فهو يعيش تحت تأثير الخارج وانعكاساته. من هنا يمكن أن نتوقع استمرار سيطرة حالة المراوحة والجمود على المشهد اللبناني إلى أجل غير مسمى.

* كاتب لبناني

مُجدّد ديني دفع ثمن شجاعته غاليا

الشيخ علي جمعة المثير للجدل بفتاواه وآرائه السياسية

بهاء الدين يوسف

بين فريق يراه نجم نجوم مشايخ الفضائيات، وفريق آخر يصفه أنه واحد من علماء السلطان، يبقى الشيخ علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف والمفتي السابق أكثر شيوخ مصر إثارة للجدل بفضل، فتاواه التي تجلب عليه الكثير من الهجوم وأحيانا السخرية، مع أن نظرة موضوعية خالية من "التسييس"، يمكن أن تقود إلى قناعة بأن تلك الفتاوى تشكل في مجموعها معالم للتجديد المأمول في الخطاب الديني، وطبعه بروح عصرية.

قد يكون ما جعل الشيخ علي جمعة في مرمى النيران ليس فتاواه التي تخرج غالبا عن المألوف من آراء علماء الإسلام، لكن جرّاء مواقفه السياسية المعلنة والواضحة ضد جماعة الإخوان المسلمين التي ظلت منذ نشأتها قبل أكثر من 80 عاما تستمد شرعيتها السياسية من غطائها الديني كحامية حمى الإسلام في مصر، وهو ما جادلها فيه المفتي السابق في وقت تراجع فيه شيوخ أجلاء عن المعركة إيثارا للسلامة.

لهذا يندر أن تجد موقعا أو صفحة إخوانية على الإنترنت، دون أن يكون فيها جناح خاص للهجوم على الشيخ علي جمعة والسخرية منه ومن فتاواه التي يصمونها بالجهل وخدمة السلطة والاجتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم، دون أن يحاول أحدهم مناقشتها بشكل موضوعي.

المحاسب الفقيه

الشيخ علي جمعة المولود في الثالث من مارس عام 1952 تخرج أولا في كلية التجارة جامعة عين شمس في منتصف سبعينات القرن الماضي، قبل أن يلتحق بجامعة الأزهر، حيث تدرج في دراسة أصول الفقه حتى حصل على درجة الدكتوراه عام 1988.

رغم إسهامه في المكتبة الإسلامية بنحو 18 مؤلفا رصينا بخلاف مئات البحوث التي شارك فيها أو أشرف عليها والكتب التي حققها، إلا أن الهجوم الإخواني عليه يتركز على شهادته الجامعية المدنية ودراسته في كلية التجارة، فتجد أن كثيرا من التعليقات على آرائه تتضمن عبارة مثل "ماذا تنتظرون من خريج كلية التجارة"، دون النظر لمشواره الطويل في دراسة الفقه الإسلامي وكتاباته المتعددة عنه.

يتميز الشيخ علي جمعة بالشجاعة التي تتجاوز في بعض الأحيان الحدود الآمنة، خاصة في ظل مزاجه العصبي الذي يتشابه فيه مع د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الراحل، وهو ما كلّفه الوقوع في شرك الغضب الذي ينصبه له بعض المتصلين به في برامجه التليفزيونية، فيخرج عن حلمه المعتاد ليقول كلاما يتاجر به المتربصون، مثل تلك الواقعة التي انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي ونقلتها العديد من الصحف عن اتصال هاتفي تلقاه المفتي السابق من امرأة متعاطفة مع الإخوان تعمدت فيه استفزازه حتى بلغ الحوار مرحلة السباب المتبادل.

الدكتور-الشيخ جمعة سار على خطى الدكتور-الشيخ طنطاوي في مسألة أخرى هي الإقدام على الظهور في مناسبات اجتماعية يختلط فيها بالفنانين وأهل السياسة، وهو ما جلب عليه حملات تشويه متعمدة، مثل ما حدث مؤخرا عقب حضوره احتفالية "أمّة واحدة"، رغم أنها أقيمت في الأصل لغرض نبيل هو تكريم عدد من الأمهات، إلا أن حضور الفنانات، يسرا وإلهام شاهين ومنى عبدالغنى والإعلامية بوسي شلبي، تسبب في إطلاق موجات من الهجوم المكثف ضد العالم الجليل.

فتاوى إشكالية

في وقت تنشغل فيه المؤسسات الرسمية في مصر بالعمل على تحقيق رغبة الرئيس عبدالفتاح السيسي في تجديد مفردات وآليات الخطاب الديني، يرى البعض أن مجموعة ضخمة من فتاوى الشيخ علي جمعة، خصوصا التي أطلقها عقب تركه منصب الإفتاء الرسمي عام 2013، عبر البرامج التلفزيونية التي يظهر فيها بشكل منتظم تصلح لأن تكون مقدمة متماسكة لخطاب ديني جديد، بما تحتويه من رؤية عصرية لكثير من "التابوهات" التي لم يجرؤ سوى عدد قليل من العلماء على مواجهتها من قبل.

من بين أبرز تلك الفتاوى، واحدة أباح فيها للمسلم الذي يعيش في بلاد غير المسلمين أن يعمل في مطعم يبيع الخنزير والخمور، لكن من دون أن يتناول هو نفسه أيّا منهما، وقد استند في فتواه على رأي الإمام أبي حنيفة حين قال: إن كل العقود الفاسدة في الديار التي تنكر الإسلام حلال كونها ليست محلا لإقامة الإسلام.

هناك فتواه التي كانت بمثابة قنبلة في أوساط الاقتصاديين وقت إطلاقها بما تضمنته من تحليل فوائد البنوك بشكل عام، انطلاقا من أن معاملات البنوك القائمة على الاقتراض في العصر الحالي لم تعد تستند على قاعدة الذهب والفضة، مخالفا إجماع علماء الأمة، وهو موقف لم يجاهر به عالم قبله سوى الشيخ طنطاوي نفسه في ثمانينات القرن الماضي، وهوجم كثيرا بسببه، خاصة بعد أن اقترب من منطقة استثمارية تقدر بمئات المليارات تحتكرها البنوك التي تدّعي التعامل وفقا للشريعة.

فتوى ثالثة بتشجيع السياحة الوافدة إلى مصر، وعدم جواز فرض التقاليد المجتمعية المحافظة على السائحين والسائحات الأجانب، بشرط التزامهم بالسلوكيات المحترمة.

كذلك أفتى العالم الإسلامي بجواز إفطار المسافر في "المصايف والرحلات"، على أن يتوب إلى الله بعدها، مع التأكيد على أن الصيام له أفضل لأن شهر رمضان الكريم لا يعوض.

لكن أكثر فتاواه المجددة جلبا للهجوم عليه هي تلك التي أوصى فيها الرجال المتزوجين بالاتصال (تليفونيا) بزوجاتهم قبل العودة الى المنزل التزاما بما وصفه بـ"الإتيكيت الإسلامي" المنقول عن حديث للرسول صلى الله عليه وسلم، جاء فيه قوله "أمهلوا حتى ندخل ليلا لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة" ويعني عدم مفاجأة الزوج لزوجته حتى تستعد لاستقباله.

لكن ما حدث أن الدكتور علي جمعة حين ذكر الحديث وتحدث عن الموقف أردفه بطرفة مثل التي يلجأ إليها أحيانا الكثير من الخطباء والعلماء فقال "اتصل بيها يا أخويا افرض معها أحد خليه يمشي".

الغريب أن موقف إبلاغ الزوجة قبل العودة إلى المنزل وقع في التسعينات إلا أن الهجوم العنيف عليه لم ينطلق إلا بعد 30 يونيو 2013 حين انقلب الإخوان على المفتي السابق وغيره من العلماء الذين وقفوا ضدهم وأيدوا عزل الرئيس الإخواني محمد مرسي.

الشيخ علي جمعة أصر على مواصلة الفتوى بما يراه صحيحا، دون أن يخشى لومة لائم فأصدر تصريحه المثير العام الماضي خلال ندوة بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، أكد فيه أن الله عز وجل لم يحرّم الزنا.

وقال الشيخ الجليل في الندوة التي كانت مخصصة لمناقشة كتاب "الإجماع" للدكتور علي عبدالرازق، إن القرآن الكريم لا توجد به آية صريحه تحرّم "الزنا"، معلقا على الآية 32 من سورة الإسراء التي تتحدث عن الزنا في القرآن الكريم بقوله "ربنا قال ولا تقربوا وما قالش حرام"، على حد تعبيره.

> الكثير من فتاواه يعكس رؤية مستنيرة لقضايا ظلت أسيرة لرؤى «اتباعية» وليست إبداعية تتعامل مع روح النص بمرونة ومراعاة للسياق التاريخي المتغير

هذه الفتاوى وغيرها الكثير يمكن أن تمثل، بحسب تقدير المهتمين بالفقه الاسلامي، مدخلا مناسبا لتجديد الخطاب الديني، بما يتماشى مع طبيعة العصر الذي نعيشه، خاصة أنها تعكس في مضمونها رؤية مستنيرة لقضايا ظلت أسيرة لرؤى "اتباعية" وليست إبداعية تتعامل مع روح النص بمرونة ومراعاة للسياق التاريخي المتغير.

في المقابل أصدر جمعة مجموعة من الآراء التي قوبلت بسخط التيار المدني مثل حديثه عن التبرك ببول الرسول صلى الله عليه وسلم، وفتوى إرضاع المرأة لزملائها في العمل، حتى تكون محرّمة عليهم ومن ثمة تسقط حرمة اختلاطها بهم، كذلك تصريحه بأن من حق الرجال النظر للمرأة المتبرجة التي تسقط بتنازلها عن ارتداء الحجاب حقها في غض البصر عنها.

قلب شجاع

بعيدا عن الجدال السياسي يظل الشيخ جمعة من أكثر مشايخ الأزهر الشريف، المؤسسة الإسلامية الرسمية في مصر، شهرة وانتشارا إعلاميا، بسبب مواقفه الواضحة والمعلنة في أوقات الأزمات، وهي مواقف قد يرجعها البعض إلى عدائه الظاهر لجماعة الإخوان المسلمين، بينما يعتبرها آخرون انعكاسا لشخصيته القيادية وشجاعته في الحق.

> علي جمعة في مرمى النيران ليس بسبب فتاواه التي تخرج غالبا عن المألوف من آراء علماء الإسلام لكن جراء مواقفه السياسية المعلنة ضد جماعة الإخوان المسلمين

يقارن كثيرون في هذا السياق بين موقفه الواضح في دعم الجيش والشرطة المصريين خلال أزمة فض اعتصام الإخوان في منطقتي النهضة ورابعة في 14 أغسطس 2013، وموقف أحمد الطيب شيخ الأزهر.

بينما صرح جمعة بكلمات لا تحتمل اللبس أن "الدماء التي سالت في رقبة قيادات الإخوان الذين كانوا (بيتنططوا) على منصة رابعة العدوية، وليس في ذمة المكلفين شرعًا ووضعًا وطبعًا في الدفاع عن الناس"، أصدر الطيب بيانا تبرأ فيه من الدماء التي سالت في رابعة، ونفى علمه بموعد الفض، قبل أن يعتكف في بيته الريفي بمحافظة الأقصر (جنوب مصر) مسقط رأسه لفترة من الزمن، في موقف قال محللون سياسيون إنه أفقد الحكومة القائمة وقتها الكثير من الدعم الشعبي لقرار فض الاعتصام.

فضيلة الشجاعة كلّفت المفتي السابق تبني مواقف سياسية صريحة بما يتعارض مع المبدأ الذي يدعو إليه مع أغلب علماء الأزهر بضرورة فصل الدين عن السياسة.

فقد جاهر خلال جولة الإعادة بين المرشحين محمد مرسي وأحمد شفيق في انتخابات الرئاسة عام 2012 بإعلان تأييده للثاني، بدعوى أنه أقرب إلى الله من مرسي، وذلك من فوق منبر المسجد خلال خطبة الجمعة، وقبل ذلك طالب المتظاهرين خلال ثورة 25 يناير 2011 بالعودة إلى منازلهم لأن الاحتجاجات خلقت وضعا لا يجد فيه المواطنون "لقمة العيش"، بينما اتخذ موقفا معاكسا خلال ثورة 30 يونيو عندما أكد سقوط شرعية الرئيس الإخواني محمد مرسي، لأنه إمام محجور عليه.

لكن الانتقادات العنيفة التي كالها الإخوان له، وفي مقدمتهم الشيخ يوسف القرضاوي، المقيم في قطر، الذي وصفه بأنه الجنرال علي جمعة، مردود عليها بآراء أخرى للرجل تثبت أنه لا ينطلق من دوافع ولاء سياسي أو مصلحي، فقد اختلف مع رأي عبدالعزيز آل الشيخ مفتي السعودية في ذروة تحسن العلاقات بين البلدين حول شرعية الاحتفال بالمولد النبوي، فقال نصا "إن من يرفضون الاحتفال بالمولد ويسمونها الموالد الشركية، فإن فكرهم هو فكر التكفيريين الدواعش".

كما رفض اعتبار الشباب الذي يلقى حتفه غرقا خلال محاولته الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا شهداء، واعتبرهم على العكس من ذلك "طمّاعين" فرّطوا في أرواحهم مجانا ولم يخرجوا في سبيل الله، وهو رأي شجاع لا يصدر إلا من رجل لا يضع السياسة في حساباته.

ضد العلمانية

من اللافت أن هناك الكثير من الاتهامات التي توجه للشيخ علي جمعة بأنه من المفرّطين في الدين، بسبب آرائه المستنيرة ومواقفه ضد جماعة الإخوان، وهي اتهامات ليست مبنية في مجملها على قراءة دقيقة في شخصيته، إذ أن رفضه لا يقتصر فقط على الإخوان، إنما لكل تيار أو جماعة إسلامية مستقلة، انطلاقا من إيمانه الراسخ بأن العلماء هم الذين درسوا علوم الدين كافة في الأزهر وتخرجوا منه.

وطالب في أكثر من موقف سابق أن يقتصر تدريس الشريعة الإسلامية وتجديد الخطاب الديني على علماء الأزهر، نظراً للتخصص الذي ينشأ عليه طالب العلم في جميع مراحل التعليم حتى يحصل على الدكتوراه.

ويتجاهل المنتقدون العديد من المواقف الحاسمة للمفتي السابق في مواجهة العلمانيين، ومنها موقفه ضد من يصفون التراث الإسلامي بـ"العفن" معتبرا ذلك شكلا من أشكال قلة الحياء والأدب والدين أيضاً، وقال موجها كلامه لهؤلاء "يقول التراث العفن، عفن إيه يا معفن". كما هاجم علي جمعة الدعوات التي ظهرت قبل حوالي شهرين تطالب بخلع الحجاب، قائلا إن من يطلقون هذه الدعوات لا يقرأون دروس التاريخ.

> اتهام الشيخ بأنه من المفرطين في الدين يعود إلى آرائه المتقدمة ومواقفه الحاسمة ضد المتطرفين، وهو اتهام غير مبني في مجمله على قراءة دقيقة لشخصيته وفكره

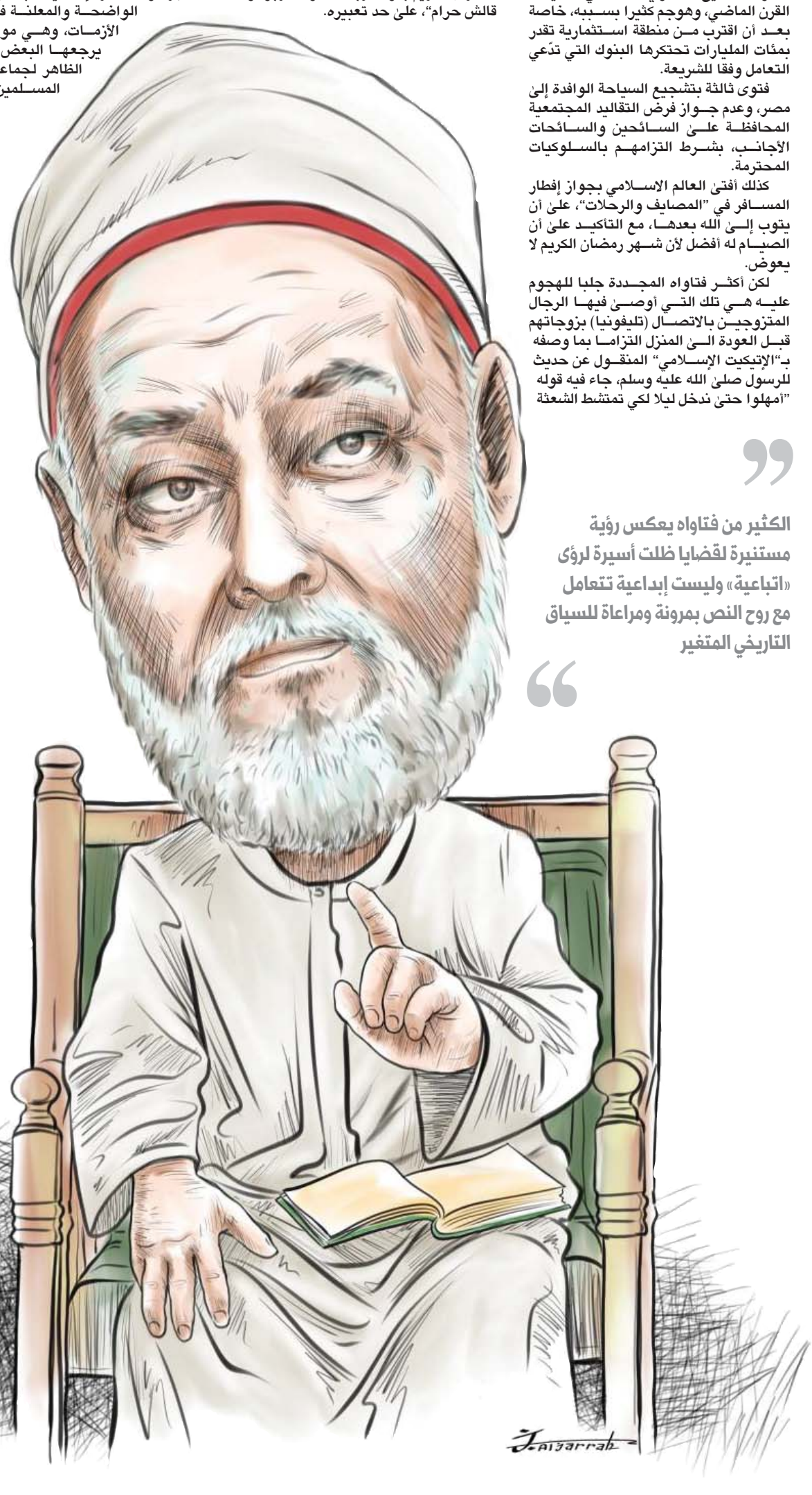

رجل من أصحاب الحمولة الثقافية رحل وهو ما يزال يؤمن بالأمّة

إنعام الجندي العروبي التائه في خراب المدائن

علي سفر

❑ برحيل الكاتب والسياسي إنعام الجندي، يختتم مشهد أربعة وجوه من عائلة الجندي السورية، ساهموا جميعاً في إثراء واقع سوريا الراهنة، إذ أن أيّ قارئ لتاريخها، ستمر معه مساهمات الأخوة سامي وإنعام وعاصم وعلي في السياسة، وفي الصحافة والثقافة.

ورغم أن هؤلاء كانوا جميعاً على علاقة وثيقة بنشوء حزب البعث ومراحل تطوره، بنسبة أو بأخرى، إلا أن معارضتهم الأصيلة لنظام حافظ الأسد، كانت واحدة وثابتة، ولم تختلف في تفاصيلها.

وإذا قرر أحد ما أن يبحث في تفاصيل سر الكراهية المتبادلة بينهم وبين هذا النظام، سيجد أن أصول الأمر لا تتعلق بانقلاب الأسد على رفاقه في عام 1970 فقط، بل إنها تعود إلى زمن أقدم بكثير، هو زمن تسلط العسكريين على الحياة السياسية في سوريا منذ نهاية أربعينات القرن الماضي، حينما استولى حسني الزعيم على السلطة بانقلاب عسكري، مفتتحاً جولة انقلابات انتهت باستيلاء أديب الشيشكلي على مقاليد الحكم في ذلك الوقت.

مثقفون وعسكر

الأخوة الجندي، لم يكونوا من العسكريين، مثل أفراد آخرين من عائلتهم كعبدالكريم الجندي الذي قيل (وهي رواية يشكك فيها السوريون دائماً) إنه انتحر بطلقة في الرأس في العام 1968. بل كانوا من فئة المثقفين الذين آمنوا بفكر "البعث"، كما رسمه "المعلم الأول" زكي الأرسوزي.

ورغم خوض أكبرهم الدكتور سامي في عالم السياسة منذ وقت مبكر، أي منذ نهاية أربعينات القرن الماضي، إلا أنه سعى إلى تغليب الأخلاق على السياسة، وربما تكون مطالعاته النقدية التي قدمها منذ منتصف الستينات لتجربة حزب البعث في سوريا، والتي قادته إلى الاعتقال غير مرة، توضح موقفاً جذرياً، يتناقض مع ما صنعه عسكر "البعث" بالسلطة التي أمسكوا بها، حيث جروا البلاد إلى الهزائم والخراب.

أديب الشيشكلي ذاته خاطب سامي الجندي في لقاء يرويه الأخير في كتابه "البعث" قائلاً "أنتم طيبون، مصيبتنا بكم أنكم خياليون، نحبكم، ولا نثق بقدرتكم على إدارة مدرسة ابتدائية"، ولعل وضع كلام الشيشكلي ضمن سياق تحولات الحياة الحزبية في سوريا الخمسينات وما تلاها يوضح إلى أيّ درجة، كان العسكريون لا يرون في الفئة المثقفة من الحزبيين، سوى مجموعة من الشعراء الحالمين، الذين يمكنهم إلهاب خيال الجماهير، لتسير وراء الشعار السياسي، لينقض العسكريون لاحقاً على القيادة وليستأثروا بالسلطة، مبعدين أعداءهم، والذين يقف المثقفون بمواقفهم النقدية في طليعتهم.

وإذا كانت قدرة سامي الجندي العالية على تحمل الصراعات السياسية، قد جعلته يدخل في المشهد العام حتى نهاية فعالية القوى السياسة، على يد النظام الذي ألغى الحياة الحزبية والعامة في سوريا منذ 1970، فإن قدرة أخيه إنعام على التحمل بدت أقل وأقصر بكثير، فقد غادر سوريا إلى لبنان منذ أن تسلط الشيشكلي ذاته على السلطة، حيث يروي قريبه محمد الجندي عنه أنه "ألقى قصيدة في وجه الدكتاتور المستجد مطلعها:

"يا جبان من تخيف؟
ليس في الدرب ضعيف
دربنا في حلك الليل مخيف".

وفي لبنان، عمل مدرساً وبدأ بنشر المساهمات الأدبية في صحفه ومجلاته، إذ أنه وفور وصوله شارك وفاز في مسابقة للقصة القصيرة أعلنت عنها إحدى المجلات، عبر قصة قصيره بعنوان "سأربح الجائزة".

تشكيل الوعي القومي

صفحات المجلات الأدبية اللبنانية ولا سيما منها مجلة "الأديب" في الخمسينات تزخر بمساهمات أدبية لإنعام الجندي، إلا أن ذكر الرجل في المشهد اللبناني عامة غالباً ما كان يتوقف على مساهمته في تشكيل الوعي القومي، لدى العديد من أفراد الجيل الثقافي والسياسي هناك، وضمن هذا السياق تحدث عدد من الباحثين اللبنانيين عن دوره، حيث يقول حازم صاغية في دراسته عن البعث في لبنان "نشط إنعام الجندي في مجال نشر الدعوة في هذا الوسط، وهو الكاتب البعثي السوري المقيم في لبنان، والعامل في التدريس والصحافة معاً. كذلك حضر أساتذة البعث الكبار. فقد جاء انتقال عفلق والبيطار والحوراني إلى بيروت، أوائل الخمسينات، هرباً من دكتاتورية أديب الشيشكلي، بمثابة تأسيس لمحطة مرجعية يحج إليها المحازبون الأوائل ويسألونها فتاواها. وعلى مدى سنوات لاحقة، استُخدمت بيروت مطبعة للبعث في سوريا، ومكاناً للقاء (الأساتذة) بالصحافيين الأجانب، فضلاً عن توفيرها البيت والفندق والمقهى لبعثييها حين يهربون من حكامهم العسكريين".

أما إلياس الفرزلي فيروي قائلاً " التقيت عفلق بعد مغادرته سوريا برفقة أكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار عام 1953 لتفادي أديب الشيشكلي. لجأ الثلاثة إلى لبنان. وفي ذلك الحين، كان زميلي في التعليم إنعام الجندي، وهو بعثي كبير من الجيل الثاني للحزب، وشقيق سامي الجندي الذي أصبح وزير إعلام بعد 8 آذار في سوريا. وكان مسؤول الاتصال القومي في الحزب. ودفعتني صداقتي به إلى التعرف على عفلق والبيطار والحوراني في بيروت".

بدوره يسهب معن بشور في رواية أخرى عن تأسيس البعث في لبنان فيقول "الخلايا الأولى، أشرف على إعدادها وتثقيف أعضائها المدرّس السوري القادم من السلمية إنعام الجندي الذي ترافق عمله التأسيسي مع تنام واضح في دور حزب البعث في سوريا في مناهضة حكم أديب الشيشكلي (1951 – 1954)، ومع لجوء مؤسسي البعث عفلق والبيطار، ومعهما مؤسس الحزب العربي الاشتراكي أكرم الحوراني إلى لبنان، حيث تكونت بوادر الوحدة بين الحزبين (البعث العربي والعربي الاشتراكي) في حزب البعث العربي الاشتراكي".

تأسيس الإعلام العربي

غير أن تأثير الرجل لم يكن حكراً على البعثيين، حيث روى الشيوعي كريم مروة في حوار أجراه معه الصحفي صقر أبو فخر عن تأثيرً إنعام الجندي به وبعدد من زملائه فقال "لا بد من الإشارة إلى الدور المباشر الذي لعبه أستاذنا في الكلية الجعفرية إنعام الجندي في توجيه وعينا وتهذيبه. وإنعام الجندي كان متأثراً بزكي الأرسوزي، رغم أنه ينفي ذلك، اليوم. وطالما حدثنا عنه وعن فكره وطموحاته وتصوراته لمستقبل الأمة العربية. ولأن إنعام الجندي كان يتميز بصفات إنسانية لافتة كنا نشعر وهو أستاذنا. أنه واحد منا. كنا نعيش معه ونخرج معه ونلعب معه، ونمضي السهرات الطوال معه في الحديث والنقاش في أمور عديدة، سياسية وثقافية واجتماعية. وقد أسهمت طريقته هذه في التعامل معنا ببث الوعي فينا، قومياً وفكرياً".

غرق إنعام الجندي في العمل الحزبي، لم يجعله بعيداً عن مجاله الأول أي التدريس والكتابة الصحفية والإبداعية، فقد كان حاضراً في عمل عدد من الصحف والمجلات اللبنانية كجريدة "الصحافة" و"الأسبوع العربي" و"الدستور" و"الوطن العربي" و"الفجر" و"الطليعة العربية".

كما ساهم في العديد من المطبوعات العربية، حيث نعثر على مساهمات تأسيسية لافتة له في مجلة العربي الكويتية منذ العام 1959 تذهب في معظمها نحو التأكيد على نزعة عروبية قومية، كدراسته التي حملت عنواناً يدل على مضمونها هو "شعوبية ابن المقفع، كما تشهد بها كتبه وتنطق بها رسائله".

بقي إنعام الجندي في لبنان رغم كل المخاطر التي واجهت هذا البلد بشكل عام، وواجهته بشكل خاص، ضمن سياق الاصطفافات التي شهدها البعثيون ضمن سلسلة الانشقاقات، بين من يتبعون القيادة القومية ميشيل عفلق، ومن تبع القيادة القطرية في دمشق، والتي مرت بعدة أطوار، ناصبها العداء، بسبب تخليها عن أفكار البعث الأولى وتحوّلها إلى واجهات لصراع المصالح والنفوذ.

وهكذا شكل اصطفافه مع تيار عفلق خطراً عليه، ولكنه لم يتخل عنه، فساهم في أدبيات التيار طيلة عقود، حيث يروي رفيق دربه العراقي علي نافذ المرعبي في كلمة تأبينية عنه نشرها في موقع "شبكة البصرة" قائلاً "منذ أن عرفته قبل حوالي أربعين عاما، استمر الود والعلاقة الفكرية والنضالية سواء في لبنان في كل المراحل صعوبة وخطورة، وكنت أواظب على زيارته في منزله بزقاق البلاط خلال الحصار الصهيوني عام 1982 وتأمين ضرورات الحياة له ولأسرته،

ولاحقاً في فرنسا عبر نضال دؤوب دفاعاً عن قضايا أمتنا العربية وخاصة فلسطين والعراق حيث تعاونا في إصدار دوريات عربية تعنى بالدفاع عن ما نؤمن به فأصدرنا "الفجر الجديد" عام 1990 والتي استمرت حتى العدوان على العراق. ثم أصدرنا لاحقاً أسبوعية "صوت الأحرار" عام 2003 باللغتين العربية والفرنسية".

تعرّض إنعام الجندي لمحاول اغتيال في بيروت دفع به للمغادرة إلى فرنسا، ومن ثمة إلى الولايات المتحدة الأميركية، ليتنقل بينهما، حيث عاش ابتعاداً عن الأوساط السياسية والثقافية، كانت تخترقه محاولات صناعة فضاءات جديدة في الثقافة والمعرفة، غالباً ما كانت تفشل في زمن انحسار الوعي القومي لصالح التوجهات القطرية والمحلية، ومن هذه التجارب محاولته مع المرعبي في عام 2008 إطلاق مجلة ثقافية فكرية تحمل عنوان "ذرى".

مساهمات الجندي الأدبية كثيرة، ولكن لم ينشر منها سوى القليل، حيث نشر رواية "زمن الرعب" في العام 1961، و"انفجار" في العام 1975، ورواية "الجرثومة" في العام 2007. وكذلك هو حال مؤلفاته السياسية، والتي نشر منها في العام 1959 كتاب "إلى أين يسير الشيوعيون بالعراق؟" والذي كتب مقدمته الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.

عرف الجندي في الأوساط الأدبية كمترجم للعديد من الكتب المهمة، كرواية "الغريب" لألبير كامو في العام 1955، ورواية "مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز، التي ترجمها بالاشتراك مع أخيه د. سامي في العام 1979. إلا أن إنعام الجندي كتب في النقد الأدبي وفي الفلسفة مؤلفات عدة اعُتبرت بمثابة مراجع يعود إليها الباحثون في تاريخ الأدب العربي، ومن هذه الكتب "الفلسفة عند العرب" في العام 1965، وكتاب "دراسات في الأدب العربي" في العام 1967، وكذلك كتاب "الرائد في الأدب العربي" في العام 1981، وأيضاً "المتنبي والثورة" في العام 1992.

غير أن آخر مساهماته في حقل الترجمة كانت كتاب "الديمقراطية بوجه داعر" للمحامي الفرنسي جاك فرجيس والتي لم تصدر حتى الآن، لعدم التوصل إلى تفاهم مع دار النشر الفرنسية التي تملك الحقوق. كما يقول المرعبي.

المذكرات الخطرة

كتب إنعام الجندي مذكراته عن حياته السياسية، ولكنها بقيت مخطوطة مكتوبة بخط يده، وقد ذكر الإعلامي الأردني عدنان العطيات المقيم في كاليفورنيا، أن الراحل زوّده بنسخة ليطلع عليها، حيث نشر العطيات الصفحة الأولى منها على صفحته على موقع فيسبوك، حيث كتب الجندي وتحت عنوان "ذكريات الوطن الدامي" يقول "من البدايات: لم أكن أفقه شيئاً مما يدور في مدينتنا الصغيرة ولم تكن لديّ أيّ فكرة عما يدور في ما يسمونه العالم، كانت حدود العالم تنتهي بحدود مدينتي، بل بجزء منها، فأنا لم أكن بلغت كل أطراف مدينتي. ما كان عمري؟ لا أدري أكاد لا أفيق، حتى أجد طريقي إلى بيت المؤونة، فإلى الزاروب ومنه إلى طريق عام، فإلى زاروب آخر، فإلى المقبرة، مروراً بجامع الإمام إسماعيل! بهذه المناسبة أذكر أن سلمية (بلدتي) عرفت بأنها عاصمة المذهب الإسماعيلي، ولكنها تضم مذهباً آخر، هو السني، وقد علمت في ما بعد، أن والدي من دعا إليه، وعلمت بعد زمن طويل، من مخطوطات قديمة كانت لدى والدي أن إسماعيل بن جعفر الصادق، رفض قرار أبيه بالتخلي عن العمل السياسي، والانصراف إلى العمل الحضري، فلاحقته السلطات، فأعلن أبوه أنه توفي، وخرج المواطنون في بغداد لتشييعه، فلما صاروا إلى المقبرة، خرج إسماعيل من التابوت، ليمتطي وبعض صحبه خيولاً، اتجهوا بها غرباً حتى السلمية حيث استقروا وقد بنوا جامعاً دعي (جامع الإمام إسماعيل) فلما توفي دفن في قبر ما يزال، في ما يشبه الغرفة على يمين الباب، أي باب الجامع. والاسماعيليون يجللون القبر بالشاش وهو قماش رقيق يأخذون منه خلعاً (أي مزقاً) تيمناً وتبركاً".

ويتابع:

"اعترض طريقي يوماً أحمد ميوس،
– إلى أين؟
– إلى بيت جدتي أم أمي.
– ألا تريد التعرف إلى قبور العائلة؟
مضيت معه
– هذا قبر جدك علي، هذا قبر جد أبيك أحمد، يقال إن جد أبيك إسماعيل اعتقله العثمانيون، ورحلوا به ولم يعد، هذا قبر عمك سليمان، هذا قبر عمتك فاطمة ، هذا..
لم أكن أفهم معنى القبر، والموت، قلت لأحمد، سأسأل جدتي، قال: لم لا تسأل جدك؟
مضيت، أحسست بصقيع أكرهه. كنت أحب السير حافياً، ذلك الصباح أزعجتني برودة التراب. (كل أزقة السلمية تراب)، ولكني تابعت حتى بلغت باب الدار.
الباب مغلق إلا باب الخوخة، وهو باب صغير وسط باب الدار الضخم، وجدتي تصيح: أمسكوا الحصان الحديدي، خفت من ذلك الحصان، وتسربت إلى حضن جدتي، التي ضمتني كأنها تخشى عليّ من أذى ما، ضحك حسين السيد حتى كاد يسقط من طول ما ارتجف وهو يضحك، قال لجدتي: إنها سيارة يا أم محمد، والواقع أنها أول سيارة تدخل المدينة الصغيرة!".

رحل إنعام الجندي قبل أيام، بعد أن عاش في عزلة اختيارية، وفيما نعاه بعض عائلته والأصدقاء، كان النعي الرسمي الوحيد هو بيان للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في قطر العراق.

> ذكر إنعام الجندي في المشهد اللبناني يتركز على مساهمته في تشكيل الوعي القومي، لدى العديد من أفراد الجيل الثقافي والسياسي هناك، وضمن هذا السياق تحدث عدد من الباحثين اللبنانيين عن دوره، كما يقول عنه حازم صاغية

> مساهمات الجندي الأدبية كثيرة، يعرف منها القليل، حيث نشر رواية «زمن الرعب» في العام 1961، و«انفجار» في العام 1975، ورواية «الجرثومة» في العام 2007. وكذلك هو حال مؤلفاته السياسية، والتي نشر منها في العام 1959 كتاب «إلى أين يسير الشيوعيون بالعراق؟» والذي كتب مقدمته الرئيس الراحل جمال عبدالناصر

لبناني مغامر بحياته وبالقضايا الكبيرة

جرجي زيدان ومأزق المؤرّخ في رواية الحدث الذي يقع الآن

سعد القرش

❑ ما يحدث في العالم العربي اليوم، وما تتداوله وكالات الأنباء، والجهات السياسية التي تقف خلف كل خبر، إضافة إلى التباين الكبير في زوايا النظر إلى الحدث ذاته، فكل يراه بما يتلاءم ومصالحه، وقناعاته، كل هذا يعيد إلى الذهن مأزق المؤرخ، وهو يشهد على الحدث، ناهيك عما يرويه من أحداث قديمة اختلفت أسانيدها، فأيّ الروايات يأخذ، وأيّ المصادر تعدّ هي الحقيقة؟

التاريخ والتأليف

يمكن لأي مثقف امتلك حرفة الكتابة، وبرع في صياغة الحدث، أن يقدّم رؤيته للزمن، وقد يكون المعيار في تلقي تلك الرؤية، متوقفاً على بلاغة المصدر، لا على دقته، وفي طريقة تقديمه وليس على صحته، فإن قيل إن المسيحيين والأكراد الإيزيديين اليوم يتعرضون للاضطهاد على يد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، فإن هذا سيكون صحيحاً، ولكنه ليس كل الحقيقة، دون أن يجري ذكر الاضطهاد الكبير والوحشية التي يمارسها التنظيم ذاته على العرب السنة في النطاق الذي يحتله.

وإن قيل إن الشعوب العربية تتعرض لاضطهاد الأنظمة التي تحكمها، فسيكون هذا صحيحاً، لكنه ليس كل الحقيقة، فهناك بين تلك الشعوب من حمل السلاح في وجه تلك الحكومات، وتحوّل إلى إرهاب سياسي وعنفي، وإن قيل إن شعب بلاد الشام يتعرض لإبادة وتهجير على يد نظام الأسد، فسيكون هذا صحيحاً، لكنه أيضاً يتعرض للأمر ذاته على يد تنظيمات متطرفة أخرى.

وهكذا يصبح التاريخ الذي يقع الآن، ورطة كبرى، كان قد مرّ بها وتعرّض لسهامها كاتب كبير انتقل من لبنان إلى مصر، وعاش فيها وترك فيها آثاره الهامة، إنه جرجي زيدان، الذي اتهم بأنه كان يؤلف التاريخ، أكثر من كونه يوثقه.

طالب الطب المثقف

يمكن لكاتب مسرحي أو روائي أن يتخيل مسارا آخر لحياة جرجي زيدان (1861 ـ 1914). أن يواصل دراسة الطب في بيروت، ثم يكمل دراساته العليا في لندن أو باريس، ويعود إلى بلاده طبيبا ناجحا، وتستهلك الإدارة نجاحه وتستنزف موهبته، فينتهي كما ينتهي أغلب الأطباء، ثم لا يكون له ذكر إلا في جيلين أو ثلاثة أجيال لاحقة في عائلته.

ولكن المصادفة منحت جرجي زيدان أحفادا يتناسلون، ولا تنقطع سيرته بينهم، في عموم العالم العربي، وبامتداد العالم الكبير مادام هناك من يكتب أو يقرأ العربية. بعد اجتياز السنة الأولى فصل الشاب من الكلية، بسبب مشاركته في احتجاج، وفتحت له مصر قلبها ليلتحق بكلية الطب «قصر العيني»، ويصل إلى الإسكندرية عام 1883. كانت مصر جريحة، تداوي آثار حرائق الجيش البريطاني الغازي، والفلاحون في التل الكبير يشمون شواء جلود الأبطال، وفي مقدمتهم محمد عبيد.

> أكثر روايات جرجي زيدان إثارة وانتشارا في الغرب، روايته «العباسة أخت الرشيد أو نكبة البرامكة»، التي اعتبرت مشوهة لحياة هارون الرشيد، وأخلاق أخته العباسة، حيث كتب النقاد أن زيدان عبر فيها عن شعوبيته وتعاطفه مع الأقليات، وقدم فيها رؤيته الخاصة لما عرف باسم «نكبة البرامكة»، وقد ترجمت هذه الرواية إلى الفرنسية، وكتب لها الروائي الفرنسي كلود فارير مقدمة خاصة

استعاد الاحتلال العثماني عافيته بعد عزل الخديوي إسماعيل، تمهيداً لدخول البلاد مرحلة جديدة من الاحتلال المركب.. البريطاني ـ العثماني. وقد حسم فرمان «عصيان عرابي» الأمر، وأصدر توفيق منشورا «لجميع المصريين بأن الشقي العاصي أحمد عرابي قد ارتكب آثاما فظيعة جعلت دول أوروبا ناقمة على مصر، وباتت الآن تعتبر المصريين أمّة غير متمدنة، وهذه الجرائم والآثام منحصرة في عصيان عرابي المذكور وتحريضه لرعايانا على السير تحت لواء عصيانه لأوامر حضرتنا، وهي الأوامر التي صدرت إليه بالانقطاع عن إغضاب الإنكليز، وعدم منعهم من نزول الإسكندرية التي أضرم فيها عرابي النار. كل شخص يعرف عنه أنه ميال أو ذو ضلع مع العاصي ابن العاصي والكافر ابن الكافر أحمد بن محمد عرابي عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان. وكل من يصر على عصيانه وانقياده للشقي المذكور أعلاه سيكون مذنبا أمام الله.. العساكر الإنكليزية يعتبرون نائبين عنا في قطع دابر عرابي ومن معه من المفسدين العصاة».

ونشرت «الأهرام»، يوم 15 سبتمبر 1882، تحت عنوان «البشرى العظمى» تهنئة للخديوي بمناسبة في «احتلال العاصمة»، وتمكن الجيش الإنكليزي من القبض على «العاصي عرابي»، والذين معه، «وابتسم ثغر مصر واهتز عطفها طربا وتهللت القلوب فرحا، ولسان الحال ينادي: بشراك يا مصر بشراك فقد نلت المنى ودخلت العساكر الإنكليزية باسم الحضرة الخديوية عاصمة بلادك، وانفتحت لأبنائك أبواب العصر الجديد فادخلوها بسلام آمنين. وارتع أيها الأمير في بحبوحة النصر والظفر، العاصي عرابي والذي لا يخرج إلا نكدا. أين المفر أيها الباغي وسيف العدل مسلول بماذا تحتج الآن وأنت في قبضة جيش الإنكليز الباسل».

زيدان يرحل إلى مصر

في ذلك السياق النازف غادر جرجي زيدان لبنان تحت سطوة الاحتلال العثماني، واحتضنته مصر. ولكن الفرق بين البلدين أن مصر، في أسوأ الأحوال، تحتفظ بمفهوم «الدولة»، وهذا اختيار وقدر له تبعاته ومساوئه في عدم تشجيع روح المغامرة الفردية.

زيدان ثمرة «العقل الشامي»، إذا جاز الوصف. هو عقل طليق يؤمن بأن «أرض الله واسعة»، ولا يميل إلى التباكي على فرص ضائعة والتواكل وأوهام الاستقرار البليد، هذه من سمات «العقل الزراعي» المستكين في خوفه من عواقب المغامرة.

لا تقتصر المغامرة على السفر، والاشتباك الحضاري مع عوالم جديدة، ولهذا كان أدباء المهجر، وغيرهم ممن منحوا أنفسهم حق التجربة وتفاعلوا مع العالم الرحيب، أكثر جرأة على التجديد، وتفجير اللغة، وطرح اشتقاقات صارت تراثا عاما نسينا أصحابه. تذكر رضوى عاشور في كتابها «الحداثة الممكنة.. الشدياق والساق على الساق. الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث» أن أحمد فارس الشدياق (1805 ـ 1887)، وقد تنقل بين لبنان ومصر وتونس وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا وتركيا، «تدين له اللغة العربية الحديثة بمصطلحات عديدة وضعها واستخدمها فشاعت بين الناس، ومنها: الاشتراكية والجامعة ومجلس الشورى والانتخاب والجريدة والباخرة والمستشفى والصيدلية والمصنع والمعمل والمتحف والمعرض والملهى والحافلة وطابع البريد والملاكمة والممثل والسكة الحديد وغيرها». كما تنقل عن فواز طرابلسي وعزيز العظمة قولهما، في مقدمتهما لمختارات من أعمال الشدياق ـ إننا «ندين له بمعظم ما هو حي وجديد في لغتنا».

> حكمة أبي هلال العسكري «أفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني» تستولي على فكر جرجي زيدان، ولهذا طرح أسئلة بعضها حسمته التجربة بتراكم الخبرة الحضارية والثورية أيضا (1919)، والبعض الآخر مازال مثارا «هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال»، «هل تنفع الروايات (إذا مثلت) أكثر مما تضر»

جاء زيدان إلى مصر ليدرس الطب، في أجواء مرتبكة. أغمض عينيه فرأى العالم ببصيرته. لم يلعن الدنيا التي أجبرته على ترك بلاده، ولا شكا إفلاسه وقلة حيلته، بل غامر وهو يعي أنه لن يخسر شيئا. عمل مترجما في الحملة البريطانية المتجهة لإنهاء الثورة المهدية عام 1884، بقيادة الجنرال بيكر، لإنقاذ جوردون، بعد فشل حملة الجنرال هيكس. ثم عمل بالصحافة والتدريس، وانشغل بتأليف الكتب والروايات، أما مغامرته الأكثر بقاء فهي «الهلال» وهي «مجلة علمية تاريخية صحية أدبية»، أنشأها في سبتمبر 1892. أدارها وكتب موادها متسلحا بثقافة موسوعية لا يشعر معها بعداء مع الآخر، ولا يرى نفسه دونه. انحازت «الهلال» إلى ما هو معرفي، وهو الرهان الرابح لزيدان، فكانت إنسانية التوجه ولاتزال، وهذا سر بقائها شابة وهي تستقبل عامها الرابع والعشرين بعد المئة.

نكبة زيدان مع العباسة أخت الرشيد

كتبوا عن جرجي زيدان، أنه قام بتشويه التاريخ الإسلامي عن قصد، وقيل إن كل رواياته التاريخية قد ألفت لتحريف حوادث ذلك التاريخ، وهدم رموزه، والنيل من "جلاله وجماله وكماله" كما يرد بالحرف في المقالات والكتب التي انتقدت جرجي زيدان، وقد استندوا في اتهاماتهم تلك إلى الاهتمام اللافت "المريب" الذي أبدته دور النشر في بيروت، بنشر أعمال زيدان، إضافة إلى ترجمتها إلى لغات عدة، حيث تمت ترجمة أعماله وأثناء حياته إلى الفارسية والتركية والهندية والأذرية وإلى لغات أوروبية عديدة، وكان أكثرها إثارة وانتشاراً في الغرب، روايته "العباسة أخت الرشيد أو نكبة البرامكة"، التي اعتبرت مشوّهة لحياة هارون الرشيد، وأخلاق أخته العباسة، حيث كتب النقاد أن زيدان عبّر فيها عن شعوبيته وتعاطفه مع الأقليات، وقدّم فيها رؤيته الخاصة لما عرف باسم "نكبة البرامكة"، وقد ترجمت هذه الرواية إلى الفرنسية، وكتب لها الروائي الفرنسي كلود فارير مقدمة خاصة.

قضايا حضارية وثورية

كان زيدان يتبع حكمة أبي هلال العسكري «أفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني»، ولهذا طرح في عدد «الهلال» الأول أسئلة بعضها حسمته التجربة بتراكم الخبرة الحضارية والثورية أيضا (1919)، والبعض الآخر مازال مثارا «هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال»، «هل تنفع الروايات (إذا مثلت) أكثر مما تضر»، سؤالان من بين 14 سؤالا تحت عنوان «مسائل تحتمل وجهين وفيها مجال للبحث»، مجرد طرح السؤال يؤكد التوجه الليبرالي، وعدم القطع برأي. سيكون سؤال «هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال» عنوانا لسجال بدأه جرجس إلياس الخوري، من طرابلس الشام في عدد 15 مارس 1894، واستمر سبعة أعداد متوالية، بمشاركة أكثر من عشرة «مجتهدين» من دمياط وبيروت والقاهرة وطرابلس الشام.

> جرجي زيدان يغادر لبنان تحت سطوة الاحتلال العثماني، لتحتضنه مصر. حيث الفارق بين البلدين حينها كان أن مصر، في أسوأ الأحوال، تحتفظ بمفهوم «الدولة»، وهذا اختيار وقدر له تبعاته ومساوئه في عدم تشجيع روح المغامرة الفردية

غريب كما لو أنه لم يقم على أرض بعينها

الجيلالي الغرباوي الفنان الذي اخترع الحداثة الفنية في المغرب

فاروق يوسف

❏ من أجل أن يغطي نفقات دراسته للفن كان يبيع الصحف نهارا، الرجل الذي قدر له أن يقيم في قلب العاصفة السريالية واحدا من أتباعها المخلصين، ويكون صديقا لمبدعين كبار من نوع الشاعر والرسام هنري ميشو والرسامين بيسيير وريستاني وهارتونغ وجان دوبوفيه. ألم يتعرف على سولاج وهو الذي تحمل بعض لوحاته أثرا لافتا من تجربة ذلك الفنان المهم من جهة اهتمامه بضربة الخط.

كل شيء في سيرة الفنان المغربي الجيلالي الغرباوي يشير إلى قوة وعمق وسعة امتزاجه بالمشهد الفني الباريسي المعاصر، الذي عاش تفاصيله بشغف مجنون بالحداثة الفنية التي قدّر له أن يكون رائدها في بلاده، وهي صفة لم تقلل من شقائه الشخصي، ذلك الشقاء الذي امتد مثل خيط مشدود بين سنوات طفولته الأولى ولحظة مماته جالسا على كرسي في حديقة عامة.

مشهد موته قبل ساعات من افتتاح معرضه الشخصي في باريس لن يتكرر، مثلما لن تتكرر تلك الثقة التي كان الغرباوي يهبها لخطوطه المرهفة والقلقة لتكون جسرا بين قارتين، بين ثقافتين، بين تاريخين من الصفاء الجمالي.

حياته القصيرة لم تكن إلا مختبرا لغربة أضفت عليه طابع الإنسان المتمرد ووسمت قلقه واضطرابه وحيرته بسماتها. عاش غريبا في باريس بالرغم من كل صداقاته العظيمة التي وهبته قدرا لافتا من الافتنان بالحياة وعاش غريبا في المغرب بالرغم من أنه كان يقف على الدرجة الأولى من سلم الإبداع، فهل كانت الغربة هي المقياس الذي يقيس به وقع خطواته على الأرض؟

الرسام ومنافسه

رسم الغرباوي أول لوحة تجريدية في تاريخ الرسم المغربي. حدث ذلك عام 1952. بعد ذلك بسنة رسم أحمد الشرقاوي اللوحة الثانية، غير أن الفنانين كانا قد تقاسما سبق الريادة الفنية، لا من جهة عنايتهما بالتجريد ومحاولتهما تكريسه أسلوبا فنيا، بل لأنهما جلبا تقاليد وقيما فنية جديدة، لم تكن التربية الفنية التي تبنتها المؤسسات التعليمية التي أنشأها المستعمر تقترب منها أو تشير إليها.

لقد نسف الفنانان الأسس المدرسية التي كانت قائمة على فكرة تقديس الحرف اليدوية، باعتبارها من وجهة نظر المستعمر الفن الوحيد الممكن في بلاد حُرم شعبها من نعمة الخيال. حملت رسوم الغرباوي والشرقاوي مقولة مختلفة تماما. هناك عناصر ومفردات ووحدات في الفنون الشعبية المغربية يمكنها أن تكون مصدر إلهام لبناء لوحة حديثة. لم يكن الفنانان معنيين بثنائية التراث والمعاصرة. كانت حياة الإنسان المغربي المتروك لقدره الجمالي المحض مثار دهشتهما.

كان الغرباوي بحكم تمكّن الغربة منه أكثر أوروبية من الشرقاوي، غير أن أصدقاءه الأوروبيين لم يكونوا من جهة ولاءاتهم الفنية أوروبيين تماما. كان ميشو بالأخص قد استلهم أسلوبه التبقيعي من الورق الصيني المصنوع يدويا وكان سولاج يدرّب يده على الكتابة باليابانية. الجيلالي هو الآخر عرف كيف يستعيد مغربيته من خلال الاستعانة بخيال الحرفيين المغاربة. يومها أي في السنوات الأولى من ستينات القرن الماضي كان المغرب يعيش مزاجا فنيا حداويا، لذلك التف فنانون شباب مثل محمد المليحي وفريد بلكاهية حول الغرباوي معتزين بفتوحاته الجمالية والفكرية على حد سواء. غير أن شخصية الغرباوي القلقة لم تكن ترى في ذلك التكريس إلا نوعا من الوقت وخيانة المكان.

الشقاء الذي يدر أموالا

ولد الغرباوي في مدينة جرف الملح التابعة لسيدي بلقاسم في المغرب عام 1930. في سن العاشرة فقد أباه وأمه فكفله عمه. التحق بعد ذلك بميتم ليتعلم مهنة يدوية. اخترق سنوات يتمه ليصل إلى التعليم الثانوي في مدينة فاس، من بعده التحق بمدرسة الفنون الجميلة التي غادرها بمنحة دراسية إلى باريس حيث درس الرسم في المدرسة العليا للفنون الجميلة أربع سنوات ألحقها بسنة قضاها في أكاديمية جوليان.

عام 1956 حصل على منحة من الحكومة الإيطالية لدراسة الفن، وفي سنة 1957 قبل دعوة من الأب دوني مارتان، ليقيم في دير توموليلن بمدينة أزرو، وهو المكان الذي سيعود إليه دائما بحثا عن العزلة والرغبة في أن يكون خالصا للفن. عام 1960 يعود إلى المغرب ولكنه بسبب شعوره الملحّ بالغربة يقيم في فندق صومعة حسان بالرباط.

تشق عليه حياته وهي تمزج الفشل بالنجاح. نجاح فني حيث صار اسمه مكرسا بين الأوساط الفنية وفشل عاطفي قادته إليه الفتاة الفرنسية التي أحبها. عام 1971 يعود الغرباوي إلى باريس ليودّعها ميتا وهو جالس على مقعد عمومي في الثاني من أبريل من العام نفسه. بالنسبة إلى الكثيرين فإن خرافته كان من الممكن أن تنتهي عند حدود رجل موهوب مات في ظروف مجهولة. غير أن لوحاته وقد صارت تباع في المزادات بأسعار تنافس أسعار لوحات كبار الرسامين في عصرنا أعادت إليه الاعتبار رساما فاتحا لا في بلاده، بل في العالم. خرافة فنسنت فان غوخ تتكرر من خلال الغرباوي. الفنان الذي مات فقيرا صار خياله يدر ثروات على أشخاص، ما كان الرسام يسمح لنفسه بلقائهم، لا لشيء إلا لأنه لا يثق بهم.

الثائر في ثوب رسام

"إنني أرفض ذلك الفن الذي ظهر في المغرب تحت نظام الحماية، إن هذا النوع من الفن مرفوض حتى في فرنسا، بينما يأخذ الصدارة في بلادنا" يقول الغرباوي وهو يسعى إلى تفسير المسافة التي تفصل بينه فنانا مستقلا وبين ما كان مشاعا من مفاهيم، هي في حقيقتها مجرد أكاذيب ثقافية، حاول المستعمر أن يقيد الشعب الذي يستعمره بماضيه، بتقاليد ذلك الماضي الحرفية. بهذا المعنى يكون الغرباوي ثائرا لا على المستوى الفني وحده، بل وأيضا على المستوى السياسي والاجتماعي. لقد ظهر الغرباوي في اللحظة المناسبة. اللحظة التي سيكون فيها التغيير أمرا ضروريا لكي يؤكد التاريخ حتميته. بعده تغير الرسم في المغرب. غير أنه كان يحلم بتغيير الحياة، وهو ما لم يتح له القيام به. لا تزال بلدة جرف الملح حيث ولد منسية. ثمن واحدة من لوحاته يمكن أن ينقذ تلك القرية من الفقر. ولكن المعادلة ستكون مضطربة دائما، مثلما هو الجيلالي الغرباوي، الشاب الذي انفتحت أمامه أبواب باريس في الوقت الذي تعبت يداه من الضرب على أبواب الرباط التي لم تتعرف عليه إلا بعد موته.

أعظم ما في الغرباوي أنه كان أوروبيا لم ينزع لباسه المغربي. كان مغربيا في باريس كما لم يكن في الرباط.

شيء عظيم من مغاربيته قد جلب إلى الفن الحديث حظا حسنا. من المؤكد أن العالم تعرّف من خلال لوحاته على مغرب آخر، مغرب لم يخضعه الاستشراق لذائقته الانتقائية المريبة.

ليس في الإمكان القول إن الغرباوي هو ابن الرسم المغربي، فهو ابن الرسم الأوروبي، غير أنه لن يكون صنيعته حين يتعلق الأمر بالبحث عن صيغة يكون فيها الرسم المغربي ممكنا في المستقبل.

الغرباوي هو مخترع الحداثة الفنية في المغرب. أبوها الشرعي الذي استخرج عناصرها ما كان لموادها أن تتآلف لولا تجربة شقاء يومي، عاشها الفنان وحيدا، ليكون بمثابة الفرد الذي يختزل تطلعات أمّة. لا تزال رسومه تسخر من الأبجدية التي اخترعها المستعمر من أجل أن يظل الشعب سجين ماضيه التعبيري.

لا تزال الحرية الجمالية التي اخترعها الغرباوي ممكنة. ستظل كذلك مستقبلا.

> الغرباوي يرسم أول لوحة تجريدية في تاريخ الرسم المغربي. وبعد ذلك بسنة يرسم أحمد الشرقاوي اللوحة الثانية، غير أن الفنانين كانا قد تقاسما سبق الريادة الفنية، لا من جهة عنايتهما بالتجريد ومحاولتهما تكريسه أسلوبا فنيا، بل لأنهما جلبا تقاليد وقيما فنية جديدة

> الجيلالي الغرباوي يرفض ذلك الفن الذي ظهر في المغرب تحت نظام الحماية، ويقول «إن هذا النوع من الفن مرفوض حتى في فرنسا، بينما يأخذ الصدارة في بلادنا» كان يؤمن بهذا، وهو الذي سعى إلى تفسير المسافة التي تفصل بينه فنانا مستقلا وبين ما كان مشاعا من مفاهيم، هي في حقيقتها مجرد أكاذيب ثقافية

في وصف ما يحدث في أرض العرب

الغزاة يبلغون عتبة البيت

نوري الجراح

❑ لم يعد قتلاً منسوباً إلى الفظاعات التي أنزلتها الأقدار في بشر، ولا ثأر التاريخ من أمّة، ولا هزء الزمن من قوم. لم يعد قتلا، لم يعد مجرد قتل أعمىٰ يرتكبه بشرٌ ظلمةٌ نحو بشر مظلومين، أو كثرةٌ متفاخرةٌ نحو قلة مهيضَة الجناح، أو قلةٌ مأفونةٌ نحو كثرة أسيرة؛ هذا الذي يحدث في أرض العرب.

هذا الذي حلّ في أرض الرافدين وزحف علىٰ الشام، فأتىٰ علىٰ الطفل قبل أن يكون له ذنب، وعلىٰ المرأة وهي تصنع الحياة، وعلىٰ الشابة والشاب وهما يرسمان بالألوان، وعلىٰ الرجل والشيخ والعجوز التي في سرير أيامها الأخيرة، وأخذ في طريقه الحيوان والحجر، وحتىٰ الهواء، هذا الذي خيّم علىٰ العراق والشام، وألغىٰ الحدود بين العقل والجنون، مختطفاً إلىٰ جحيمه المهول جغرافيتين هما مهد في الحضارة وهما في أزمنتنا الحديثة أرض الفكرة العربية.

هذا الذي يحدث في المشرق العربي جعل العرب كلهم في مصيدة الأمم. إنه لأمر دُبِّر بليل.

***

بيد المستبد الصغير المأجور عند أمم أخرى اختطف الاستبدادُ، الفكرة العربية وأفسدها. أما وقد تصدعت دولة الطغيان، وتشقق كرسي الطاغية وتهدّمت جدران قلعته عن حريق ودمار يحيطان بها كسوار، فهل نترك الفكرة التي طالما كانت عروتنا الوثقىٰ، وحلماً وهّج خيال الأجيال المتطلعة إلىٰ مكان تحت الشمس لأمّة لم تكن مهملة، ولكنها كانت صانعة حضارة. هل نستعيد الفكرة العربية ولا نتركها مخطوفة، أم نتنكر لها نحن أيضا، ونعمل فيها تحطيماً، ونكون شركاء لمن طالما كان ديدنهم تحطيمها وتفكيك عرى الثقافة العربية والاجتماع العربي، إما لثأر قومي قديم، لبس اليوم لبوس العمامة السوداء، ونادى أشباح التاريخ لتكون صاحبة الثأر من نسلنا الحاضر. أو تحصينا لمشروع لصوصي أقام هيكلا أسطورياً علىٰ أنقاض حياة واقعية، ثم رفع بينه وبين العالم جدارا يحميه من قوة الحقيقة.

ها نحن، إذن، شعوب يفترسها غزاةٌ وطغاة وأمة تنهبها أمم. ولا خلاص من دون اعتراف نسلنا بقوة الحقيقة.

***

وما كان للغزاة أن يبلغوا عتبة البيت ويطأوا بساط الأهل، ويُعملوا السكاكين والبلطات في أعناق الفتية والأطفال، لولا أن الاستبداد أدخل حصانه الخشبي إلىٰ ساحة المدينة وصرنا نتلهىٰ علىٰ كراسي المقاهي في حلّ أحجية الحصان وأحجية الاستبداد، فمنّا من سماه المستبد العادل، ومنّا من امتدح بدعته الغريبة، ومنّا من نافق وهو عليم، ومنّا من حملته صرخته العزلاء إلىٰ أقبية العذاب والموت.

***

أما وقد بات الأعداء بين ظهرانينا، وصاروا الحكام الآمرين، يديرون الحرب ضد الناس، ويُنْطِقون الدمية التي أدخلت الحصان إلى البيت، بوصفها صاحبة الأمر، إن في دمشق أو في صنعاء أو بيروت أو العراق، فإنّ زمنا "عربياً" مزيفاً يقدّم لنا نفسه، الآن، ويطالبنا بأن نحني رؤوسنا للغزاة ونرضخ لما حدث، أو فالمصير المشؤوم.

***

سألت جاري الإنكليزي، يعمل محررا في راديو الـBBC ما هي الحقيقة العالمية اليوم؟

عندما تغير طائرات بالصواريخ المدمرة علىٰ بيوت في ضاحية صغيرة كدوما في ريف دمشق، وتنشر الدمار والحرائق والموت بأمر من حاكم البلاد المقيم علىٰ بعد 3 كيلومترات فقط من مكان الضربة، ما هو رد الفعل، ما هي حقيقة رد الفعل؟ لنتخيل أن هذه الطائرات تغير علىٰ ضاحية أكتن في غرب لندن! حدث لا يمكن تخيله هنا، ولكن يمكن رؤيته هناك علىٰ شاشات التلفزيون في كل يوم تقريبا، من دون أن يضيف ذلك أيّ مشاعر إضافية علىٰ تلك التي تحركت فينا يوم أمس، أو أول أمس. ما هي الحقيقة الأخلاقية التي يؤمن بها العالم، إذن؟!

لا أعرف، أجاب جاري. ولا أنا، قلت.

***

ليس ثمة ما هو أبلغ من سطور يكتبها أشخاص بوصفهم أفراداً، ينقلون لنا بالكلمات تجاربهم الشخصية ويعبّرون من خلالها عمّا يجيش في نفوسهم المفردة، وربما العزلاء، وكان في وسعهم أن يكونوا أصوات جماعات، وناطقين باسم أفكار وأيديولوجيات، محتمين بها من حيث هم معبّرون عنها. ولكنهم آثروا أن يكون وجوها وأسماء وهويات مفردة.

يحتفظ لنا التاريخ بسير المبدعين ويهمل سير من اضطهدوهم. ها هو دانتي صاحب الكوميديا الإلهية تملأ سيرته كتب النقد والتاريخ الفني والأدبي، ويحضر في لوحات عصور من رسامي النهضة وما بعدها، هو وحبيبته بياترس التي أقام لها صرحا في كتابه الخالد. ولكن من يتذكر أسماء الباباوات الذين نفوه من فلورنسا سنة 1302 وحكموا عليه بالإعدام لو هو خالف الحكم وعاد إلىٰ وطنه؟ رغم آلام النفي، وتنقله بين الإمارات الإيطالية بعيدا عن فلورنسا إلا أن دانتي أبدع الكتاب الذي أدخله التاريخ خالدا علىٰ مر العصور، وجعل له في كل مدينة إيطالية نصبا وتمثالا ومتحفاً، بينما اندثر كل ذكر للبابوات التي اضطهدوه وجعلوه يعيش ثلث سنوات حياته ويموت في المنفىٰ.

كم دانتي عربي لم يكتب الكتاب الذي كتبه دانتي ولكنه نزل إلىٰ أقبية الظلام والموت، وعاش عقودا وراء الشمس، قبل أن تسعفنا صرخات الشباب في ميادين التحرير، فتشقق جدران الزنازين وتأتينا بصوته حبيس تلك الأقبية، ليروي عن فظاعات ما أنزله الاستبداد بضحاياه، وهو إذا يروي فإنما، أولا، للبؤساء الذين تخلوا عنه ذات يوم، خوفا من الطاغية. ربح الطغاة حاضرهم الكئيب، وفاز

صاحب الكلمة ورجل الحرية بالمستقبل.

تنطبق سيرة دانتي غالباً، علىٰ فئة شجاعة من أصحاب الرأي وحملة الأقلام. وها هم ضحايا الاستبداد الشرقي من عبدالرحمن الكواكبي وحتىٰ كوكبة كبيرة من ضحايا الرأي العرب في أزمنتنا الحاضرة.

***

كتبت هذه الإشارات عن الاستبداد تحية للأقلام التي كتبت في هذا العدد عن تجاربها وراء القضبان في زنازين "دولة الأبد" التي صدّعت جدرانها الصلبة قبضات الشباب المنتفض لأجل الحرية والكرامة، وأختم بهذه الكلمات للشيخ عبدالرحمن الكواكبي ابن حلب الثائرة اليوم علىٰ الاستبداد:

"الرَّعية العاقلة تقيِّد وحش الاستبداد بزمام تستميت دون بقائه في يدها؛ لتأمن من بطشه، فإن شمخ هزَّت به الزِّمام وإنْ صال ربطْته".

* شاعر من سوريا مقيم في لندن

ينشر هذا الملف بالاتفاق مع مجلة «الجديد» اللندنية

العريس

أدب اليوميات، أدب السيرة الذاتية، أدب الاعتراف، أدب الأوراق الشخصية؛ والأدب الذي يكتب بأثر من التجارب الخاصة للكتاب، على مرّ الزمن، أو عبر تجربة في الزمن، طالت أم قصرت، هو ذا ما أقدمنا على نشره في هذا الملف المزدوج، من خلال أوراق ووثائق ونصوص هي يوميات وشهادات ومراجعات. الجزء الأول منها ينفتح على تجارب لكتاب عرب.

أدب اليوميات، ليس ثمة أدب يضاهي هذا الأدب في قيمته الوثائقية والمعرفية، فهو لا يصدر عن أيديولوجيا، ولا عن خطة تتجاوز الشخص المفرد صاحب القلم، ولكنها تصدر عن ذلك الغنى الذي يمكن أن تعكسه تجارب الأفراد وأفكارهم وتطلعاتهم المستقلة عن المدونة الرسمية للتاريخ، فنكتشف في كتاباتهم الشخصية أثر علاقتهم بالأمكنة والأزمنة والوقائع، وجلها يمكن تسجيله في خانة ما غاب عن السجل الرسمي. إنهم يفصحون في السطور التي يكتبونها عما صمت عنه التاريخ العام، وما تجاوزته الأقلام التي دونت التاريخ كما يريد الحاكم للتاريخ أن يدوّن، أو حتى كما يريد المزاج العام للنخب التي هيمنت على خطاب الأمم في أزمنة وغيرها، وكان يمكن للحقائق الإنسانية، ومعها الوجدانات والعواطف العميقة أن تدوّن بعيدا عن أغراض الأيديولوجيا وألاعيب السياسيين، ورغائب النخب.

في هذا الملف، ثمة التزام بالخطاب اللغوي كما ألفه الناس، وشطح لم يألفه قارئ، وبحث، وتدوين في كآبة ما وقع لنا نحن العرب في جغرافيات نخرها السوس، وأخرى التهمتها النيران. وفي كل الأحوال هنا صفحات وسطور من اعترافات أشخاص لأنفسهم، نساء ورجالا، مثلها كمثل رسائل يرسلها مسافرون غرقى في أعماق سحيقة لم يعد لهم أمل في نجاة، ولكنهم يريدون ألاّ يذهبوا سدى، موتى ولكنهم لا يريدون لقصصهم أن تموت أبداً.

المحرر

حسيبة عبدالرحمن

❏ أمسكت العروس ذراع عريسها، وهي تبتسم ؛ بينما هو مطرق إلى الأرض. دخلا غرفة النوم. جلست فوق السرير بخجل تنتظر اقترابه منها، نزعه إكليلها ومداعبته لها. خلع بذلته، نظر إليها بطرف عينه، تكوّر ونام.

أمضت العروس ليلة زفافها الأولى جالسة على السرير، تنظر إلى نفسها في المرآة وتتساءل:

هل هناك من عيب بي؟

تكررت الحالة في اليوم الثاني والثالث، والعروس تبدل قمصان النوم والثياب الداخلية المغرية، الأحمر الأسود، البنفسجي علها تشد انتباهه واهتمامه، فينكسر الحاجز بينهما، ويتحقق المراد.. دون فائدة.

كان يخرج من البيت كل صباح، ولا يعود إلا ليلا، يخلع ثيابه، يجلس إلى جانبها، ينظر إليها، يتأملها، وينام، والمسكينة تقضي الليل ساهرة، ربما أفاق وأحس برغبة بالنوم معها.

تقف أمام المرآة تتأمل جسدها البض، وشعرها الناعم المنسدل فوق كتفيها:

– ألا يغريه هذا الجسد؟!

تعاود الجلوس فوق السرير، تراقب وجهه المضطرب، تسمع شخيره، صرير أسنانه شهقاته التي تحولت إلى صراخ أفزعها، واضطرها إلى إيقاظه، وكما تفعل أيّ زوجة صالحة، ناولته الماء كي يشرب، ويهدئ روعه.

رفع العريس الجزء العلويّ من جسده، أمسك الكأس بيده، ورأسه محني. جلست قبالته، نظرت إليه بذهول، وسألته:

ما بك؟

أخذ نفسا عميقا وصمت.

منذ اليوم الأول لم تكلمني.. ألا أعجبك؟ منذ اليوم الأول لم أر رأسك مرفوعة ولو مرة واحدة، طوال الوقت مطرق إلى الأرض.. بماذا تفكر؟!

تمشي ورأسك محني، تجلس.. وأنت غائب عن المكان.. ما بك؟

لا شيء!

ناولها الكأس ثانية، وضعته بحركة عصبية على (الكومودينة) تود كسرها فوق رأسه، وفتح دماغه، ربما تعرف بماذا يفكر؟ وماذا يشغله؟ والأهم لماذا هو كذلك؟

عاود النوم من جديد، صرخ بصوت عال، نهض مفزوعاً، قفز عن السرير، ركض نحو الحائط، رفع يديه الاثنتين.

صرخت العروس خوفاً:

أنت مجنون، وسأجن معك.. قل ما بك؟

التفت إليها، نظراته هلعة مذعورة، صرخ في وجهها:

– أنتِ لا تعرفين شيئاً!

– قل ما بك.. أريد أن أفهم.. أيّ عريس أنت؟

بكى، وصرخ، ضرب رأسه بالحائط: الطابور، الطابور.

رؤوسنا محنية دائما، لا نجرؤ على النظر إلى الأعلى فهناك الشراقة والشرطي والكرباج والدكة الحجرية المميتة بانتظارنا، ونحن بانتظار قدومها المباغت لإنهاء حياتنا. كوابيس الموت تلاحقنا تنتقل في المهجع من سجين إلى سجين، وكلما صرخ أحدنا وهو نائم أيقظ المهجع.. ركض الجميع باتجاه الحائط، وكل يتسلق كتف من قبله وننتظر حكم الإعدام.

الموت شيء عادي، كنا ننتظره كل لحظة وساعة ويوم. ننتظره بصمت الأموات، لا، الأحياء. الطابور يلاحقني ، يسكن أعماقي، لازلت أصطف، وأعيش فيه.

الطابور الطويل يقصر في الصباح، وفي المساء، ونحن نسترق لحظات الحياة القاتلة.. نفكر من سيموت غداً. على من يقع الدور في الإعدام سواء شنقا أو ضربا أو رميا بالدكة الحجرية، أو بالرصاص. في كل حبة زيتون موت قادم، أو مؤجل.. في كل رغيف خبز انتهاك لأجسادنا وحيواتنا.

جلس العريس القرفصاء، وجهه بين فخذيه، مد يده إلى رقبته، شعره.. صرخ: الحلاقة تعني جز الشعر والرقبة.

ماذا يعني لك هذا الكلام، وهل تستطيع اللغة وصف ما حصل لنا! أو تخيله. إذا قلت لك التفقد اليومي، نقص واحد، اثنان.. وأنا مضطر لأن أقول مات، ماتا بالسكتة القلبية! وإذا قلت وأعدت لك مرات ومرات كلمة طابور، هل يعني لك شيئاً؟!

الطابور، طابور السجناء اليومي، وذلك السجان منفوخ منفوش الريش يقف كزعيم، بل كأنه عزرائيل خطاف الأرواح، يتباهى بإنسانيته وعطفه علينا بمناسبة حلول العيد:

سأترك حرية اختيار طريقة التعذيب لكم!

وما هي الخيارات: لحس ولعق البوط العسكري، تمديد السجين ووضع الحذاء فوق رأسه ورقبته، ثم البصاق عليه، بعد محاولة إكراهه على ابتلاع الفأرة. وفي الطرف الآخر للباحة مشنقة.. ومسدس جاهز للإطلاق.

تبختر السجان بيننا، واختار سجينا من الطابور، خيّره:

رد السجين: ألعق الحذاء يا سيدي.

انحنى السجين لحس الحذاء، لعقه، وقبل أن ينهض ركله السجان بالبوط العسكري على خصيتيه فخر السجين أرضاً، جره إلى العتبة ووضع رقبته فوقها، وعس عليها وكانت الضربة القاضية.

جاء دور السجين الثاني، أعطاه فأرة وطلب منه ابتلاعها وبعد عراك وتخبط بينه وبين جسده وجهاز هضمه وريقه ابتلعها؛ ما لبث المسكين أن تقيأها من جديد، ركله السجان وقتله.

أما السجين الثالث ، فاختار الموت دون تحديد، شنقا، بالرصاص بالدكة الحجرية لا يهم.. المهم الموت. أحس السجان بتلك الكرامة المتبقية عند السجين كرهه أكثر، ضربه بالسوط، أجبره على لحس حذائه، وسأله: ما هي طريقة التعذيب التي تفضلها؟

فقال السجين: الموت..!

– إذن أنت تحتج وتعترض!

– لا يا سيدي.

– تعال وابتلع الفأرة.

ابتلع المسكين الفأرة.. أخرج مسدسه، وأفرغ طلقتين في رأسه، تنفيذا لرغبته كما قال السجان.

لا تسألي عن شيء.. الموت حاضر في كل لحظة وثانية، بالصفة بطريق الخطأ بقرار محكمة.. أو سجّان بالمشنقة، بالمقصلة، بالرصاص، بالسوط، بالدكة الحجرية.. في باحة السجن وهنا، وكان يؤشر إلى داخله.

عيوننا مطمشة، رؤوسنا محنية ، بواريد وعيون تحرسنا عند الشراقات والأسلاك الشائكة وكل مكان.. والصراخ من فوق وتحت ومن الجوانب صراخ ، صرخات، ضربات.. قتل!

طابور مئة وخمسين رجلاً لم يبق بعد سنوات سوى 75 رجلاً، وتسألين ما بك؟ كنا نخشى النظر إلى بعضنا، الكلام، التذكر، فهناك جدار السجن، شراقته، بابه، ثقوبه، صراخ السجان الكرباج. كلها تراقب تنصت وجاهزة لكل الاحتمالات.. اسأليني كيف بقينا أحياء..؟ والموت يحصدنا واحدا تلو الآخر. لن أحدثك عن الزيارات فهي وسائل ترفيهية، تحصل كل عدة سنوات بالوساطات والرشاوى وهي للبعض فقط.

كل ما كنا نبحث ونحلم به البقاء أحياء.. أصبحنا جبناء.. رعديدين.. حيوانات تجتر الطعام.. وتحني رؤوسها، نأكل الخبز اليابس والماء.. ومعهما الجلد الصباحي، والمهم أن نبقى أحياء.

قوافل الموتى.. القتلى.. نراها دائماً، ونحن ننتظر قضاء الله وقدره، ونسأله الرحمة واللطف بنا!

وتسألين ما بك؟ الموت قربي.. أمامي.. ورائي، على جانبي، وأنا أنتظر لحظة بلحظة.

يكفيك أسئلة صامتة ومعلنة، ما يفصل الموت عن الحياة شعرة ناعمة صغيرة.. عيناك تلوماني، تلوكان رجولتي.. أعرف ذلك.. أنا مازلت أعيش في الطابور، الأصوات تلاحقني، الصراخ يوقظني.

– قم يا حيوان.. يا ابن الشر..

المشانق القتل بالرصاص، الإعدامات.. أصوات البسملة تطاردني.. في البيت والشارع هنا في غرفة النوم، وتلك الحجارة والدكة مصوبة نحو رأسي، الرصاص الطائش سيأتي من النافذة، والضربات الطائشة ما تزال هنا في هواء الغرفة.. وفي الباحات المغلقة.. أنت لا تعرفين شيئاً.

سنوات نجلس، نجلد نبكي.. نصرخ بصمت، ننتظر أجلنا المسمّى.. يحق لكِ أن تحملقي هكذا.. ثم تقولين: لست رجلا أنا لست رجلا، وأنت حرة.

* روائية من سوريا ومعتقلة سابقة لها روايتان "الشرنقة"، "تجليات جدي الشيخ المهاجر"، ومجموعة قصص قصيرة "سقط سهوا".

الطابور الطويل يقصر في الصباح، وفي المساء، ونحن نسترق لحظات الحياة القاتلة.. نفكر من سيموت غداً. على من يقع الدور، في كل حبة زيتون موت قادم، أو مؤجل.. في كل رغيف خبز انتهاك لأجسادنا وحيوات

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

لم أغادر البيت هذا اليوم

مطر غزير على قباب القدس

محمود شقير

الاثنين 31 / 1 / 2000

تساقط الثلج كثيفًا خلال الأيام القليلة الماضية، وما زالت بقاياه عالقة ببعض الأماكن حتى الآن. كلما هطل الثلج على جبال القدس تذكرت ثلجًا آخر في المنفى. ثلج مدينة براغ التي أقمت فيها ثلاث سنوات، وتذكرت لحظات الإحساس بالغربة، وخصوصًا حين يموت أحد أقاربي في الوطن وأنا بعيد، أو حين يلمّ بي مرض طارئ والوطن بعيد.

غداً مساء أذهب إلى المستشفى لإجراء صورة طبقية للرأس. ثمة مشكلة كما يبدو في الغدة النخامية. وكنت اشتريت كتابا حول أمراض الغدد الصمّاء. قرأت بفضول ما له علاقة بأمراض الغدّة النخاميّة، واكتشفت أنّ ثمة جسمًا صغيرًا في هذه الغدّة يسمّى السرج التركي (من أين جاءت هذه التسمية؟) وهو عرضة للتلف إذا أرهقناه. إذن ستكون حياتي خلال السنوات القادمة (لا أدري كم ستطول هذه الحياة) عرضة للاضطراب بسبب هذا السرج التركي. وجاء في الكتاب أنّ ورم الغدّة ليس خبيثًا بالضرورة، وهناك احتمال لأن يتحوّل إلى ورم خبيث.

حتى مساء الغد سأواصل حياتي في القدس، وأفكر في وجعي الخاص.

الجمعة 4 / 2 / 2000

يوم أمس زرت محمود درويش في مكتبه برام الله. كم أحب هذه المدينة! هي الثانية بعد القدس التي عشت فيها زمنًا غير قليل. وجدت في المكتب الشاعر حسين البرغوثي الذي أصيب مؤخرًا بسرطان في الغدة اللمفاوية. كنت معنياً بالاستفسار منه عن أعراض المرض، قال إن خلايا السرطان لا تسبّب ألماً، أما الذي يسبب الألم فهو الالتهابات المصاحبة للمرض. حينما خرج حسين، سألني محمود عن صحتي، أخبرته أنني أتحسّب من مرض السرطان، ولهذا ألححت في طرح الأسئلة على البرغوثي. قال لي إنه هو الآخر تخوف من البحة التي أصابته مؤخراً، فأجرى تنظيراً للحنجرة.

بعد ذلك، بعد الكلام على الصحة والمرض، دار بيننا حوار حول الاقتراحات التي أعددتها لإدخالها على اللائحة الداخلية لجوائز فلسطين. استمر النقاش بعض الوقت، ثم نهضت وغادرت مكتب محمود في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر.

الجمعة 11 / 2 / 2000

الطقس مشمس ودافئ، وهو يذكّر بأيام الربيع. أول شيء فعلته هذا الصباح تقليم شجرة العنب الواقعة في ساحة الدار. قلّمت كذلك نبتة الياسمين التي امتدت أغصانها كثيراً، وقلّمت شجرة المندلينا التي كسر الثلج نصفها قبل أسبوعين. تشعرني الأشجار بأن للحياة طعمًا نضرًا رغم كل الصعوبات.

أمس، كنت في مهرجان سياسي داخل قاعة مغلقة في مدينة البيرة، أخت مدينة رام الله. خرجت قبل انتهاء الحفل، وذلك بسبب كثافة الدخان المنبعث من سجائر الحضور، تألمت من هذا السلوك غير المتحضر. وكان ثمة سبب آخر دفعني إلى مغادرة الحفل، وهو أن الوالدة في المستشفى، ويتعيّن عليّ أن أذهب مثلما أفعل كل يوم لزيارتها. إنها تعاني من فقر الدم ومن أنفلونزا، وهي دائمة الشكوى.

كانت نتيجة الصورة الطبقية التي أجريتها للرأس وللغدّة النخامية جيدة، شعرت باطمئنان.

الأحد 13 / 2 / 2000

هطل المطر غزيراً هذا الصباح. لم أذهب إلى العمل، وكان عليّ أن أذهب إلى المستشفى لإعادة الوالدة إلى البيت. عدت بها حوالي الساعة الثانية والنصف ظهرًا. كانت متكدّرة المزاج لأننا تأخرنا في الذهاب إليها.

للقدس في يوم المطر رونق خاص رغم أن الأوضاع العامة فيها وفي البلاد بالغة السوء. والمناسبات الاجتماعية تتكاثر على نحو عجيب، ومن الواجب الالتزام بها للبقاء على صلة مع الناس. أحاول جهدي أن أشارك في كثير من هذه المناسبات، مع أنني جدير بممارسة العزلة لتوفير الوقت من أجل القراءة والكتابة، ومع ذلك فإنني أحاول ما أمكن القيام بدوري الاجتماعي، ولو على حساب الوقت المخصص للكتابة. سأنتظر هذا المساء مباراة نيجيريا والكاميرون التي سيتقرر فيها الفائز ببطولة الأمم الأفريقية لهذه الدورة من مباريات كرة القدم.

الجمعة 18 / 2 / 2000

الطقس دافئ هذا الصباح. اشتريت سيارة لابنتي أمينة. حسام، زوج ابنتي باسمة، أخذ السيارة ووضعها في كراج برام الله، لفحصها وتصليحها تمهيداً لترخيصها. وكنت متشككًا في قدرة أمينة على قيادة السيارة.

تجولت يوم أمس ساعات عدة في القدس القديمة. ألهمني تجوالي بعض الأفكار للكتابة.

وكنت ألاحظ أن معاناة المدينة تكبر يومًا بعد يوم. فثمة بؤر استيطانية تنتشر في المدينة مثل خلايا السرطان.

سأخرج الآن لأتمشى قليلا تحت نور الشمس، ثم أنصرف إلى الكتابة.

الجمعة 10 / 3 / 2000

لم أنجز إلا أشياء قليلة هذا اليوم. حين يضيع وقتي سدى أشعر بعدم ارتياح، وكان عليّ أن أستمتع بطقس الربيع، وأن أذهب مع الأبناء في رحلة إلى مدينة أريحا، حيث الدفء والسباحة في البحر الميت، لكنني لم أذهب.

هذه الليلة، ثمة برد في الخارج، في المدينة وفي الحي الذي أقيم فيه وفي داخل البيت. لا أحب الطقس البارد، وأنا دائم التذمر من البرد.

الأربعاء 15 / 3 / 2000

اليوم عيد ميلادي. أصبح عمري تسعًا وخمسين سنة. لم أكن أتوقع أن أعيش كل هذه السنوات. حينما كنت شابًا، توقعت أن أموت في سن مبكرة. وحين كنت أصاب بمرض، ولو كان خفيفا، كنت أعتقد أنني سأموت جراء ذلك، وكنت أسرح في عالم الخيال وأرصد ردّ فعل أهلي على موتي، فتنهمر الدموع من عينيّ. كانت تلك مشاعر رومانسية زائدة عن الحد بطبيعة الحال. لكنني عشت، وبعد عام سيكون عمري ستين سنة. كم أنفر من الرقم ستين! وبخاصة حين يتعلق الأمر بالعمر، ولم أحتفل كالعادة بهذا العيد، لأنني لا أرى ضرورة لذلك، ولأن لدينا وفرة من الأعياد والمناسبات حدّ التخمة.

السبت 18 / 3 / 2000

أعادت مذكرات إسحق رابين إلى ذاكرتي تلك الأيام المفجعة من حزيران 1967، وكذلك الأشهر التي تلتها، والأعوام التي مرّت منذ الهزيمة حتى الآن. كان إسحق رابين يخطّط للحرب، وكنا آنذاك نحلم بنصر لم تتوافر أسبابه، ولهذا امتد شقاؤنا، وإسحق رابين واحد من أبرز الذين تسبّبوا لنا في الشقاء.

سأحاول كتابة نص خاص بالقدس. أشعر بالتهيب من البدء بالكتابة، وأخشى ألا أتمكن من كتابة شيء جيد، لكنني سأبدأ.

في العادة، أكتب نصوصي وقصصي في الصباح، لكنني في بعض الأحيان أكتب في كل وقت، في الظهيرة، في المساء وفي الليل. مواعيد الكتابة لها علاقة بالمزاج. فقط في الصباح تخضع المسألة للعادة وللاعتياد.

الطقس معتدل هذا النهار، وثمّة رياح هوجاء تهبّ بين الحين والآخر.

الاثنين 20 / 3 / 2000

رافقتُ أمينة إلى عملها التطوعي في مستشفى المقاصد بالقدس، وكانت تقود السيارة ببطء وحذر. وكنت أخشى أن تتسبب في حادث سير. فهي لا تستطيع التحكم بالسيارة بسبب مرض ضمور العضلات الذي بدأ يرهق أطرافها بالتدريج. وقبل أن نصل المستشفى دخلت منعطفا، ولم تتمكن من إعادة السيارة إلى وضعها الصحيح. حاولت من جهتي التحكم في عجلة القيادة، لكنني لم أستطع إبعاد السيارة على النحو المطلوب، فارتطمت بسيارة متوقفة على يمين الشارع. كان الخراب خفيفاً، وكان صاحب السيارة مهذبًا إلى أبعد الحدود.

سأقرأ هذه الليلة بعض فصول في كتاب رابين.

الأحد 30 / 4 / 2000

في مثل هذا اليوم قبل سبع سنوات عدت من المنفى. تجمّعنا في الصباح عند مكاتب منظمة التحرير في عمان. وكنا خمسة عشر مبعدًا ومعنا زوجاتنا وأبناؤنا وبناتنا (الخمسة عشر الباقون سيعودون في الثاني من أيار). بعد انتظار طويل، صعدنا إلى الحافلة التي أقلّتنا إلى الجسر. كانت لحظة مدهشة، فها أنذا أعود إلى الوطن بعد غياب ثماني عشرة سنة.

عند الاستراحة في أريحا وجدنا آلاف المواطنين والمواطنات في انتظارنا. حملونا على الأكتاف وانطلقت في فضاء الاستراحة الهتافات المطالبة بدحر الاحتلال وبحرية الوطن.

ابتداء من ذلك اليوم، أعدت وصل ما انقطع بيني وبين مكاني الأول: القدس.

الجمعة 5 / 5 / 2000

بقيت هذا اليوم في البيت. لم أذهب إلى أيّ مكان. فتحت عينيّ في الصباح وسررت لفكرة أنني في عطلة، ولن أضطر للنهوض المبكّر للذهاب إلى الوظيفة. تمطيت طويلا في الفراش ثم نهضت. وواصلت تفاصيل يومي باسترخاء. تابعت الأخبار التي لا تسرّ البال، وجلست في ساحة البيت وشربت القهوة، ثم تفقدت الأشجار التي حول البيت. قرأت الصحف وتسامرت مع أفراد الأسرة.

كان لي يوم عادي، لكنه يوم ممتع على أيّ حال.

الثلاثاء 9 / 1 / 2001

تستمر انتفاضة الأقصى منذ أكثر من ثلاثة أشهر، ويبدو الأفق السياسي مسدوداً حتى الآن. لم أعد أستخدم الكمبيوتر إلا قليلا، فهو يرهقني، ولم أعد قادراً على القراءة وقتاً طويلاً.

في مجتمعنا المحكوم بالتخلف، تستمر المشاجرات العائلية. كل يوم تقريباً تقع مشاجرات هنا أو هناك، ويذهب ضحيتها بعض الأفراد في بعض الأحيان، والاحتلال الإسرائيلي مسؤول بالدرجة الأولى عن هذه الظاهرة غير الحضارية، لأنه جمد تطورنا الاجتماعي، واضطرنا إلى التمسك ببنيات اجتماعية مثل القبيلة، العشيرة والعائلة الممتدة التي كانت ستخلي مكانها لبنيات اجتماعية أكثر تطورًا، أقصد: الأسرة النووية. كان هذا سيحدث لو كنا أحرارًا نعيش أوضاعًا طبيعية.

لا أكتب شيئاً هذه الأيام، لكنني سأحاول في الأيام القادمة كتابة بعض القصص.

الخميس 11 / 1 / 2001

لم أشعر بأيّ بهجة منذ أن ابتدأ هذا العام الجديد. من جهة، ثمة ضغط الظروف العامة وتزايد الجرائم الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، ومن جهة أخرى، ثمة ظلم ذوي القربى.

أقرأ بشكل متقطّع، ويكون ذهني مشوشاً.

كتبت قصتين قصيرتين جداً، لكنني أعتقد أنهما هزيلتان.

أقرأ هذه الأيام كتاب "نحن والآخرون" لتودوروف. إنه كتاب جيد. وفيه تتبّع للأفكار الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التي أنتجت التعالي القومي والاستعمار والنازية.

الأحد 14 / 1 / 2001

لم أغادر البيت هذا اليوم. نمت حتى الساعة الواحدة بعد الظهر تقريباً. مزاجي متعكر منذ وقع شجار بيننا وبين أقارب لنا. لو كانت لدينا سلطة وطنية في القدس وضواحيها لوضعتُ هذا الأمر بين يدي السلطة والقانون، لكننا نعيش تحت حكم الاحتلال الإسرائيلي، ولا يعقل أن نستعين بالشرطة الإسرائيلية لفض نزاعاتنا العشائرية. ثم إن النزاعات العشائرية تحدث أيضاً في المناطق الفلسطينية التي تسيطر عليها السلطة الوطنية، ويشارك فيها أحياناً بعض الأفراد المنتسبين إلى أمن السلطة وبأسلحتها، حيث يعتدون على جيران لهم أو على أقارب.

ما هو المخرج من كل هذه التعاسات؟ إن ضعف قوى اليسار في مجتمعنا، وضعف نفوذ العقلانية والمجتمع المدني، وضغط الظروف النفسية، وتكريس قيم المحافظة والجمود، تلعب دوراً في ما نعاني منه، وفي ما نرزح تحت ثقله من مشكلات.

بدأت القراءة في كتاب "خارج المكان" لإدوارد سعيد، وأنا أشعر بمتعة أثناء قراءة هذا الكتاب.

الخميس 18 / 1 / 2001

هذا المساء، أعدت قراءة النسخة شبه الأخيرة من سيناريو فيلم "القدس في يوم آخر" الذي كتبته أنا وليانة بدر. قام المخرج هاني أبو أسعد بحذف مشاهد لم يكن لها ضرورة درامية في السيناريو، وقام بإعادة ترتيب المشاهد، وبإضفاء شيء من الغموض على شخصية "سالم" أحد أبطال السيناريو. هذه هي المرة الأولى التي أكتب فيها سيناريو فيلم، وما زلت أفكر في ملاحظة أبداها المخرج مؤداها أنني متأثر بكتابتي للتلفزيون.

أعجبتني جرأة إدوارد سعيد في الكشف عن مكنونات نفسه، وفي تعرية سلوك أقرب الناس إليه.

الأحد 21 / 1 / 2001

عدت إلى قراءة اليوميات التي كتبتها في الولايات المتحدة الأميركية، وكانت مدونة في دفترين. شعرت بارتياح لأنني كتبت ما كتبت، إذ لولا ذلك لضاعت من ذاكرتي تفاصيل كثيرة. أنا مقتنع الآن بضرورة التدوين هذه، سواء أكان ذلك في شكل يوميات أم في شكل ملاحظات وأفكار.

سأحاول تخصيص وقت منتظم لكتابة نص روائي مكثف يعتمد السرد بضمير الأنا، وسوف أدخل جزءاً كبيراً من هذه اليوميات عن تلك الفترة في النص الروائي باعتبارها يوميات بطل الرواية.

مشكلتي أنني أتهرب من الكتابة، وأتعلّل بقضية انهماكي في القراءة، والصحيح أن الكتابة متعبة، ولذلك فأنا أتهرّب منها. ومن الضروري إيجاد توازن بين ما أكتب وما أقرأ. وسأعود قريباً إلى تقليد سرت عليه عدة أشهر قبل ثلاث سنوات، حينما اتخذت قراراً بالجلوس كل مساء، ساعتين أو ثلاثاً، أمام الكمبيوتر لكتابة قصة قصيرة أو نص أو يوميات. وقد كانت الحصيلة جيدة آنذاك.

الجمعة 16 / 2 / 2001

أقرأ باعتدال وأكتب باعتدال، وأراقب أوضاع البلاد بقلق. جاء شارون إلى الحكم في دولة الاحتلال، والأحوال بالغة السوء. أجد صعوبة في الذهاب إلى رام الله وفي العودة منها إلى القدس. المستقبل ما زال شديد الغموض. كم هي معذّبة هذه البلاد! كم هو معذّب هذا الشعب الذي أنتمي إليه! وكم هي معذّبة مدينة القدس التي تتعرّض كل يوم تقريبًا للتهويد!

وأنا مضطر إلى الذهاب إلى رام الله للالتحاق بالوظيفة.

الجمعة 9 / 3 / 2001

أمضيت الأسابيع الماضية في كتابة قصة للفتيات والفتيان، حول الاستغلال الاقتصادي لمن يترك المدرسة منهم ويذهب إلى سوق العمل. حتى هذه اللحظة لا أشعر بالرضى عن هذه القصة التي ستقوم دائرة التعليم في القدس، التابعة لوكالة غوث اللاجئين، بطباعتها في كتاب، يوزّع على مدارس الوكالة في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان.

وقبل أيام، تلقيت دعوة للسفر إلى باريس. اتصلت بي من هناك مدرّسة لبنانية اسمها هدى أيوب تعمل في مدرسة عليا يتخرج فيها الطلاب والطالبات للعمل في السلك الدبلوماسي الفرنسي. قالت إنها وطلابها أعجبوا ببعض قصصي القصيرة التي نشرت في مجلة "الكرمل"، وتُرجمت ثلاث منها إلى الفرنسية. وبناء على ذلك تم توجيه الدعوة لي ضمن أسبوع الثقافة العربية الذي سيقام في باريس. قالت لي أيضاً إن الذين رشّحوا اسمي لهذه المناسبة هم: محمود درويش، صبحي حديدي، وفاروق مردم بك.

وافقت على المشاركة، وأرجو أن أتمكن من السفر عبر مطار اللد.

* كاتب من فلسطين

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

ينشر هذا الملف بالاتفاق مع مجلة «الجديد» اللندنية

بهذا تحدثني رأسي

لا تتنكري للخطيئة

سناء ناصر

❑ لا تتنكّري للخطيئة كلهم تملؤهم الخطايا، مولعةٌ بالصدق، بكرسي الاعتراف لكنك الكرسي والقس والستارة والخطيئة، تعلمين أن الاعتراف لا يعني البوح، تعلمين أنه ليس طريقك إلى الخلاص، ترويـن ما حدث كقصة مسلّية، تجمّلينها كمسخ لا يشبه أصله، فيزداد رصيدك من الخطايا!

مـا زال في الصدق متسعٌ لكذبك، كي تعترفي بأنك لـم تعترفي قطّ، لم تروي حقيقة ما حدث حتى لنفسك، لم تعتذري عن موعد مهمل عن مقعد فارغ، عن قلبه المتقد وقهوته الباردة، لـم تعتذري عن أنك لم تنوي المجيء أصلاً، لم تعتذري عن أنصاف قصائد، عن قصص مبتورة، عن حكايات تَخبئينها بين أسطرٍ فارغة، عن رهبة الاكتمال، عن فزع أن تبدئي صباحك دون مساحة شاغرة للمفاجأة، يخيفك الثبات، تتقنين لعبة الاختفاء حين تباغتك السكينة، تنصُبين الضجر أشرعةً تأخذك في اتجاه الصخب، عن التبدل والتقلب وأمزجتك التي تعتنين بها كالفساتين، عن تصنع الاكتراث عن سؤالٍ يرافقكِ كالظل: لمَ أنا هنا؟

احصـي خطاياك، علّك تدركين أن جميعها تافهة، تضخمينها كسببٍ للهروب، احصيها ثم انثريها للريح، لن تُثقلَ الريح مهما ثَقُلت.

بعيدة عن الصدقِ بصدقك، يكبّلك الخوف، يدلّيك كالعرائس المعلقة، يوهمك بالحرية والحركة والرقص، وقرار الخلاص معقودٌ بإحكام في نهايات أطرافك، تضيئين بالأمنيات عتّمة الثبات، كقنديلٍ لـم يبرح زاويته المهجورة، لو أصخت السمعَ لسمعتِ سؤاله: و لمن أضيء؟ امضي، احملي قنديلك وامضـي، لا تأبه الزوايا بالظُلمة؛ الزوايا لا يقطنها أحد، والطرقات يسلكها الجميع، ستذيب الشمعة عتمة خطواتك لو أن القنديل لا يبرح يدك، تحملينهُ ويحملك نوره، نوره الذي لا يتجزأ، لا يُبقي شيئاً منه في طريق هجرته أقدامك؛ و-كالنور- لا تُبقي شيئاً منكَ في طريق هجرته أقدامهم، اجمعي أجزاءكَ من ذكرياتهم، اجمعي ما تناثر منك في المأمول والمنتظر، استردّي ما اختطفته منك يد التوقعات، واختزلته الذاكرة والتجربة، والقصص في أذهانهم؛ سيتسع الطريق لاكتمالك.

كفّي عن السماح لهم باقتسامك، ما تتقاسمه الأشياء ينضب، لا الشمس نتقاسمها، لا الأكسجين، لا النور؛ ينتشر نأخذ منه حاجتنا، نشرع له نوافذنا، فيتضاعف، اخترعوا فكرة النضوب كي نكفّ عن العطاء فوقعنا في الفخ، خذي من الحب كله فيفيض. إنه العطاء بالأخذ، لا تكتفي بكفايتك، خذي من الأشياء أكثر، خذيها كلّها، اركني إلى من فاض بهم قلبٌ أو صمتٌ أو أغنية أو بكاء أو ضحك ودعي سواهم، دعي أولئك المصطفّين على الأرصفة يلتحفون خوفهم، الرصيف آمن والمضيّ يخيف من لا وجهة له، يكتنزون الشموع لأن البقع المضيئة مؤقتة، يقتلها ذوبان الشمع، لكن ذلك ليس مسوّغاً للثبات، الشمعة للمضيّ ليست للمكوث، إن كنت ستطيلين الجلوس أطفئيها.

كفّي عن الإنصات لي، دورك في الفعل الآن، ما أقوله محض إنشاء، وعبارات منمقة، الاعتراف لا يخلقه الكلام، تعلمين أنك لا تملكين من الصدق سوى صوتي الذي لا يكفّ عن الدوران في رأسك، سواي أنا، أنا، الصوت الذي لا يحدثك بما تريدين ولا يحدثك بما تكرهين، أنا خارج رغباتك، ويؤرّقك أنني في منطقة محايدة أقف، لكن قدري المضي لا الوقوف -كإياكِ وكالقنديل تماماً-، قدري الطواف والحركة والانطلاق، وكل مأزق يعتريك سببه أنّك تصرّين على إبقائي حبيس رأسك، قولي لي ما الجدوى إن لم تتلقفني أذنٌ أو يعكسني حائط؟ لا يمكنك إبقائي مجمداً هكذا، أيعرف غيرنا عن إتقانك تجميد الصوت؟ عن أنك بارعة في إخضاع الصوت لقوانين الكتلة والكثافة؟ لذا ربما عُدتِ لا تؤمنين بالفيزياء الكلاسيكية؟ تتحاشين القوانين حتى تعثري على مخرج منها؟ ماذا لو أن القانون برمته، بشواذه ومَخارجه لا يعنيك؟ ماذا لو أنك لست بحاجة لهذا القانون؟ لمَ تحاولين جاهدة إضاعة وقتك في كسره؟

كفّي عن افتعال الفكرة، أتعبني التخبط، لم أكن لأقول ما أقول لو لم تأذني لي، كفّي عن خديعة ذاتك، تُطمْئنين ضميرك بمعارضتي، وأنا صنيعتك، لم يفت الأوان، يمكنك إخراسي، لخلاصك الأبدي، لأتحرر من تناقضك وتتحررين من صراخي، لأتخفف مما تكنينه في صدرك وتُحمليني مسؤوليته؛ أسرارك تضج في رأسي -أيخفيكِ إن أخبرتكِ أن لي رأس أيضاً؟-، صمتك ليس سوى حجاب تسدلينه على حنجرتك أحدٌ لا يراه، لكنني، وحدي، أسمعه، أعرف له لحناً ونغمةً وطنيناً، سكوتك لا يخصك وحدك! كفي عن التفكير، أرهقني الكلام!

قبل أن تفكري في اغتيالي -ماذا لو علمَ الآخرون بأنكِ تُخْفين أفكاراً عنيفة خلف هذه الرأس الوديعة؟، دعي هذا الأمر بيننا، لا شأن لأحد به- سأعود للحديث في القصة ذاتها، في أنك لا تنوين الاعتراف لكنه لا يخيفك، ما يخيفك: من ستكونين بعده؟.. أنتِ لا أحد، بعد التخلي عن هوس الغموض، سيشاع سرك، سيتظاهر الأصدقاء بالاهتمام وتريْن في أعينهم انشغالهم بضجيج أفكارهم الخاصة، لن تسمعي منهم عتباً -أحدٌ لن يكترث بما ليس له- ستتجلى حقيقة أنّ ما كنت تحملينه في داخلك من خوفٍ كان وهماً، ستفقد أسرارك الصغيرة بريقها، لا عتب، لا لوم، لا اكتراث، -لن تغير مجرى الحياة قصص ميتة- ستدركين أنك خبئتِ الحقيقة عن نفسك قبل أن تخبئيها عنهم، لأنك موقنة إن تتخلي عنها ستؤول إلى سلة المهملات!

سيمر السر كقصة عابرة يقتلون بها الأصدقاء فراغهم، لستِ الأهم في الحادثة، الحادثة جلّها ليست مهمة، ستأتي اللحظة التي طالما خشيتها، سينتهي الخبر إليه، سيشعر بوكزة في القلب -لم يعد ذاك القلب متقداً، الوكزة ليست سوى وكزة- لكن الجملة كخبر عابر -وكل الأخبار عابرة- ستضيع في اكتظاظ ذاكرته، يسترجعها في دقائق خلوته في السيارة، قبيل النوم، أثناء فقرة مملة على التلفاز.. سيسترجعها بوكزة أقل إيلاماً، وفي ذهابها ومجيئها ستتلاشى.

وهكذا إذن سرك الذي اختلقته شاع في نسيان الآخرين، وحاملة السر -أنتِ- فقدته، وغدوت لا أحد.

يمكنكِ اقتلاع حنجرتي الآن!

* شاعرة من السعودية

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

جوني المشاء يتسكع في الخرطوم

حسام هلالي

❑ لا أتعاطى شيئاً لدرجة الإدمان أكثر من الموسيقى. ما عدا ذلك، فهي ممارسات لإشباع الحاجة البيولوجية أو الإمتاع بغرض البهجة الآنية. هذا ليس إدعاءً بالتطهرية (البيورتانية) فالمتعة هي فضيلتي الأسمى على أيّ حال، وافتقادها في إدمان تعاطٍ ما هو أدعى إلى الإحجام. هذا ما أوقفني عن شرب الكحول بشكل شبه تام ولفترة ليست بالقصيرة، وهو ما ساعدني أيضاً أن أقرر ذات صباح التوقف عن التدخين "القانوني" فيما عدا الشيشة التي لا أزال مواظباً عليها. أما التدخين غير القانوني فيظل محدوداً وفقاً للمناسبة ونوعية الصحبة، وإن كنت قادراً على الوصول إليه دون أن أنفق فيه قرشاً لكثرة رفاق السوء، أو "نافخي الكير" وفقاً للسنة النبوية.

تمرد

وبعيداً عن السجال حول تقنين المخدرات ثمة درس تعلمته من أمستردام "الممنوع مرغوب" ليس مجرد كليشيه. فكرة أن تدخل المقهى وتشتري الصنف الذي تريده من "النباتات" سواء كان من أفغانستان أو من جامايكا -مع خاصية شراء السجائر ملفوفة إن كنت ممّن لا يحسنون اللف- تفقد عملية تدخين المخدرات لذة الاختلاس. خصوصاً مع صرامة القانون الهولندي المبتذلة التي تسمح لك بتدخين المخدرات داخل المقاهي أو المنازل فقط. في حين يدفعك قانون منع تدخين التبغ في الأماكن المغلقة إلى الخروج بالسيجارة "العادية" للشارع. حتى لو كان المكان مقهى لبيع المخدرات إبان شتاء جليدي عاصف. هنا أتيحتْ لي فرصة اللذة. أن ندخن الحشيش في الشارع، فبالنسبة إليّ تُكسب أبعاد المخاطرة ولا قانونية تعاطي "المُكيّف" متعته الحسية الأصلية متعة مضاعفة يوفرها جريان هرمون الأدرينالين في الدم. وجدتُ أجمل تفسير لهذه الحالة عند أبي شهاب الأبشيهي في "المُستطرَف" وإن كان قد أورد نادرته تلك في باب عنونه بـ"في ذكر الأشرار والفُجّار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة" حين ذكر "قيل لأعرابيّ كان يتعشق قينة: ما يضُرّك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها؟ قال: فمن لي إذ ذاك بلذة الجِلسة، ولقاء المُسارقة، وانتظار الموعد؟".

هذا النزوع البليد للتمرُّد متجذر في نفسيتي ليس فقط لكوني سودانياً أنتمي بحكم النحس لدولة يحكمها نظام إسلامي. بل يُضاف إليه أنني سعودي المولد والنشأة. لكنه لحسن الحظ تمرُّد لعبتْ فيه العوامل الوراثية دوراً بارزاً. كون أبي شيوعياً سكيراً. مع حقيقة أنه أفنى العقود الثلاثة الأخيرَة من حياته موظفاً لحساب الحكومة السعودية. لذا كان تمرّدي على "سُلطة الأب" في فترة مراهقتي هو أن أكون مسلماً صالحاً. لدرجة دفعتني خلال المرحلة المتوسطة (الإعدادية) لأن أُصبح ميّالاً للتيار السلفي الوهابي. لولا أن أبي كان ماهراً بالشكل الكافي لإفشال هذا المخطط بطرق بسيطة. عندما قرر أن ننتقل أنا ووالدتي وأخواتي الثلاث للعيش في مصر فيما كنا نتبادل الزيارات في العطلات. بدأ هذا "المخطط" يجني ثماره في خطوات بسيطة ومتدرجة. ففي واحدة من زيارات والدي للقاهرة التقيتُ بالشاعر السوداني عاطف خيري مصادفة في المسجد بعد صلاة الجمعة وقدمتُ له دعوة لزيارة منزلنا كونه جارنا، فإذا بأبي يدعو صحبه ويقيم مجلس سُكر على شرف الشاعر في الليلة ذاتها.

أبي هو أول من "أدار لي راحاً" قبل حتى أن تتساوى الأكتاف ويصبح هو خير جليس لي في البار. كان ذلك في التسعينات مع أحد "بلدياتنا" النوبيين من خدم القصور الملكية يدعى فتحي فلاح. تحديداً في قصر الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز. حيث لا وجود للشرطة إلا في محيط القصر. كنتُ لا أزال في الخامسة أو أقل. طفلاً مزعجاً بالنسبة إلى أبي الذي كان بالكاد قد وجد ملاذاً آمناً لاحتساء الخمر، فما كان منه عندما أخبرته بعطشي إلا أن ملأ كأساً شفافا من العرق ومده لي بوصفه ماءً، وبعد بكاء وبصاق استسلمتُ لنوم عميق وفرَ له سهرة هادئة وقصة مسلية عن طفولتي البائسة.

«ابنك لو كبر خاويه»

انتقالي للدراسة مع أخواتي ووالدتي إلى القاهرة مطلع هذا القرن كان فرصة رائعة لأبي للخروج -من حين إلى آخر- من تزمّت قوانين الشريعة في السعودية والسودان، وما هي إلا سنوات قلائل حتى صرتُ أرافق أبي لمقهى الحرية في باب اللوق. بحيث صار ذلك مدعاة للافتخار بالنسبة إليّ كون أبي "راجل cool"، ولكن لذلك حدود، فالرجل شيوعي سوداني. مما يعني أن التزامه باللائحة الداخلية للحزب يجعل منه محارباً لدوداً لكل أنواع المخدرات التي قد يُفصل بسببها من الحزب إذا أُثبت تعاطيها، وهو الدرس الذي لم يستوعبه صديقي أحمد ندا في المرة الوحيدة التي دعوته إلى رفقتنا على سطح فندق بمصر الجديدة استطعنا فتح باره خصيصاً لنا وبأعجوبة أثناء حظر التجوال المفروض عشية الإطاحة بالرئيس محمد مرسي العام 2013، فمن فرط عجزه عن تصديق مدى كون هذا الرجل الأشيب "كوولا" استرسل ندا في سؤال أبي إن كان أيضاً محباً للحشيش. مما جعل أبي ينفي متجهماً ويلغي بذلك أحمد ندا من لائحة المدعوين.

لم يكن الأمر كذلك طوال الوقت، فحتى بعد أن بدأتُ في الشرب -متأخراً قياساً لمتوسط عمر الصعلكة في عائلتنا- كنت لا أستلطف أن أشارك والدي الشرب وإن كان مجلسه مسلياً لي. لأسباب كلاسيكية لها علاقة بالاحترام والاحتفاظ بالهيبة وهذا الكلام الفارغ. حتى جاءت تلك اللحظة البائسة مع انتهاء الجولة الأولى من الانتخابات المصرية في 2012 وخسر حمدين صباحي بفارق بسيط لتصبح الجولة الثانية حكراً على مرشحي الإخوان وفلول نظام مبارك. كنت يومها أزور والدي في السعودية للمرة الأخيرة في حياتي -بإلغائي لإقامتي هناك- ويوم أُعلن فوز محمد مرسي. مددتُ يدي أسفل سرير أبي حيث زجاجة مياه معدنية من ماركة "مكة" كانت تحوي لتراً من العرق. جلبتُ من المطبخ كأسين وشاركتُ أبي الشراب للمرة الأولى ونحن نشاهد قناة الجزيرة صامتين في كامل التعاسة حتى أدركنا النعاس. لم يكن إحباطنا من فوز مرسي نابعاً من أيّ استبصار أو قدرة طبيب على التشخيص السليم، ولكنها خبرة المُجرّب الذي سبق له أن أُصيب بنفس المرض، لكننا على الجانب الآخر ولاستسلامنا لربع قرن من حكم الإسلاميين في السودان لم نتوقع أن يحل الثلاثين من يونيو بتلك السرعة.

ومع الأسف، لم يجعل إخفاء الإخوان المسلمين "الحالي" من المشهد السياسي من مصر فردوساً للعلمانية، فقانون الجهر بالإفطار -مثلاً- لم يُشرّعه برلمان 2012 بل هو سابق له. هنا يكمن عمق المهزلة بالنسبة إلى حال الصعاليك من أمثالنا، فبدلاً من أن يتم استغلال الانتفاضة -المدعومة من الجيش- ضد الحكم الإسلامي لإرساء نظام علماني، نجد في مصر خطاباً سُلطوياً أخلاقياً مُتجذراً، وميلاً مائعاً للمحافظة -مثلاً برضو- على المادة الثانية لدستور السادات "الشريعة الإسلامية مصدراً رئيساً للتشريع" والتي غازل بها الرئيس الراحل الحركات الإسلامية التي اغتالته لاحقاً. لتصبح هذه المادة فوق دستورية بحكم العُرف حتى مع خروج جماهير هذا الشعب "المتديّن بطبعه" لإسقاط الجماعة التي تتخذ من الشريعة الإسلامية نفسها أيديولوجية سياسية. هذه الميوعة المسماة "بالوسطية". هذا الفصام هو ما يدفع إلى الجدال الزائف حول "مدنية الدولة" والتستر خلفها ككود يرمز للعلمانية التي يُعد الإشارة الصريحة إليها أمراً مُعيباً يجب نكران الإيمان به. لنجد أن التستر خلف المدنية بعد 30 يونيو ووصول مشير إلى سدة الحكم أمر مضحك مع السيطرة الخالصة للجيش على مقاليد الأمور في الدولة، ونكتشف بغباء أن مدنية الدولة هي مقابل للعسكرية لا الدولة الدينية، وهي في الحالتين معدومة.

هذه الميوعة هي ما يجعلنا نرى صوراً كتلك التي انتشرت في 30 رمضان عام 2013 على فايسبوك لجمهرة من الناس تصطف أمام وفوق وتحت محل درينكيز للمشروبات الكحولية ليلة العيد، والتي تتسق تماماً مع الذهنية التي تدفع شاعر "نهج البُردة" أحمد شوقي لينظم في قافيّته الشهيرة التي لطالما حسبتها إحدى هرطقات أبي نواس:

رَمَضانُ وَلّى هاتِها يا ساقي * مُشتاقَةً تَسعى إِلى مُشتاقِ
مَا كانَ أَكثَرَهُ عَلى أُلّافِها * وَأَقَلَّهُ في طاعَةِ الخَلّاقِ
اللَهُ غَفّارُ الذُنوبِ جَميعِها * إِن كانَ ثَمَّ مِنَ الذُنوبِ بَواقي
بِالأَمسِ قَد كُنّا سَجينَي طاعَةٍ * وَاليَومَ مَنَّ العيدُ بِالإِطلاقِ

منع بيع الكحول أثناء المناسبات الإسلامية كان أكبر صدمات أبي في "مدنية" مصر. كان ذلك على ما أذكر العام 2003 عندما قرر أن يستغل العطلة الطويلة التي تُمنح لموظفي الحكومة أثناء شعائر الحج وحتى انتهاء عيد الأضحى ليهرب من بطش الحجاز إلى مجون القاهرة. أيقظني أبي ثاني أيام وصوله مبكراً وقال لي بلهفة "يلا الحرية!"، وكان أمراً باعثاً على الحماس أن تذهب إلى ذلك المقهى قبل أن يستلم النادل ميلاد الوردية. جلس أبي بأريحية على الكرسي الخشبي وطلب بكل طلاقة زجاجة استلا من النادل القبطي الذي رد عليه بابتسامة حزينة:

النادل: آسفين يا باشا.. ممكن تطلب بيرل أو فيروز لو تحب.

أبي: أنا بقول ليك استلا تقول لي فيروز؟ ليه ؟ خلصت؟ (قالها بفزع).

النادل: كل سنة وإنت طيب.. النهارده وقفة عرفة!

هنا بلغ الغضب من أبي كل مبلغ وصرخ في النادل: عرفة مين؟! أنا سايب جبل عرفة وراي وجاي هنا عشان أسكر تقول لي وقفة عرفة؟!

لذا، عندما قرر أبي القدوم للقاهرة خلال شهر رمضان 2013 لم تكن مسألة سوء التوقيت مفاجئة له. "ثلاثين وقفة عرفة" كاملة كانت في انتظاره. مطبقاً بشكل عمليّ طرفته المفضلة التي يحكيها لنا في كل شعبان عندما قيل لأعرابي إن رمضان أقبل، فقال "والله لأبدّدنه بالأسفار!" لكن قراره بالسفر كان مفاجئاً بالنسبة إليّ ومتعارضاً مع خططي. ما اضطرني للعودة من مصيف دهب لتعذر انتقال العائلة برمتها لجنوب سيناء، فكان التساؤل الأكبر لأبي في الهاتف قبل أن يصل إلى مطار القاهرة: السوق الحُرة مفتوحة في رمضان يا حسام؟

وليس من قبيل المصادفة أن يرتبط احتساء الكحول بالتحرر: "مقهى الحرية" و"السوق الحرة"!

كانت الاحتفالات مُرجأة للعيد وفقاً لقصيدة "أمير الشعراء". بينما

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

* تخطيط: ابراهيم الصلحي

ظلتْ لديّ خطط بمعزل عن أبي. أهمها أنني كنت أنوي منذ أشهر السفر إلى الخرطوم خلال شهر رمضان "طالما إنها بايظة بايظة" ولم يكن وصوله للقاهرة دافعاً كافياً لإلغائها. عرّفته على بعض الأصدقاء، وتواصل هو مع أصدقاء قدامى. رسموا له في وسط البلد خارطة طريق للبارات التي تقدم الكحول في رمضان، وبعيداً عن صخب النادي اليوناني -بفرعيه- وبارات الفنادق الصديقة التي قد تقدم الكحول للجميع بحكم فهلوة العاملين عليها. كان ثمة ثغرة في قانون منع تقديم الكحول في المناسبات الإسلامية. ألا وهي "جواز السفر الأجنبي".

أفريكيا

فأثناء لقائي لتناول الغداء مع صديقتي غيدا نوري في الزمالك اقترحتْ أن نذهب لشرب البيرة إن كان ثمة سانحة لذلك، ولوجودنا في شارع البرازيل اقترحتُ سطح فندق يحمل إطلالة لطيفة على النيل. استُقبلنا في البار استقبال الفاتحين كوننا الزبائن الوحيدين في ذلك النهار الرمضاني المشمس. لولا شرط جزائي من النادل -الذي كان قبطياً أيضاً- بأن نكون حاملين لجوازات سفر أجنبية. جاءت إجاباتنا قاطعة وواثقة. لكوني سودانياً وكون غيدا لبنانية، وعندما طلب منا النادل بصرامة ضابط شرطة إخراج جوازاتنا اكتشف حقيقة أننا "عرب" وأن السودان ولبنان ليسا من الدول الأجنبية! بعيداً عن المفارقة المضحكة التي تجعل نوبياً أسود مثلي يوضع في نفس فئة التصنيف العرقي مع لبنانية شقراء. انخرطتُ في نقاش محموم مع النادل لأقنعه بأن كلينا لسنا عرباً، وأنه حتى لو كانت بلداننا أعضاء في الجامعة العربية فإن هذا لا يعني أننا مصريون، لأن القانون يجب أن يطبق على المسلمين والمصريين منهم فقط لا العرب. "العربي مش لازم يكون مسلم يا مينا!" لكن النادل لم يقتنع بتاتاً. لا لشيء إلا لأن مبرراتنا ما كانت لتقنع ضابط شرطة السياحة -لاحظ، ليست هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!- التي سيحق لها حينها أن تغلق البار ويُقطع رزق العاملين في الفندق.

هنا خدمتني الذاكرة. وتذكرتُ المفارقة الأكبر لهذه القصة، أن صديقتي اللبنانية ولدتْ لأم ولدتْ بدورها في غامبيا. مما جعل صديقتي مستحقة للحصول على الجنسية الغامبية. سألتها عن جواز السفر الآخر فقالت إنه في منزلها القريب لكنها لم يسبق لها أن استخدمته لأنها دائماً ما تسافر بجوازها اللبناني، وهنا أتيح لها أن تستخدم جوازها "الأفريقي" للمرة الأولى.

كانت نظرة النادل معبرة وهو يفتح الجواز، فقد كان يقف أمام فتاة بيضاء بِشعر أشقر وعيون ملونة تحمل جوازاً لدولة أفريقية لم يسمع عنها من قبل حتى في كأس الأمم الأفريقية (الرابطة الشعبية الوحيدة للمصريين بأفريقيا)، فغامبيا ليست أكثر من شريط رسمه الإنكليز حول نهر يخترق السنغال المستعمرة من قبل فرنسا وأسسوا على ضفتيه دولة يبلغ أقصى عرض لها 48 كيلومتراً. كل ذلك لم يكن مهماً. المهم أنه كان بحوزة صديقتي جواز سفر "أجنبي" يجعلها مُخوّلة للجلوس في البار لاحتساء البيرة فيما كنت أنا ممنوعاً من ذلك (لذلك طلبت مع الشيشة منتجاً آخر لشركة الأهرام خالي من الكحول: بيرل)، وهكذا أنقذنا جواز أفريقي لم أحمله أنا الزنجي وحملته لبنانية كان أقصى نقطة وصلتها غرباً في أفريقيا هي مدينة الإنتاج الإعلامي.

دليلك إلى: كيف تهرّب زجاجة ويسكي من مطار الخرطوم؟

سفري إلى الخرطوم وترك أبي في القاهرة كان مُحبطاً بقدر ما لكلينا. لكن أبي كان مُتفهماً بشكل كبير، كبير جداً. لدرجة أنني ما إن أخبرته أن "علاقات" زوج خالتي بسلطات مطار الخرطوم تسمح لنا بالخروج من الصالة دون التوقف عند ضباط الجمارك قدّم لي عرضاً مغرياً طالما أننا سنقضي العيد في مدينتين مختلفتين، وعرض عليّ أخذ زجاجة واحدة من زجاجات الويسكي الأربعة التي اشتراها من السوق الحرة: "ما عدا الشيفاز!". كانت تلك ملاحظة مهمة منه لأنه لولاها لكانت من نصيبي، وسافرتُ إلى الخرطوم بزجاجة جوني ووكر "ريد ليبول".

لم أكن يوماً من عشاق "مصر للطيران" التي تبيع الكحول في الأسواق الحرة وتمنعها على متن طائراتها. لكنها كانت في أبسط مقارنة مع الخطوط السودانية خياراً موفقاً جداً، والأهم أن اختياري لهذه الرحلة في هذا التوقيت تحديداً كان متزامناً مع رحلة صديقتي رغدان القادمة من مانشستر إلى الخرطوم على متن مصر للطيران، وبدلاً من لقائها أثناء الترانزيت في القاهرة كما فعلتُ في رحلة الذهاب انضممتُ إلى الرحلة رفيقاً. وصلنا بكامل وعينا لمطار الخرطوم الذي تحوّل مع تقلص حجم السودان إلى مطار إقليمي فاقداً صفة "الدولي" مع ازدياد وتيرة الضغوط السياسية على النظام، ليتناسب بذلك طردياً مع حجمه الطبيعي كواحد من أصغر المطارات الدولية في العالم. كل ذلك لم يكن مهماً، طالما أنني أستطيع الدخول لهذا المطار دون تأشيرة دخول. المهم: أن أنجو بزجاجتي.

لم أكن طامعاً في الريد ليبول على أيّ حال، ففوق عزوفي عن شرب الكحول لم يكن ذلك نوعي المفضل من الويسكي. لكنها كانت محاولتي لمفاجأة صديقي مأمون التلب في جحيم الخرطوم بوصفها أفضل هدية زواج لشاعر سكير. إضافة إلى أنها المرة الأولى التي لا أحضر فيها زفافه -بوصفي الشاهد الثاني على زيجته السابقة بالقاهرة- تملكتني رغبة جامحة لرؤيته يسكر ويشاركني الضحك الهستيري دون أن يضربه بسبب العرق المحلي الصنع إعصار "الكيتوك" صباح اليوم التالي (الكيتوك هو الـ Hang over باللغة السودانية).

إذا كان هنالك صفة غير الكسل ترسم الصورة النمطية العربية عن السودانيين فهي إدمان الكحول، وهو ما يدل على سوء حظ السودانيين الذين يتمتعون بطقس ينغص حياة أيّ كسلان، وقانون مناهض لكل أشكال البهجة، فخلال التحولات التي أصابت سياسة أنور السادات في مصر وانتهاجه لسياسة الانفتاح وتراجعه عن الاشتراكية الناصرية، كانت عدوى مماثلة تصيب -لأسباب محلية- الرئيس جعفر نميري في الخرطوم. الذي تطرف في مغازلة الإسلاميين بما يفوق المادة الثانية من الدستور المصري وقرر أن يهب الدستور كاملاً عام 1983 للنائب العام حسن الترابي طالب السوربون الذي انشق عن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين والخارج لتوه من سبع سنوات قضاها في سجون النميري متحالفا معه ضد الشيوعيين، وطُبقتْ في السودان مذ ذاك قوانين الشريعة الإسلامية الشهيرة بـ "قوانين سبتمبر".

لم تكن النتيجة المباشرة لتطبيق هذه القوانين هي فقط إغلاق البارات والنوادي الليلية ومنع تقديم الكحول في الفنادق والمطاعم وإغلاق مصانعها. بل اجتثاث ثقافة شعبية كاملة تقوم التسلية فيها بشكل أساسي على الخمر والجنس في مجتمع "الإنداية"، وهي أندية لصنع وتقديم الكحول محلية الصنع من المحاصيل المتوفرة محلياً في قرى السودان. وثّق لها بشكل أكاديمي الطيب محمد الطيب في كتاب حمل الاسم نفسه، وقدم له بروفيسور عون الشريف قاسم الذي كتب في المقدمة "فالإنداية كما يذكر الطيب في بداية كتابه من الأمور التي لا يصح الحديث عنها في عرف المجتمع السوداني إلا في مقام الذمّ وهي من أجل ذلك لا تجاور سكناهم بل تُقصى إلى أطراف القرى والمدن وقد تُضرب في الخلاء، ويطلق عليها 'الجو'… ولكنك بمجرد تصفح الكتاب وسبر غوره تجد أنه يدهشك أن المخبر غير المظهر وسرعان ما يكتشف القارئ أن الإنداية التي يتحدث عنها الكتاب ما هي إلا مظهر من مظاهر الحياة السودانية وهي ككل المؤسسات الاجتماعية لها نظمها وتقاليدها وقيمها التي يلتزم بها من يرتادونها ويذمّون من يخرج منها".

ملاحظة اعتراضية: شغل بروفيسور عون الشريف قاسم الذي قدم لهذا الكتاب منصب وزير الأوقاف والشؤون الدينية أوائل السبعينات خلال حكم الرئيس نميري بعد عمله كأستاذ في جامعة لندن.

قامتْ انتفاضة شعبية بعد إقرار قوانين سبتمبر بعامين وأطاح وزير الدفاع المشير سوار الذهب برئيسه نميري في 6 أبريل (يا للمفارقة!) 1985 وبعد أن سلم الجيش السلطة للأحزاب عبر إقامة الانتخابات النيابية قفز الإسلاميون إلى السلطة عبر صندوق الاقتراع. لم يكتف الإسلاميون بالاحتفاظ بقوانين الشريعة والمشاركة بنسبة جيدة في الحكومة الائتلافية. لكنهم قرروا التخلص من الحياة النيابية برمتها وتحالفوا مع الجيش في انقلاب عسكري في 30 يونيو (يا للمفارقة برضو!) 1989 أطاح بعده بعشر سنوات المشير عمر البشير بعرّابه حسن الترابي. ليعود الأخير إلى صفوف المعارضة مجدداً وهو يراقب النظام الذي أرسى دعائمه وهو يحوّل السودان إلى مسخ متهلهل.

هل كنتُ أفكر في كل هذا وأنا أقف أمام صف انتظار الحقائب في مطار الخرطوم؟ بالطبع لا. هذا التداعي الحر للأفكار هو من نصيب الكتابة. أما آنية اللحظة فقد استحوذ عليّ فيها الأدرينالين بشكل طاغ كما كنت أتشدق أعلاه. ليس فقط لأن زوجَ خالتي "المسؤول" قرر أن ينتظرني في الخارج دون أن يصحبني في رحلة الخروج أمام ضباط الجمارك. بل لأن رغدان أخبرتني بأمرٍ كان غائباً عن خطتي الارتجالية البلهاء تماماً. عندما سألتها عن السبب الذي تخرج فيه بعض الحقائب إلى السير وهي ملطخة بطباشير ترسم علامة (X). الإجابة ببساطة أن الحقائب وقبل أن تسلم لأصحابها تمر أولاً بجهاز أشعة (X) وأن هذه الطباشير هي رسالة لضباط الجمارك كي يفتشوا الحقائب المعلمة و"يجمركوا" ما فيها. كانت الزجاجة لتظهر على أيّ حال في أي جهاز، فقبل أن أركب الطائرة. حاول أمين شرطة في مطار القاهرة ابتزازي أثناء دخولي للصالة قائلاً: هو إيه اللي في الشنطة ده؟

(للحظة أصابني الرعب قبل أن أتذكر أنني لم أقلع بعد وأن القانون المصري في صالحي)

أنا: قزازة ويسكي.

أمين الشرطة: طب ينفع كده؟

أنا: أنا جبتها من السوق الحرة من هنا على فكرة. لسه من 4 تيام.

أمين الشرطة: طب كل سنة وإنت طيب.

وانتهى الحوار بعشرة جنيهات. لكن أضعاف هذا المبلغ ما كانت لتنقذني في مطار الخرطوم مع زجاجة البلاك ليبول الملفوفة داخل عدد من الألبسة الداخلية والمحشورة جيداً في حقيبتي السوداء التي كان لرغدان نفسها أن اصطحبتها من نيروبي إلى الخرطوم قبل أشهر لكثرة وزن أغراضي، وكان ذلك سبب تعارفنا، ولخوفها ممّن هم على شاكلتي طلبتْ مني يومها أن تفتش الحقيبة قبل أن توافق على اصطحابها لتجد أنها مليئة بالثياب والكتب فقط. لم أخبرها تلك الليلة في مطار الخرطوم بأمر الزجاجة حتى جاءت الحقيبة أخيراً. أمسكتُ بها وقلبتها على بلاط الصالة، واكتشفتُ أنّ حظي لا يزال يعمل وأن الحقيبة نظيفة تماماً. مع الأسف. كانت العادة السودانية الشائعة في حمل حقائب الغير عاملاً متوفراً في هذه القصة أيضاً. حيث خرجتْ حقيبة كانت قد أعطتها لي أمي لصالح خالتي -التي يرفض زوجها الآن انتظاري- محملة بعدد غريب من أطقم الكؤوس الزجاجية، ومزينة من عدة زوايا بعلامة (X) بطبشور وردي.

تلك كانت المرة الأولى التي أمر فيها بطمأنينة من أمام ضباط جهاز الأمن والمخابرات ويكون باعث قلقي هم رجال الشرطة. عبرتُ بثقة مفتعلة من أمام أول شرطيين. سألتهم عن الجمارك وأنا عالم تماماً بمكانها فسألوني إن كانت حقائبي ملطخة بالطباشير:

كذبتُ: لأ.

الضابط: طيب بتسأل من الجمارك ليه ؟ أمشي طوالي كده! (وأشار إلى مخرج الصالة).

كان يقف هناك ضابط آخر أرفع رتبة. الحقيبة النظيفة من الخارج والملوثة من الداخل ظلت في المقدمة كونها الأكبر حجماً. أما حقيبة أمي الصغيرة ذات الطباشير فكنتُ أسحبها خلفي في الجانب الأعمى من وقفة الضابط. لم يرها الضابط الذي قدمتُ له جوازي على سبيل التضليل فسمح لي بالمرور فوراً.

بدا الأمر لي كلعبة فيديو. ينتقل فيها اللاعب من مرحلة إلى مرحلة ومن مقاتل إلى مقاتل. إلى أن وصلتُ إلى الحاجز الأخير حيث مرحلة الوحش. كان عقيد من شرطة الجمارك يقف أمام المخرج الصغير يتحدث عبر مكالمة في الهاتف. مما جعلني أتفاءل خيراً بانشغاله، وما إن مررتُ من أمامه حتى ركل بحذائه حقيبة أمي مشيراً إلى علامة (X) اللعينة.

أخبرته أنها لا تحوي شيئاً فقال مقاطعاً مكالمته بانزعاج "لو ما فيها شي ما كان شخبطوها ليك! أمشي خليهم يفتحوها هناك!"، وأشار إلى حيث تدور رحى معركة من الفتح والإغلاق مع بعض المسافرين المحظوظين. لم أكن أخشى شيئاً من فتح حقيبة أمّي وكنت على استعداد كامل للتخلص منها في الجمارك مقابل الخروج بحقيبتي المفخخة التي خشيتُ أن تفتش من باب "ما إنت كده كده جيت فخلينا نشوف شنطتك التانية". اتصلتُ بزوج خالتي مجدداً الذي كان مستمتعاً بتورطي في هذا القلق وهو مُصّر على معرفة ما في حقيبتي. قررتُ تجاهل ضحكه المستهتر في الهاتف وخوض المعركة بنفسي، وتركتُ حقيبتي ذات الريد ليبول عند المخرج وسرتُ صوب الجمارك بحقيبة الكؤوس الزجاجية الفارغة من أي ويسكي. لحسن الحظ. فتشها الضابط، وضحك عندما رأى شكل الكؤوس الفارغة متخيلاً كيف بدت في شاشة جهاز أشعة (X) وألصق لي ملصقاً يشير إلى سلامة محتويات الحقيبة، بينما أسترق النظر من لحظة لأخرى لحقيبتي الواقفة بجوار العقيد المتحدث في التلفون. لم يعلق أحد على حقيبتي الأخرى النظيفة، فعبرتُ من مرحلة الوحش آمناً بزجاجتي إلى شوارع مدينة تحكمها الشريعة.

«قالي الرخص قلت لو معيش»

شوارع الخرطوم كان لها طريقتها في احتوائي بثغراتها الأمنية المحاطة بقيم أخلاقية عجيبة. كنت قد دعيتُ مع زميل دراستي وصديقي العزيز مانديلا (واسمه الحقيقي: محمد علي) إلى زفاف ابنة عم زوجته، وكأيّ حفل زفاف سوداني أصيل خرجتْ زجاجات العرق من تحت الطاولات أمام كل شخص يدعي شرب الـ"سفن أب"، وبينما كان عم العروس يتذمر من كيفية احتمال العيش في بلد يصل فيها سعر زجاجة الويسكي إلى المئة دولار تذكرتُ كم كنت محظوظاً في المطار، ولاحتْ لي فكرة أن أتاجر في تهريب الكحول إذا لم أوفق في الحصول على وظيفة جيدة في السودان، وبعد أن صعد أحد مسؤولي الصالة عند الواحدة صباحاً لخطف المايكروفون من "ندى القلعة" الفنانة التي أحيتْ الفقرة الأخيرة معلناً انتهاء الحفل وفقاً لقوانين ولاية الخرطوم الموروثة من حقبة حظر التجول، استعد صديقي مانديلا للمغادرة ليجد نفسه ثملاً تماماً، ومع وجود زوجته وابنيه عرضتُ عليه أن أقود سيارته حتى أم درمان في مقابل أن يوفر لي سريراً للمبيت. كان العرض موفقاً بالنسبة إلى كلينا رغم كرهي الصادق لأم درمان، فقد أتيح لي أمر لطالما أحببته، القيادة في شارع النيل ليلاً بعيداً عن الزحام المروري. متجاهلين أنني لا أمتلك رخصة قيادة.

كما توقعتُ. مررنا بحاجز أمني قبل العبور إلى جسر النيل الأبيض الواصل بين الخرطوم وأم درمان. كانت لديّ دائماً 20 جنيهاً جاهزة في كل مرة أقود فيها سيارة في الخرطوم لعدم امتلاكي لرخصة. لكن الشرطي الذي أوقفني كان في ثياب زرقاء لا بيضاء. مما يعني أنه ليس من شرطة المرور، وبعد رؤيتنا للحيته الطويلة تأكدتُ أنه لن يكون ممن يتقبلون الرشاوى خصوصاً إذا كانت مبلغاً تافهاً كهذا. سألني بصرامة: السلام عليكم، الرخصة يا أخ!

* كاتب من السودان

ينشر هذا الملف بالاتفاق مع مجلة «الجديد» اللندنية والمقال كاملا على الموقع الإلكتروني

دراما المسكوت عنه في السينما الإسرائيلية

عن الحب والزواج والطلاق والتزمت الديني

أمير العمري

❏ يتركز اهتمام النقد العربي بالسينما الإسرائيلية عادة، على الأفلام التي تتناول الصراع العربي الإسرائيلي، لكن في السينما الإسرائيلية الكثير من الأفلام الأخرى التي قد لا تتناول الصراع بشكل مباشر لكنها تكشف الطبيعة العنصرية للمجتمع الإسرائيلي، وتفضح التناقض بين الصورة الظاهرية العلمانية الحديثة، والجوهر الديني المتشدد الذي يصل في تزمته وجموده إلى قمع المرأة والشطب على وجودها وحرمانها من حقوقها الأساسية طالما ظل المجتمع الإسرائيلي المدني خاضعا للسلطة الدينية وتعاليم اليهودية المتشددة في كل ما يتعلق بقوانين الأحوال الشخصية.

مقدس

يصور المخرج عاموس غيتاي في فيلمه "قادوش" (أو مقدس) العلاقات الزوجية داخل مجتمع اليهود المتشددين، بين رجل وزوجته هما مائير ورفقة، وهما ينتميان إلى أسرتين من اليهود المتشددين. مائير من طلاب الدين اليهودي، وهو يقيم مع زوجته في الحي الخاص باليهود المتشددين في مدينة القدس، في عزلة عن كل مظاهر الحياة الحديثة، حيث يحظر استخدام الراديو والتلفزيون وسماع الموسيقى والذهاب إلى دور السينما، وغير ذلك. ورغم أن العلاقة بين الزوجين ملؤها الحب والتقدير، إلا أن عدم إنجاب الزوجة منذ زواجها قبل عشر سنوات، يظلل تلك العلاقة بالمشاكل. فطبقا للأعراف اليهودية تعتبر المرأة العاقر "كيانا ميتا"، ومائير يتعرض من جانب والده الحاخام إلى كثير من الضغوط لتطليق زوجته والزواج من أخرى يمكنها الإنجاب، وتتردد رفقة على عيادة طبية لتكتشف أن العقم من طرف زوجها، لكنها تخفي الأمر عليه حفاظا على مشاعره، وفي الوقت نفسه ترتبط شقيقة رفقة، "مالكة" بعلاقة حب مع شاب كان قد تمرد على مجتمع اليهود المتشددين وخرج عنه، لكن أهلها يرغمونها على الزواج من طالب دين آخر هو "يوسف". لا تتمكن مالكة من الاستمرار في زواجها بيوسف الذي يسيء معاملتها وينتهك كرامتها، فتخونه مع حبيبها الأول انتقاما منه، أما مائير فيرضخ للضغوط ويطلق رفقة رغم حبه لها.

كان موضوع العلاقات الزوجية في مجتمع يهود إسرائيل المتشددين من المواضيع المسكوت عنها في السينما الإسرائيلية، إلى أن فتح عاموس غيتاي هذا الملف الشائك بجرأة شديدة في فيلمه هذا الذي يتضمن للمرة الأولى، الكثير من المشاهد التي تصور العلاقة الجسدية في الفراش بين مائير ورفقة، مقارنة بما يدور بين يوسف ورفقة.

وكان هذا الفيلم سببا مباشرا في ظهور فيلم "أوشبيزن" (أو "الضيوف") الذي يصور علاقة حب بين زوجين من اليهود المتشددين، يعيشان معا منذ 5 سنوات دون إنجاب، على حافة الفاقة والفقر. لكن الزوج موشي الذي يعجز عن الوفاء بما تفرضه عليه التعاليم اليهودية من إقامة ما يسمى بـ"السقيفة" التي يستضيف فيها الضيوف ويكرمهم ويغدق عليهم تقربا إلى لله في تلك المناسبة اليهودية، يتفرد بنفسه، يناجي الرب أن ينقذه من وهدة الفقر والعوز، فتتحقق المعجزة، ليس فقط عندما يأتيه مبلغ مالي كبير على سبيل التبرع، بل وعندما يوفق لشراء ليمونة بمبلغ يعتبره كبيرا يقال له إن فيها سر خطير، فهي يمكن أن تسبب خصوبة امرأته العاقر، وهو ما يتحقق بالفعل في النهاية. وفي الفيلم الكثير من المقارنات المباشرة بين روحانية اليهود المتشددين، وبوهيمية اليهود العلمانيين الذين يصورهم في صورة الخارجين على القانون، الذين يمارسون المتع المنحرفة الشاذة دون أي رادع، مقابل ما يتمتع به الطرف الآخر من تماسك وصبر على الشدائد وتضحية وكرم.

املأ الفراغ

تدور أحداث فيلم "املأ الفراغ" (2012) للمخرجة راما بيرشتاين، في الحي الذي يقطنه اليهود المتشددون في تل أبيب، في أجواء شديدة التزمت دينيا وأخلاقيا، حيث نرى الرجال بملابسهم المميزة وسوالفهم الطويلة وقبعاتهم السوداء ولحاهم الكثيفة، والنساء بالباروكات المعروفة فوق رؤوسهن. ونحن أمام أسرة يهودية متشددة، نشأت على القيم الأصولية، ولكن الابنة "شيا" فتاة الثامنة عشرة أصبحت في عمر الزواج الآن، ويرغب أهلها في تزويجها إلى شاب من طلاب الدين، لكن شقيقتها المتزوجة تموت وهي تضع طفلها الأول، وتضغط عليها أسرتها لكي تتزوج زوج شقيقتها حتى تتولى تربية الطفل، حفيد العائلة الوحيد، وتحول بين سفر زوج أختها الراحلة إلى بلجيكا والزواج من أخرى وإهمال ولده. تقاوم "شيا" فكرة الزواج من زوج شقيقتها المتوفية وهو ما ترى أنه يتعارض مع أصول الشريعة اليهودية، لكن الفتوى الدينية التي تعلي من مصلحة الأسرة اليهودية على الشريعة، تنتصر في النهاية.

يمتلئ الفيلم بكل ما يمكن تخيله من مبالغات في مجال استعراض تقاليد الحياة في "الغيتو" اليهودي: الأناشيد، الاحتفالات الدينية، الأعياد، الزيجات، همسات أفراد العائلات حول الفتيات، الزيارات المتبادلة، القيل والقال، همسات الأمهات حول عنوسة الفتيات، إعداد الطعام على الطريقة اليهودية، الصلاة اليهودية، هدهدة الأطفال، وكل هذه المظاهر يتم تصويرها في إطار الاحتفاء بالظاهرة وفي عزلة تامة عما يحدث في الواقع الإسرائيلي خارج الغيتو. فالحي اليهودي هنا هو البديل الروحاني للعالم، والأسرة هي أصل المجتمع والحياة، والدين أساسي لضبط العلاقات داخل الأسرة والمجتمع، والحب لا معنى له، وهدف الزواج هو الإنجاب لضمان استمرار الأسرة، والأم وظيفتها التضحية فهي أصل العائلة اليهودية.

محاكمة النظام القضائي

على صعيد نقد مجتمع التشدد الأصولي اليهودي، عرض في 2015 الفيلم التسجيلي الطويل "محاكمة فيفيان أمسالم" (2015) الذي اشترك في إخراجه شلومي وورونيت الكابيتز، وهما شقيقان سبق أن اشتركا في إخراج فيلمي "اتخذ لك زوجة" (2004)، و"7 أيام" (2008). وقامت رونيت الكابيتز ببطولة الأفلام الثلاثة، فهي أساسا ممثلة، سبق أن عرفناها من خلال الفيلم الإسرائيلي الشهير "زيارة الفرقة الموسيقية" (2007) الذي قامت فيه بدور صاحبة المقهى التي تستضيف أفراد الفرقة العسكرية الموسيقية المصرية. وينتمي الثنائي الكابيتز إلى أسرة من اليهود المغاربة المهاجرين. وفي الفيلم الجديد تقوم رونيت بدور "فيفيان" المتزوجة من "إليشا" وهو من اليهود المتشددين، وكلاهما من أصول مغربية، وحوار الفيلم خليط من العبرية والفرنسية والعربية باللهجة المغربية.

المرأة أدركت منذ وقت طويل أنه لا يمكنها العيش مع هذا الرجل الذي يسيء معاملتها ويقهرها ولا يستجيب لمطالبها البسيطة في توفير حياة بسيطة جميلة، فيها من المتعة بقدر ما فيها من المسؤوليات. وهي قد رفعت قضية أمام القضاء تطلب ببساطة، تطليقها منه. ولأنها تزوجت زواجا دينيا، يجب أن ينظر في قضيتها أمام قضاة من رجال الدين، أي الحاخامات الذين ينظرون إلى المرأة نظرة متعالية، في استنكار واستهجان، لكونها تطلب ما يعتبرونه "تدمير أسرة يهودية" أي فك عرى علاقة يرونها يجب أن تكون أبدية بين الزواج والزوجة، خاصة أن لديهما أطفالا، وطالما أنها لا تستطيع أن تثبت شيئا مما تدعيه على زوجها: ألا يطعمها؟ ألا ينفق عليها؟ ألا يمتنع عن الاعتداء الجسدي عليها؟ إذن فقضيتها تستغرق أمام تلك المحكمة، خمس سنوات، بين التأجيل، والتسويف، وتهرب الزوج من الحضور، وإصرار القضاة الذين يظهرون من البداية انحيازا واضحا إلى جانب الرجل، على ضرورة مثوله أمامهم لكنهم في الوقت نفسه يسوفون، وعندما يرضخ أخيرا ويحضر يؤجلون الدعوى، ويصرون على ضرورة حضور شهود، ويأتي الشهود، ويقوم محامي المرأة باستجوابهم وإحراجهم ونسف شهاداتهم التي تدربوا عليها مسبقا.

نتابع هذه القضية بين فيفيان وإليشا، ونرى كيف يبذل المحامي كل ما يمكنه لإثبات حقها في الطلاق، ولكن محامي الزوج، وهو أيضا حاخام، يقوم بتفنيد دعاوى الزوجة بل إنه في مرحلة ما، يحاول أيضا تشويهها فيتهمها بإقامة علاقة عاطفية مع محاميها (العلماني). هذه التفاصيل نتابعها من خلال مشاهد متتابعة، تدور في معظمها، داخل حجرة المحكمة وهي حجرة صغيرة نسبيا، فيها منصة يجلس فوقها ثلاثة قضاة– حاخامات، ومقاعد مثل مقاعد التلاميذ في المدارس، حيث يجلس على اليمين الزوجة ومحاميها الذي يرفض ارتداء القلنسوة اليهودية، وعلى اليسار الزوج (مرتديا القلنسوة اليهودية) ومحاميه. وهناك في وسط تلك القاعة الصغيرة، منصة للشهود يتقدمون إليها واحدا إثر آخر، ثم يغادرون القاعة. ولا تغادر الكاميرا قاعة المحكمة إلى غرفة المكتب الملحقة بها إلا مرتين أو ثلاث مرات عندما تغادرها "فيفيان" أو عندما تحضر في جلسة تالية، بعد انقضاء أسابيع وأشهر.

يتغير القاضي الرئيسي، ولكن القاضي الجديد لا يمكنه سوى تأجيل القضية والتمسك بوجوب حضور الزوج وشهوده. والزوج بالطبع يسوف ويضيع الوقت، ويتعمد التغيب عن الحضور، وتصل الأمور إلى قدر كبير من العبث عندما تقف امرأة تشهد لصالح الزوجة قد تكون الوحيدة التي تقف في صفها، فتطالب المحكمة بتطليقها من هذا الرجل، وتصب جام غضبها على القانون والنظام والمحكمة والقضاة.

يأتي مشهد الذروة عندما يحضر الزوج أخيرا مع محاميه ويقول إنه وافق على منح زوجته الطلاق. وبمقتضى التقاليد الدينية، يتعين على الزوج أن يحمل ورقة الطلاق بعد أن يوقعها الاثنان، ويقوم القاضي بطيها ثم يسقطها في يدي الزوجة، هنا يتعين على الزوج أن يردد مرتين: "إنني أمنحك الطلاق وأسمح لك من الآن بحرية الزواج من رجل آخر".. عند هذه النقطة تحديدا يرفض الزوج نطق هذه العبارة، مصرا على أنه يحب زوجته ولا يمكنه أن يتخلى عنها.

تشير التواريخ التي نطالعها على الشاشة، إلى مرور خمس سنوات من بداية القضية، وبعد مرور مزيد من الزمن، يوافق الزوج أخيرا على منح الطلاق شريطة أن تتعهد له الزوجة بعدم الارتباط برجل آخر.

المرأة كيان أدنى

ينجح المخرجان في التحدي الذي تفرضه محدودية المكان وطبيعة الفيلم وموضوعه، عن طريق التنويع الشديد في الزوايا وتحجيم اللقطات، والتحكم في الأداء التمثيلي بل وفي كل إشارة أو إيماءة أو حركة تصدر عن طرف من الأطراف داخل القاعة، ترصدها الكاميرا بطريقة تبدو غير ملحوظة، من خلال اللقطات المنعكسة، كما يكشف الفيلم في كل مشهد عن نقطة جديدة تثير اهتمام المتفرج، سواء ما يتعلق بشروط القانون اليهودي (الديني) الذي يطبق على قضايا الزواج في إسرائيل، أو ما تكشف عنه الدياثة نفسها من خلال ما يتردد بشكل مباشر على لسان القضاة، من التلمود (غير مسموح للمرأة بقراءة التلمود) ومنها ما ينصّ على اعتبار المرأة كيانا أدنى، وأنه لكي يحدث الطلاق لا بدّ من موافقة الزوج.

إن كل لقطة داخل المشهد مدروسة ومتعمدة لكي تضيف شيئا، تكشف عن المشاعر: الإرهاق، التفكير، التأمل، السخرية، وأحيانا الانفجار في الضحك أيضا.

قصة الفيلم مأخوذة عن قضية حقيقية. ورغم طغيان الأسلوب المسرحي على الفيلم (المكان الثابت، الحوار، التمثيل) إلا أن ما يغري بالمتابعة، قدرة المخرجين على تطوير الحدث الواحد من خلال ما يكشف عنه الفيلم تدريجيا من أشياء تثير الدهشة والغضب أحيانا، بقدر ما تثير الضحك في أحيان أخرى، كما يساهم تنوع الشخصيات وطرافتها (خاصة الشهود)، والموقف العنيد الجامد للقضاة، في المحافظة على يقظة المتفرج وضمان استمرار متابعته للفيلم، خصوصا وأنه يوجه الكثير من الهجاء العنيف لمجتمع يبدو من ظاهر القشرة كمجتمع أوروبي حديث، بينما لا تزال تحكمه قوانين عتيقة تلغي حقوق المرأة وتبقيها خاضعة، مسلوبة الإرادة، مقهورة، تعيش تحت ظل الرجل.

«محاكمة فيفيان أمسالم» يفتح ملف الأحوال الشخصية في إسرائيل

قضاة الأحوال الشخصية من الحاخامات اليهود

فيلم «الضيوف» كان هو الرد اليهودي على نقد الفكر المتشدد

المحتالون يفسدون جولات السواح في عاصمة النور والحب

سياح باريس يشكون من انتشار ظاهرة السرقة والنشل المتكررة

تعد باريس عاصمة يتمنى الجميع زيارتها لاكتشاف جمالها وثقافتها ومعالمها المعمارية، بل كل من يزورها يخطط للعودة إليها، لكن هذه الرغبات والأمنيات بقضاء عطلة بجانب برج إيفل أصبح ممزوجا بالقلق من انتشار ظاهرة السرقة والنشل التي تستهدف السياح الجدد.

سياح مهددون بان يصبحوا مشردين اذا ما نهبت أموالهم

❑ **باريس** – مشهد دائم التكرار في باريس.. في صباح ساخن بعاصمة النور، تنتظر مجموعة من المراهقين وصول السائحين أمام أبواب قصر غارنييه، مقر دار الأوبرا الفرنسية الشهيرة.. غالبا ما تكون المجموعة مكونة من خمس فتيات من أوروبا الشرقية.. "هل تتحدث الإنكليزية؟ من فضلك وقع هنا".. العبارة التي تقولها إحداهن وهي تظهر استمارة لجمعية للصم والبكم أو الأطفال الأيتام أو المعاقين، وغالبا في أفضل الحالات يكون الأمر أحد أساليب الاحتيال، وفي أسوئها عذرا مثاليا لتشتيت انتباه الضحية فيما يقوم آخرون بسرقة محفظته والانطلاق فارين.

هذه واحدة من ضمن الحيل الكثيرة التي يستخدمها اللصوص للاحتيال على السائحين أو سرقتهم، خاصة إذا ما كانوا زوارا من الصين وفقا لما أكده رينو غوتييه، رئيس فرقة مكافحة الجريمة بالحي التاسع بباريس "أترى هذه الفتاة هناك؟ إنها تقوم

> قام المتحف بتحسين الأمن ووضع تحذيرات بعدة لغات وأنشأ نقطة أمنية لتقديم الشكاوى والبلاغات، كل هذه الأمور ساهمت في تقليل السرقات في محيط المكان بصورة ملحوظة، ولكن كلما أغلق منفذ فتح آخر

بحيلة الخاتم" يقول الشرطي وهو يشير إلى مراهقة ترتدي بنطالا قصيرا تتظاهر بأنها عثرت على خاتم وتحاول استمالة سائحين بوضعه في أيديهم مقابل نقود. بعد عبور الشارع يحدد قائد الشرطة مكان عدد من الشباب طوال القامة تخصصهم هو تشتيت انتباه الناس أثناء استخدامهم لماكينات الصرف الآلي ليضغط أحدهم زر الحد الأقصى من السحب ويستولي على كل النقود.. غوتييه يعرف المشتبه بهم الأكثر خطورة، والكثير منهم يأتي من خارج باريس للبحث عن فريسته في هذه المنطقة المركزية التي تستقبل من 200 ألف إلى 300 ألف سائح يوميا.

ماريا.. شابة رومانية عمرها 16 عاما من الوجوه المألوفة هناك، تبدو أكبر سنا وهي حامل مثل باقي شريكاتها الثلاث اللاتي يطالبن بالتوقيعات، منزلها ليس سوى كرافان متنقل في حي كورنوف والتبرعات التي تحصل عليها من السائحين غير الواعين تساعدها على دفع تكاليف المعيشة.

تقول ماريا "نتحصل على 10 أو 15 يورو يوميا" دون حساب الأموال التي يكسبونها من السرقات، وحذر شرطي سائحة أميركية من محاولة احتيال قائلا "سيدتي تفحصي جيبك، هؤلاء الفتيات كن يحاولن سرقة سيدة آسيوية منذ قليل".

وطوال عقود كان مترو باريس مليئا بلافتات تحذر من النشالين وكل أنواع اللصوص، إلا أن المشكلة زادت بشدة في السنوات الأخيرة، حيث أن عصابات الجريمة المنظمة دخلت في اللعبة، لذا فإن العاملين بمتحف اللوفر قاموا بإضراب في أبريل الماضي للاحتجاج على تزايد التصرفات العدوانية من جانب عصابات اللصوص، حيث يقول العاملون إنهم كانوا يتعرضون للاعتداء والسباب من جانب النشالين فضلا عن التهديد بأشياء فظيعة. منذ ذلك الحين، قام المتحف بتحسين الأمن ووضع تحذيرات بعدة لغات وأنشأ نقطة أمنية لتقديم الشكاوى والبلاغات، كل هذه الأمور ساهمت في تقليل السرقات في محيط المكان بصورة ملحوظة، ولكن كلما أغلق منفذ فتح آخر كما يقول المثل، لذا فإن العصابات المنظمة بدأت في العمل بعيدا عن وسط المدينة وفي أحياء الضواحي حيث تقيم دائما أفواج السائحين القادمين من الصين.

الحالات الأكثر جذبا للانتباه وقعت على الطريق الذي يؤدي إلى المدينة من مطار شارل دي غول. ففي مرتين على الأقل خلال 2013 قامت جماعة من اللصوص بالهجوم على حافلتين سياحيتين كانتا علقتا في الزحام حيث كسرت عناصرها زجاج النوافذ وقامت بسرقة الركاب المرعوبين. وعلى الرغم من أن هذا النوع من السرقات ليس شائعا لدرجة الظاهرة، إلا أنه أصبح في الصين موضوعا مثيرا للجدل خاصة إذا وجدت مجموعة من الأشخاص لها الرغبة في زيارة "مدينة النور". الأمر ذهب إلى ما أبعد من هذا لدرجة أن عنوان جريدة (ساوث تشاينا مورنينغ بوست) في إحدى المرات كان "سرقات الأفواج الصينية تتزايد بصورة كبيرة في باريس".

مثل هذه التعليقات لا يتم تجاهلها في فرنسا، فباريس تدرك أن الصين والأسواق الصاعدة الأخرى هي الحل الأمثل بالنسبة لها لمواجهة مسألة انخفاض أعداد السائحين القادمين من أوروبا التي تضربها الأزمة. واجتمعت شرطة باريس والجهات المسؤولة عن السياحة مع ممثلين عن شركات السفر الآسيوية والمنشآت الفندقية بفرنسا، ومن ضمن القرارات التي تم التوصل إليها توصية العملاء بعدم حمل مبالغ مالية ضخمة في جيوبهم أو حقائبهم وتجنب الأجانب الذين يطلبون منهم القيام باستطلاعات رأي. يأتي هذا في الوقت الذي زادت خلاله دوريات الأمن في المناطق السياحية الرئيسية والأحياء التي يقيم بها الزوار، وحول الأوبرا يسير شرطيان طوال الوقت بين المتاجر الكبرى، في الوقت الذي يتواجد فيه خمسة رجال أمن بزي مدني تابعين لفريق غوتييه في المنطقة للقبض على اللصوص متلبسين.

كل هذا إلى جانب وضع 10 كاميرات لمراقبة المنطقة. ولكن المشكلة الكبرى أنه حتى في حالة إلقاء القبض على البعض، فإن أغلبهم يتم الإفراج عنهم دون توجيه تهم، لسبب من اثنين إما لكونهم قصر أو لعدم وجود هوية معهم وهو الأمر الذي يقول عنه غوتييه "نحن نلقي القبض على نفس الأشخاص، الأمر ليس مشكلة خاصة بالشرطة، بل أكبر من ذلك بكثير".

■ للسياح آراء

صحراء دبي تأسر الزوار

❑ **دبي** – ليس من الضروري أن يبتعد زائر دبي كثيرا عن ناطحات السحاب الهائلة في المدينة ليكتشف الصحراء. ففي رحلة سفاري يمكن أن يتذهل بالكثبان الرملية وهي تختفي في الأفق والوديان (قيعان الأنهار الجافة)، والمعابر الجبلية إذا ما أراد الاستمتاع بكل ما في دبي.

وتساعد الزائر في اكتشاف خبايا الصحراء الشركة السياحية التي يختارها من الفندق وتأخذه في سيارات الدفع الرباعي القوية لينعم بالكثبان الرملية، ثم الانزلاق على الجانب الآخر منها، أو القيادة في الوديان، أو على طول الممرات الجبلية الضيقة والصخرية. والقيادة وسط الصحراء غير مناسبة لأصحاب القلوب الضعيفة، لذا فمن الأفضل أن يجعل الزائر أحد السائقين الإماراتيين الخبراء بالمنطقة يتولى أمر القيادة لكي يستمتع هو بعجائب الطبيعة من الوديان الصخرية، والبحيرات.

وتعتبر رحلة السفاري في صحراء دبي مطلب السياح الأجانب، بالإضافة إلى أنها باتت مطلب السياح المحليين خلال أيام العطل الرسمية وعطلة الصيف.

ولمعرفة المزيد عن حياة الصحراء وبيئتها الطبيعية، تمتع بزيارة محمية دبي الصحراوية التي تهدف إلى حماية أكبر مساحة ممكنة من الصحراء، وحماية الحياة الحيوانية والنباتية المهددة بالانقراض. تعمل إدارتها على وضع برامج استكشافية ودراسات مختصة ترصد تحركات الحيوانات المهددة بالانقراض، ونموّها وأساليب حياتها. يؤمّها السياح الذين يهوون المغامرة وحياة البر والصحراء والانكشاف على الطبيعة. وهي من الأماكن السياحية في دبي التي يُنصح بها المسافرون والسياح العرب والأجانب.

● **سيفتيا من روسيا**: هذه أول زيارة للإمارات، حقيقة وجدتها بلداً جميلا ومتطورا جداً وقد وضعت على يدي نقوش الحنة، وهذه أول مرة في حياتي أضعها، وشعرت بأن لهذه النقوش ميزتها عند المرأة الإماراتية.

والشيء الذي جذبني أكثر هو السياحة البرية أو الصحراوية، كانت لحظات جميلة وأنا أستمتع بهذا الطلوع والنزول عبر الكثبان الرملية، في لحظات كنت أشعر بالخوف، ولكن بعد ذلك يتلاشى ويحل محله الشعور بالسعادة.

وأتمنى على السياح الذين لم يزوروا دبي سابقاً أن يأتوها وأن يستمتعوا بهذه الرياضة الشيقة.

● **روزا من إيطاليا**: شيء لا يصدق ما شاهدته، زرت الكثير من البلدان، ولم أر مثل هذه الرمال وهذه الكثبان الجميلة الرائعة، فعلاً كانت صورا مدهشة وغاية في الجمال، فالصحراء قمة في الروعة تجمع بين الرهبة والاستمتاع، وبين الخوف والفرح، لكن في الأخير نجد في المخيم كل الراحة، وأشكر كل الناس القائمين على هذه السياحة الجميلة الممتعة، ووعد مني أني سوف أقوم بزيارة الإمارات مجددا في العام المقبل.

● **خليل من المغرب**: قمنا برحلة سفاري ليلية. إنها تجربة صحراوية فريدة، لأن مسار الرحلة والمخيم يقع ضمن محمية دبي الصحراوية التي تمتد على مساحة 225 كيلومترا مربعا، وفيها مختلف الفصائل المهددة بالانقراض بما فيها المها العربي والغزلان العربية الجبلية.

ويتوسط المحمية مخيم استمتعنا فيه بوجبة شواء والسلطات الطازجة، وتشكيلة من الحلويات والمشروبات تحت أضواء النجوم، وقد تم تصميم العشاء ليشبه تجربة الطعام البدوية. وبعدها واصلنا السهر والاستمتاع بالفلكلور العربي.

■ أين تذهب

أولوموتس جوهرة سياحية في جمهورية التشيك

❑ **أولوموتس** – تعد براغ بالتأكيد أكثر المقاصد في جمهورية التشيك التي تلقى إقبالا في الجولات السياحية، غير أن مدينة أولوموتس تعرض ملمحا لا تتمتع به براغ وهو الجمال الراقي لوسط أوروبا ولكن دون أن يضطر الزائر إلى مواجهة الزحام.

وثمة عبارة تتردد دائما على أفواه الزوار في الأفواج التي يقودها المرشد السياحي شتيفان بلاها أثناء الجولات بهذه المدينة التي تعد مسقط رأسه وتقع على مسافة 200 كيلومتر من شرقي العاصمة براغ، وتقول العبارة "إننا لم نسمع على الإطلاق بهذه المدينة من قبل".

ويقول بلاها إن معظم الزوار يشعرون بالدهشة حقيقة إزاء الجمال الرائع في أولوموتس، وإزاء كل المعالم الكثيرة التي يمكن مشاهدتها فيها.

وتزهو أولوموتس التي كانت العاصمة السابقة لمورافيا وهي دولة سابقة كانت تقع في وسط أوروبا بوجود العديد من الكنائس ذات التصميمات والديكورات الرائعة، وبوجود بلدة قديمة تم الحفاظ على معالمها جيدا، بل وساعة فلكية وهي واحدة من اثنتين فقط في جمهورية التشيك.

ويعد الميدان الرئيسي الذي يضم مبنى مجلس المدينة الضخم وعمود "الثالوث المقدس" الذي أدرجته منظمة اليونسكو في قوائم التراث العالمي، مكانا جيدا لبدء جولة لمشاهدة معالم أولوموتس التي يبلغ عدد سكانها مئة ألف نسمة، وهذه المدينة تقع بشكل استراتيجي بين مدن أوروبية مهمة وهي كاراكوف وفيينا وبراتيسلافا وبراغ. وتم تشييد عمود الثالوث المقدس وهو نصب تذكاري لشكر الرب شيد على طراز الباروك المعماري في أوائل القرن الثامن عشر ويبلغ

مدينة الكنائس والساعة الفلكية

ارتفاعه 32 مترا، ويضم تماثيل الثالوث المقدس ومريم العذراء والحواريين الإثني عشر وبعض أكثر القديسين أهمية في عصر الباروك. ويعد العمود أيضا إحدى النقاط التقليدية للمقابلات في المدينة. ويوضح بلاها أن أهم ملمح في هذا العمود هو الكنيسة الصغيرة المتكاملة في قاعدته.

ويمكن رؤية أفضل المناظر للمدينة التي يحيط بها متنزه مساحته 50 هكتارا، من برج مجلس المدينة الذي يبلغ ارتفاعه 75 مترا ويقع أيضا في الميدان الرئيسي. ويقول بلاها إن أولوموتس تشبه لؤلؤة ترقد داخل بطانة خضراء. وفي وسط المدينة يمكن مشاهدة معالم من مخلفات الزمن الذي عايشته المدينة إبان الحكم الشيوعي.

ويرجع تاريخ الساعة الفلكية في أولوموتس إلى القرن الخامس عشر، وعندما تدق الساعة إيذانا بانتصاف النهار يمكن للزوار مشاهدة موكب من الدمى تمثل العلماء والفلاحين والعمال وهو يسير خارجا من الساعة، وحلت هذه المجموعة مكان تماثيل حواريي المسيح التي كانت موجودة في الساعة الأصلية.

وكان الميدان الرئيسي يطلق عليه في السابق اسم ستالين، ويوضح بلاها أنه كان يوجد بالميدان أيضا العديد من الثكنات وتوجد حانات تعج بالحياة وتعزف فيها فرق موسيقية، كما توجد العديد من المطاعم والمقاهي تعرض نوعيات جيدة من الأطعمة المحلية والجبن بأسعار معقولة.

■ مواعيد سياحية

◄ كازاخستان تستقبل قافلة إماراتية

■ الآستانة تستقبل أول قافلة سياحية إماراتية في إطار جولة تشمل أيضاً أوزبكستان وأذربيجان بهدف الترويج للسياحة الإماراتية. وتضم القافلة ممثلين لمختلف قطاعات السفر والسياحة في دولة الإمارات يستعرضون المقومات السياحية الإماراتية، وتعريف السوق السياحي الكازاخي بمعلومات سياحية

◄ كرفان متنقل في معان الأردنية

■ الأردن تقدم عدة فعاليات سياحية بموقع منطقة أذرح التاريخي بالبادية الجنوبية بهدف تهيئة البيئة السياحية والتعريف بأبرز المواقع الأثرية التاريخية مثل؛ المعسكر الروماني والقلعة الإسلامية وجبل التحكيم والكنيسة البيزنطية وغيرها، من خلال توفير كرفان متنقل مزود بالمستلزمات الإرشادية.

◄ منتجع «أناتارا» في رأس الخيمة

■ شركة رأس الخيمة العقارية ومجموعة فنادق ماينور توقعان اتفاقية تعاون لإطلاق منتجع "أناتارا" الصديق للبيئة المطل على الواجهة البحرية في رأس الخيمة. يضم المنتجع حوالي 250 وحدة تتراوح بين غرف للضيوف وأجنحة وفلل مستوحاة من جزر المالديف والأولى من نوعها في الإمارة ضمن منطقة منعزلة وخلابة مع شاطئ خاص بها.

◄ الأقصر تستقبل الزوار الألمان

■ محافظة الأقصر استقبلت الخميس 4 رحلات طيران شارتر قادمة من المانيا إلى الاقصر مباشرة وعلى متنها 434 سائحاً وسائحة من الالمان جاءوا إلى مصر لقضاء عدة ايام يقومون خلالها بزيارة المعالم الآثرية والسياحية بالأقصر واسوان والبحر الاحمر والقاهرة وللإطمئنان ايضا على الحالة الأمنية المستقرة التى تشهدها الأقصر.

◄ تونس تراهن على سياحة المؤتمرات

■ وزارة السياحة التونسية تعول على تحريك السوق من خلال تنظيم سلسلة من المؤتمرات والمهرجانات الثقافية، التي تضمن تدفق السياح وإنعاش النزل والمنتجعات السياحية على الشريط الساحلي. واحتضنت جزيرة جربة، خلال الأيام الماضية، فعاليتي "أحسن الجدات" ومسابقة جمال البرتغال.

أين غوغل من منصة مواقع التواصل الاجتماعي

إنْ فشل «غوغل بلس» فقد نجح اليوتيوب في أسر المستخدمين

تنطلق ثقافة غوغل في عالم التطبيقات من مبدأ قائم على فكرة "إن هُم فعلوها، فنحن أيضا سنفعلها" ويظهر ذلك في كمية المشاريع التي تُطلقها غوغل لتنافس بها شركات مُختلفة التخصص، على عكس بقية الشركات التي وإن حاولت توسيع رقعة بحثها فإنها لا تدخل غمار هذا البحث إلا بعد دراسة كاملة، ولا خلاف على ذلك طالما أن هذه الثقافات تصب في صالح تطوير حياة الإنسان وتسهيلها في نفس الوقت.

❑ كاليفورنيا – "يجب إنشاء شبكة اجتماعية جديدة تُنافس فيسبوك أو المخاطرة بكل شيء حققناه"، كانت هذه المقولة الدائمة المُكررة من مهندس الشبكة الاجتماعية فيك غوندوترا في اجتماعاته مع كبار القادة في شركة غوغل، في مُحاولته إقناعهم بالعمل على مُنافسة فيسبوك عن طريق إنشاء شبكة اجتماعية جديدة خاصة بغوغل.

وقد استمر المهندس الذي يصفه زملاؤه بأنه سياسي محنك في التصريح بأن فيسبوك سيقوم بقتل شركة غوغل مرارا وتكرارا، وبذلك قد ولد الخوف لدى مؤسسي الشركة على مُستقبل مؤسستهم، وأدى ذلك في نهاية المطاف إلى ولادة الشبكة الاجتماعية "غوغل بلس".

كان ذلك في عام 2010، إذ كانت شركة غوغل لا تبدو كشركة في وضع مُخيف من أن يتم تجاوزها من أي شركة ثانية، فقد كانت مُسيطرة مُنذ فترة طويلة على مجال مُحركات البحث على الإنترنت، بالإضافة إلى دخولها مجال الهواتف الذكية عن طريق نظام أندرويد، كما وضعت خرائط مفصلة للكثير من دول العالم، وقامت بفهرسة ملايين الكُتب، وبدأت ببناء السيارات ذاتية القيادة. وعلى الرُغم من نجاحاته لم يكن لدى عملاق

> عملت غوغل على تحسين خدمة الدردشة الصوتية والمرئية هانغاوت، وخوارزمية جديدة لتحرير الصور وميزاتها، وميزات بحث جديدة، ولكن كل هذا لم يكن كافيا لتحسين سمعة غوغل بلس لدى المستخدمين

سياسة غوغل تنطلق بشكل أساسي من توفير المعلومات للمستخدمين وتطوير الأدوات لإيصال المعلومة بالشكل الأمثل

الإنترنت رؤية واضحة للشبكات الاجتماعية، ويظهر ذلك جليا عبر القيام ببحث بسيط ضمن محرك بحث غوغل ليُظهر قائمة طويلة من الإخفاقات والبدايات الخاطئة ومنها الشبكة الاجتماعية "أوركوت" والتي تم إطلاقها قبل عدة أيام من إطلاق فيسبوك وذلك سنة 2004، والتي تم تجاوزها بسرعة، وخدمة قارئ خُلاصات المواقع "ريدر" والتي تم إطلاقها سنة 2005 وتم إنهاؤها سنة 2013، و"وايف"وهي منصة تواصل تم إطلاقها سنة 2009 وتم إيقافها سنة 2010، وانتهت "بوز" الشبكة الاجتماعية المشؤومة بسُرعة في أوائل عام 2010 بسبب قضية انتهاك الخصوصية.

وبينما كانت شركة غوغل تفشل وتتعثر، كان فيسبوك ينمو ويكبر ويُشكل تأثيراً أكثر، وبحلول عام 2010 كانت القيمة السوقية لفيسبوك تُقدر بحوالي 14 مليار دولار، ويقترب من الحصول على نصف مليار مُستخدم، وهي حسابات بأسماء حقيقية وأعياد ميلاد وصور، وكان غوغل بعيدا جدا من ناحية القيمة السوقية وذلك بسبب نزيف فيما يخص الموظفين، والمسؤول عن ذلك كان فيسبوك، حيث قام العديد من الموظفين في غوغل بالانتقال لفيسبوك.

وقدّمت غوغل بعد تجاربها السابقة شبكة غوغل بلس الاجتماعية التي مازال عُشاق التقنية والمتخصصين فيها لا يستطيعون تأكيد أنها فاشلة أو ناجحة خصوصا أنها تُقارن بمثيلاتها فيسبوك وتويتر. وعلى مدار السنتين اللاحقتين من إطلاقه عملت غوغل على تحسين خدمة الدردشة الصوتية والمرئية هانغاوت، وخوارزمية جديدة لتحرير الصور وميزاتها، وميزات بحث جديدة، ولكن كل هذا لم يكن كافيا لتحسين سمعة غوغل بلس لدى المستخدمين.

ويبدو غوغل بلس بالمقارنة مع تويتر أو فيسبوك غير ذي تأثير خصوصا أن خدمة "تشاراهولك" المتخصصة في مُشاركة المحتوى على الشبكات الاجتماعية ذكرت في تقريرها الصادر في عام 2014 أن 21 بالمئة من الزيارات إلى المواقع تأتي من فيسبوك، و7.1 بالمئة من "بنترست" ومن غوغل بلس بنسبة 0.08 بالمئة فقط.

غوغل ليست خارج المُنافسة فهي تمتلك يوتيوب، أكبر شبكة لمشاركة الفيديو على الإنترنت، وتمتلك أيضا "بلوغر" التي تُعتبر من أكبر شبكات الإنترنت للتدوين ومُشاركة المحتوى، وهناك أيضا "هانغ آوتس"و"بيكاسا" و"غوغل بلاي" والتي جميعها ترتبط بحساب غوغل وتسمح للمُستخدمين بالتواصل بطريقة أو بأخرى.

وتختلف سياسة شركات التكنولوجيا في رؤيتها لمفهوم التواصل الاجتماعي، فأبل تتبنى الفكر الاجتماعي بطريقة مُغايرة عن مفهوم الشبكات الاجتماعية، وغوغل أيضا لديها فكر مُختلف. فيسبوك وتويتر شبكات اجتماعية بفضل تواصل المستخدمين فيما بينهم، بينما شبكات غوغل الاجتماعية تتمحور حول تواصل المستخدمين عبر خدماتها مثل يوتيوب، جي ميل، بلوجر، بيكاسا، مُحرك البحث، خرائط غوغل والكثير من الخدمات.

وتنطلق سياسة غوغل بشكل أساسي من توفير المعلومات للمستخدمين وتطوير الأدوات لإيصال المعلومة بالشكل الأمثل وهو ما تبرع فيه الشركة دون مُنافس تقريبا.

غوغل تحاول دائما تقديم عمل كامل وجاهز لا يُنقص من سمعتها أبدا، على عكس شبكات مثل أنستغرام التي بدأت صغيرة وبدأت تكبر مع الوقت ويكتسب مؤسسوها الخبرة اللازمة لإدارة شركة بهذا الحجم.

ويقول العديد من العاملين في غوغل إنه ولتبنّي فكرة جديدة يجب أن تمر الفكرة عبر مجموعة كبيرة من الاختبارات حتى لو كانت الفكرة عبارة عن تصميم، غوغل بارعة في الهندسة، وبالتالي لديها معايير لا يُمكن تجاوزها أبدًا، وهو من أحد الأسباب الذي دفع الكثير من العاملين في الشركة لتركها.

ويعتقد البعض أنه بعد عملية إعادة الهيكلة التي قامت بها غوغل وتأسيس شركة "ألفابت" قد نرى مُنتجات أفضل تأتي تلبية لحاجات المستخدم، خصوصا أن مُحرك البحث، وجي ميل، ويوتيوب أو غيرها الكثير من الخدمات أصبحت عبارة عن شركات صغيرة تحت جناح "ألفابت" ولم تعد غوغل هي الواجهة الرئيسية لها.

القرصنة تتربص بكل خدمة إلكترونية جديدة

يعيش الإنسان ثورة المعلومات والاتصالات وتطور الأنظمة والشبكات المعلوماتية التي سهلت الحياة والخدمات إلا أن هذا التطور يلازمه تفشي ظاهرة الجريمة الإلكترونية لذلك لا بد من توخي الاحتياطات اللازمة للحماية من القرصنة.

❑ ابوظبي – انتشرت الخدمات الإلكترونية في كافة القطاعات وتحصّل القطاع المصرفي على نصيب وافر من تقديم الخدمات التي تعتمد بصورة أساسية على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عبر مختلف بلدان العالم.

وتطور القطاع المصرفي بدوره مع انتشار الخدمات الإلكترونية، بل وكان سباقاً في معظم دول العالم في تقديم خدماته المالية والمصرفية عبر الشبكة، كخدمة تحويل الأموال، وخدمات الدفع الإلكتروني وغيرها.

وأعلنت مؤخرا شركة "فيزا" -المزودة لحلول الدفع الإلكتروني- عن إطلاق برنامجها الجديد لتوفير خدمة الدفع الرقمي في دولة الإمارات كمعيار تجاري متكامل من فيزا للدفع بالأجهزة النقالة.

وحسبما ما أوضحته الشركة فإن البرنامج يتيح تواصل المؤسسات المالية بالشركات التقنية لتسهيل طرح الخدمات الجديدة للدفع والتجارة وتسريعها، وأنه يبني تسهيلاته على تقنية فيزا للعملة الرمزية الآمنة ويضيف إطار عمل تجاري مجاني عالمي كما أن الدفع الرقمي التابع لها مصمّم لتسهيل وصول الشركاء إلى تقنية العملة الرمزية الآمنة.

وتضيف شركة "فيزا" أن "البرنامج يتضمن أيضا نموذجا محكما من تقنية العملة الرمزية الآمنة، وخدمات إدارة المخاطر والغش وحماية بيانات المستهلكين، وهو يتيح لعملاء فيزا من المؤسسات المالية على مستوى العالم وعددهم 14500 مؤسسة، أول منصة من فيزا لتوفير خدمات دفع رقمية وآمنة على الأجهزة النقالة بمعايير عالمية".

و لكن اعتماد القطاع المصرفي والمالي على تقديم الخدمات المعتمدة على تكنولوجية المعلومات والاتصالات عبر العالم، أدى إلى ظهور نوع جديد وأساليب جديدة من طرق الاحتيال والتلاعب، وظهرت أنواع جديدة من الجرائم والسرقات على الشبكات المعلوماتية، بتسميات مختلفة مثل جرائم الحاسوب أو الجرائم الإلكترونية.

وحذرت "مجموعة مؤسسات الصيرفة والتحويل المالي" - التي تجمع شركات الصرافة والتحويل المالي العاملة في الإمارات و مقرها دبي - من مخاطر الجرائم الإلكترونية التي تكبّد الاقتصاد العالمي خسائر تفوق 110 مليارات دولار سنويا.

وعممت على أعضائها عددا من الخطوات التوعوية للحماية من الجرائم الإلكترونية. وقال راجيف رابينكوليا أمين المجموعة والمدير التنفيذي لشركة الشرق للصرافة في تصريح صحافي له إن الجريمة الإلكترونية ليست مجرد قلق يتسبب بخسائر مالية فادحة ومباشرة فحسب، بل إن مكافحتها تتطلب موارد إضافية أيضا إذ يقدر ما تنفقه المؤسسات العالمية على مكافحة الجريمة الإلكترونية بقيمة تصل إلى حوالي 270 مليار دولار سنويا.

وشدد على أن التوعية تعد العامل الرئيس في مكافحة الجرائم الإلكترونية، ونبه إلى أن الجريمة الإلكترونية باتت مصدر قلق حقيقي في مجال الأعمال في مختلف دول العالم، ففي العام الماضي تلقى مكتب مكافحة الجريمة الإلكترونية في قسم التحقيقات الجنائية في شرطة دبي 1549 بلاغا. وأكد أن الطريقة الأفضل لمكافحة الجرائم الإلكترونية تكمن في استمرارية تقييم احتمالات التعرض لها وبناء معايير احترازية ودمجها في إجراءات العمل المتبعة، فأفضل آليات الدفاع تجمع بين الاحتياطات التكنولوجية والتدريب السلوكي للموظفين. فغالبا ما يفتح خطأ بسيط من المستخدم الطريق أمام القراصنة للوصول إلى المعلومات وتنفيذ الجريمة الإلكترونية.

وتنبه المجموعة أعضاءها باستمرار إلى أهمية جدار الحماية الإلكتروني كخط دفاعي أول بالإضافة إلى ضرورة تحميل نظامين محدثين للوقاية من البرامج الضارة والفيروسات كما ينبغي دائما تحديث المتصفحات وأنظمة التشغيل لسد الثغرات الأمنية المحتملة.

وتعد الإجراءات الوقائية عنصرا رئيسيا في حملة المجموعة فينصح بعدم فتح الرسائل الإلكترونية مجهولة المصدر وتجنب الضغط على المرفقات والروابط الواردة فيها كما يطلب توخي الحذر من الخدع التي يستخدمها القراصنة عبر مواقع تبدو أصلية لطلب معلومات الدخول. كما شددت المجموعة على عدم حفظ كلمات المرور ورموز وبيانات الدخول وتفاصيل الحسابات المصرفية في أيّ جهاز متصل بالإنترنت.

وهذه الاحتياطات تبدو معقولة بل أكثر من ذلك هي ضرورية لأن هدف مجرمي الإنترنت هو المنظومة المعلوماتية، فهم يستخدمون الشبكة لسرقة معلومات أو ملفات من كمبيوتر الشخص المستهدف، أو الوصول إلى حسابه المصرفي وتحويل أموال إلى حساب آخر إلكترونياً عبر الشبكة بل إن الأمر تعدى ذلك إلى اختراق الأنظمة المصرفية وسحب أو تحويل الأموال بين الحسابات، أو إنشاء نقود إلكترونية وطرحها للتداول دون الحصول على التراخيص اللازمة، مثل إنشاء حسابات مصرفية إلكترونية وإجراء عمليات بيع وشراء باستخدام هذه النقود دون الحصول على التراخيص اللازمة من المصرف المركزي في الدولة.

الدفع الرقمي عبر الهاتف يصل إلى الخليج وسط تحذيرات من الجريمة الإلكترونية

جديد التكنولوجيا

❑ شركة "فوتك "، ومقرها مدينة دبي للإنترنت، تطلق الدمية "لوجي"، التي قالت إنها أول دمية عربية تعليمية ذكية تفهم الكلام العربي بالفصحى والعامية، وتستجيب بطريقة مبتكرة. وترى "فوتك" أن الدمية "لوجي" ستشكل ثورة في مجال التطبيقات التعليمية والتفاعلية، وأول تجربة حقيقة للتفاعل الذكي عن طريق الكلام العربي.

❑ فيس بوك يعزز مكانته كواجهة للشركات والمتاجر المحلية مع الإعلان عن تعديلات في صفحات هذه المؤسسات على شبكته من شأنها أن تعزز التفاعلات مع المستخدمين.

هذه الصفحات الجديدة المكيفة خصوصاً مع الهواتف الذكية تسمح بوضع زر كبير موجه للمستخدمين مباشرة تحت صورة الغلاف في الصفحة. ويمكن لهذه الصفحات الجديدة أن تتضمن أقساماً خاصة تسمح بالترويج للمنتجات والخدمات مع تقديم السلع والعروض المتوفرة.

❑ مايكروسوفت تعلن عن قيامها بشراء شركة "أدالوم" المتخصصة بالأمن السحابي، وتشير المعلومات إلى أن مايكروسوفت أتمت الصفقة رسمياً بمبلغ يقارب 250 مليون دولار أميركي.

ويعتبر المبلغ أقل من التوقعات السابقة التي كانت تشير إلى مبلغ 320 مليون دولار أميركي كقيمة للصفقة، وقد بدأت التسريبات الخاصة بالصفقة بالظهور منذ شهر يوليو الماضي حول نية مايكروسوفت الاستحواذ على شركة "أدالوم" للأمن السحابي.

❑ معهد فراونهوفر للدوائر المتكاملة يكشف عن نظام صوتي مبتكر لأجهزة التلفاز يتيح للمشاهد إمكانية التحكم في شدة صوت الحوارات والأصوات الخلفية في المشهد حسب الرغبات الفردية. ويمكن للمستخدم الاستفادة من تقنية الصوت الجديدة للاستمتاع أكثر بمباريات كرة القدم؛ حيث يمكنه خفض شدة صوت المعلق الرياضي وزيادة صوت الجماهير في مدرجات الملاعب. ويتوقع المعهد الألماني أن يتم طرح نظام الصوت الجديد بشكل قياسي خلال السنوات القليلة القادمة.

❑ سوني تتراجع عن واحدة من أهم خصائصها المميزة في هواتفها، وهي مقاومة الماء بشكل كامل، وذلك في الصفحة الخاصة بهاتف "اكسبرايا زد 5" على موقع الشركة.

وقالت سوني "هاتف 'اكسبرايا زد5" مقاوم للمياه ومحمي من الغبار، لذا لا داعي للقلق إذا تبلل الهاتف من المطر أو تم غسله من الأوساخ تحت مياه الصنبور، لكن لا يجب وضعه بالكامل تحت الماء، أو تعريضه لمياه البحر أو المياه المالحة أو المياه المختلطة بالكلور، أو سوائل أخرى مثل العصائر، وسيتسبب الاستخدام السيئ وغير المناسب في فقدان الضمان.

طريقة المشي الصحيحة تحفظ اللياقة وتطيل العمر

الحركة الميكانيكية للمشي عند معظم الناس بعيدة جدا عن المشي الرياضي

كشفت الكثير من الدراسات العلمية الحديثة أن طريقة المشي الصحيحة تلعب دورا مهما في الحفاظ على اللياقة والحيوية من جهة وتفريغ الشحنات السلبية والتوتر من جهة أخرى. ويضع الباحثون قواعد علمية لشكل المشية الأكثر صحة وفائدة لعضلات الجسم وأجهزته.

المشي السريع أكثر فائدة للعضلات والأربطة

□ **لندن** – يقول الدكتور مصطفى جوهر حيات من الكويت إن الإنسان يمشي بطبيعته لكن الحركة الميكانيكية للمشي عند معظم الناس بعيدة جدا عن المشي الرياضي. فطريقة المشي عند الإنسان موزعة بين حركات القدمين مع ثني مفصل الركبة قليلا ويكون باطن القدم على سطح الأرض كاملا، والذراعان يتأرجحان أماما وخلفا في عكس حركة الرجلين مع زيادة حركة التردد.

وأوضح أن المشي على أمشاط الأصابع يعد من أهم الأخطاء الشائعة لأنه يسبب الإجهاد العضلي وبعض الإصابات.

ومن الأخطاء أيضا المشي بخطوات بطيئة جدا والتي لا تعمل على إثارة القلب وتنشيطه. هذا بالإضافة إلى ارتداء الملابس الثقيلة والداكنة وخاصة في فصل الصيف وارتداء الأحذية الخفيفة أو الأحذية التي لها كعب عال. ومن الشائع كذلك المشي مع سحب القدمين مع الأرض والتوقف بين فترة وأخرى مما يقطع الوصول إلى الإثارة الفسيولوجية للتمرين، مع عدم الانتظام بالتنفس الطبيعي وتناول الطعام أثناء المشي، وهناك من يتعمد تغطية الأنف والفم، لا سيما خلال الشتاء.

وتجدر الإشارة إلى أنه خلال رياضة المشي تتحرك عضلات الجسم حركة متناغمة معا ولكن بعض العضلات يكون الضغط عليها أكثر من غيرها وهي عضلات الساقين والقدمين والذراعين. فهي تتحرك في ثبات مع جذع الجسم كله. ولذلك ينبغي معرفة أنواع المشي والوضع الصحيح لكل عضلة لكي نحصل على مشي صحي لا يضر بالعضلات.

ويبدأ المشي الرياضي بالقانون الطبيعي للوقوف والعمل على إطالة العمود الفقري ودون استقامة المحنيات الطبيعية في منطقة الرقبة والوسط والظهر مع استرخاء وتوازن بين جميع عضلات الجسم الأمامية والخلفية والجانبية. ويكون الهدف من المشي الحركة في اتجاه الأمام، لذا يجب عدم زيادة الحركة من السطح الجانبي للجسم وتحديد الحركة بين الذراعين والرجلين مع تقليل حركة الجذع.

ورصد الباحثون أنواع المشي: النوع الأول يسمى بمشي القوة (أو مشي السرعة) والنوع الآخر هو مشي السباقات. والاثنان يزيد فيهما طول الخطوة عن المشي الطبيعي. لكنهما يختلفان في أن مشي السباقات رياضة أولمبية لها بعض القواعد التي يجب الالتزام بها، فمثلا ينبغي على المتسابق ألا يرفع أصابع قدميه المتأخرة عن الأرض قبل أن يضع كعب قدمه المتقدمة أولا وهكذا.

> 10 آلاف إلى 12 ألف خطوة هو المعدل اليومي المثالي للمشي بينما في الواقع نحن نمشي 1500 خطوة فقط

وبالإضافة لهذين النوعين هناك المشي الحر الذي لا يتطلب أي مواصفات. ولتحقيق فائدة أكبر للجسم من هذه الرياضة هناك بعض النصائح الإضافية التي تجعل المشية أسرع وأكثر صحة. فبالنسبة للساقين يعد مد الساق بخطوة أكثر اتساعا من اللازم أحد الأخطاء الشائعة التي يفعلها البعض إذا رغبوا في المشي بسرعة. مع العلم أن هذا التصرف لن يحرق سعرات حرارية أكثر لأنه سيعرض الشخص للإجهاد بسرعة قبل تحقيق المسافة المطلوبة. وبدلا من هذا يفضل التركيز على دفعة أقوى بالجسد للأمام مع هبوط القدم على الأرض. بالنسبة للقدمين يحث الخبراء على التركيز على الكعب والأصابع أكثر من باطن القدم للمشي بسرعة، كما لا بد للكعب أن يلامس الأرض، مع ترك الفخذين ومنطقة الحوض يتحركان بحرية للأمام والخلف مع الخطوات.

وتدعو الدراسات إلى ضرورة الحفاظ على جذع الجسم قائما فالانحناء إلى الأمام أو الخلف يزيد من الإجهاد ويقلل من السرعة. أما بالنسبة للذراعين يفضل إبقاء المرفقين بزاوية 90 درجة وترك اليدين مسترخيتين والذراعين تتحركان إلى الأمام والخلف وإبقائهما قريبتين من جذع الجسم، على أن لا تعبر اليدين منتصف الجسد للناحية الأخرى للمشي بسلاسة أكبر. وفي هذه الحالة كلما تسارعت حركة الذراعين ستتبعهما الساقان تلقائيا.

وأظهرت الإحصاءات أن ممارسة المشي تساعد الشخص البالغ الذي يزن 75 كغم على حرق 100 سعرة حرارية تقريبا في كل ميل يمشيه والذي يزن 100 كغم يحرق 133 سعرة.

ويشار إلى أن السرعة التي ينبغي المشي بها تتراوح في العادة بين ثلاثة وأربعة أميال في الساعة. تكون بدايتها بسرعة بطيئة إذا لم تكن اللياقة على المستوى المطلوب. لكن السرعة ستتحسن تدريجيا إذا ما تم الانتظام في الممارسة.

وينصح الأطباء بتخصيص حوالي 30 دقيقة أو أكثر يوميا للمجهود البدني المعتدل على مدار خمسة أيام أو أكثر كل أسبوع. ولا يشترط أن تكون الثلاثين دقيقة مجمعة بل قد تتوزع على مدار اليوم في تمارين مشي قصيرة (عشر أو خمس عشرة دقيقة مثلا) تكفي لتحسين صحتك ولياقتك البدنية وتجعلك تعيش حياة أفضل.

وأجرى علماء من أستراليا دراسة اشترك فيها 1700 امرأة أعمارهن 70 سنة وأكثر. طلب الباحثون من المشتركات القيام بالمشي بوتائر وسرعات مختلفة.

وبينت نتائج هذه التجربة أن طريقة المشي تساعد الجنس اللطيف في الظهور بمظهر أصغر من عمرهن البيولوجي، وأنها تطيل حياتهن.

ولكي تظهر المرأة أكثر شبابا يوصي باحثون أن تمشي بسرعة، وهذا شرط أساسي. استنادا إلى نتائج التجربة فإن النساء اللواتي كانت سرعتهن أقل من 5 كيلومترات في الساعة، توفين قبل نظيراتهن اللواتي كانت سرعتهن أكثر من 5 كلم/ساعة.

ووفق الخبراء فإن التمارين البدنية الدورية مثل المشي تعتبر نموذجية للمحافظة على صحة القلب والأوعية الدموية والعضلات في حالة جيدة، وتضمن للنساء مزاجا رائقا ومظهرا جذابا.

ويساعد المشي الصحيح يوميا في تخفيض خطر تطور الأمراض مثل سرطان الثدي وسرطان القولون، ويحسن عملية الهضم والتمثيل الغذائي، ويمنع الإصابة بآلام المفاصل. كما أنه مفيد للتخلص من الوزن الزائد، وحسب رأي الأطباء هو أفضل من الركض في هذا المجال.

وأفادت نتائج دراسة كندية جديدة أن طريقة المشي تؤثر في الصحة النفسية أيضا. وأوضحت أن الأفراد المكتئبين والذين يفكرون في الأمراض يتحركون بطريقة مختلفة عن الأفراد الأصحاء والسعداء.

وأفضت الدراسة التي قادها البروفيسور نيكولاس تروجيه زميل بالمعهد الكندي للأبحاث المتقدمة، ونشرت في دورية "العلاج السلوكي والطب النفسي التجريبي" الأميركية، إلى أنه من المنطقي أن تؤثر مشاعرنا في طريقة المشي الخاصة بنا، لكن الغريب أن تؤثر طريقة المشي في الحركة.

وخلال الدراسة عرض فريق البحث على المشاركين كلمات جيدة وسيئة كجميل وخائف وطلب من بعضهم المشي بطريقة مكتئبة والبعض الآخر المشي بطريقة مرحة، ثم تم سؤالهم لتذكر الكلمات التي عرضت في بداية التجربة.

وبينت النتائج أن الأفراد الذين مشوا بطريقة حزينة تذكروا الكلمات السيئة، والعكس مع الذين مشوا بطريقة مرحة. وبذلك وجد الباحثون الرابط بين طريقة المشي والحالة النفسية حيث أن طريقة المشي يمكن أن تغير من الحالة المزاجية للفرد.

وكانت دراسة طبية تشيكية مماثلة قد توصلت إلى أن ممارسة المشي السريع يوميا يعتبر تدبيرا وقائيا ممتازا لحماية الجسم من قائمة طويلة من الأمراض والإشكالات الصحية كأمراض السكري والعقم وأمراض القلب والشرايين وهشاشة العظام والمفاصل إضافة إلى أنه يحسن نفسية الإنسان ويجعل العضلات أقل توترا.

وأكدت الدراسة أن المشي المنتظم يبعد المشاعر السلبية ويحسن أداء الدماغ ويخفف التشنج لأنه ينظم عملية خلق مادة الأندروفين، وبقية الهرمونات التي تؤثر إيجابا في نفسية الإنسان، وبالتالي يساهم في إطالة عمره.

> المشي المنتظم يبعد المشاعر السلبية لأنه ينظم إنتاج مادة الأندروفين وبقية الهرمونات التي تؤثر إيجابا في الإنسان

وبين العلماء أن على الإنسان أن يمشي يوميا مسافة تتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف خطوة، بينما الواقع القائم هو أن الإنسان بالمعدل الوسطي الآن يمشي نحو 1500 خطوة فقط.

ويذكر أن العديد من الدراسات السابقة أشارت إلى أن لغة الجسد وطريقة حركته يمكن أن تؤثرا في مزاج الإنسان، كما أن المزاج والحالة النفسية يمكن قراءتهما كثيرا من لغة الجسد. ويلاحظ في العديد من الدراسات الميدانية التي درست مدى انتشار الاكتئاب والإحباط وتعكر المزاج أنه يزيد في فصل الشتاء وخصوصا أن نسبة هذا الإحباط تزيد بزيادة معدل المكوث داخل البيت وعدم التعرض لأشعة الشمس وخاصة عدم التعرض لضوء الشمس خلال النهار، لا سيما في فترة الصباح. ويعتقد الباحثون أن المشي مع جرعة كبيرة من أشعة الشمس يضاهي الأدوية الحديثة المضادة للاكتئاب في تأثيرها في الدماغ إذ تستطيع رفع معدلات السيروتونين فيه.

تمارين القرفصاء تصلح تغيرات القوام في منتصف العمر

□ **برلين** – قال مركز حماية المستهلك بولاية شمال الراين ويستفاليا الألمانية إن بعض التغيرات تطرأ على القوام في منتصف العمر، إذ يزداد الوزن من دون زيادة كمية الطعام.

وينصح الباحثون بممارسة تمارين تقوية العضلات مثل القرفصاء وتمارين الضغط ورياضات قوة التحمل، مثل المشي السريع والبطيء لمدة نصف ساعة يوميا.

وعزا المركز الألماني السبب في التغيرات إلى أن الجسم يبدأ في المرحلة العمرية من 30 إلى 35 سنة في هدم العضلات التي قليلا ما تستخدم، مما يتسبب في انخفاض الاحتياج للطاقة.

> الجسم يتغير في فترة منتصف العمر لأن هذه المرحلة تتميز بهدم العضلات التي قليلا ما تستخدم، مما يخفض الاحتياج للطاقة

وتجدر الإشارة إلى أن الكثيرين لا يقومون بتعويض ذلك من خلال إمداد الجسم بالمزيد من النشاط وزيادة الأنشطة الحركية، ومن ثم تتغير النسبة بين كتلتي الدهون والعضلات، وهو ما يظهر جليا في مرحلة انقطاع الطمث بالنسبة للنساء ويعمق أعراض هشاشة العظام.

وتحدث هشاشة العظام عند إنشاء العظم الجديد الذي لا يتماشى مع إزالة العظام القديمة، مما يتسبب في فقدان كثافة العظام مع مرور الوقت. والنساء خلال سن اليأس لديهن أعلى درجة من المخاطر.

ويذكر أن عضلات الرجلين هي أكبر العضلات حجما في الجسم. ومن المعروف أن الألياف العضلية تستهلك سعرات حرارية بشكل يومي.

وأثبتت الدراسات أن رطل العضلات يحرق من 50 إلى 70 سعرة حرارية يوميا و يرفع من عملية الأيض أو الحرق. وتؤدي زيادة حجم عضلات الأرجل إلى زيادة في حرق السعرات الحرارية بشكل يومي، الأمر الذي ينتج عنه حرق دهون الجسم كلها بشكل أسرع.

ويرى العلماء أن تمارين القرفصاء هي تمارين مركبة، بمعنى أن عضلات الجسم كلها، بما فيها عضلات الجسم العلوية تنقبض وتشتد وقت هذه التمارين. إذا إن زيادة الأوزان تؤدي إلى زيادة في حجم عضلات أخرى مساعدة، منها عضلة الصدر والساعد والبايسبس وعضلة القطنية.

وتستهلك حركات القرفصاء كميات كبيرة من الطاقة. مما يؤدي أيضا إلى حرق كميات كبيرة من السعرات الحرارية.

وأظهرت دراسة من نيوزلندا أن أداء تمرين القرفصاء يكون كالآتي: القيام بثلاث مجموعات بـ3 تكرارات مع أخذ 3 دقائق راحة بين المجموعات يليه على الفور أداء تمرين القرفصاء بالقفز. وهذا ما يكون سببا في زيادة أكبر لهرمون التيستوستيرون والكورتزول من أداء تمرين قوة أو تمرين طاقة لوحده. فلهذا أداء تمرين قوة متبوع بتمرين طاقه يزيد القوة.

النساء أكثر عرضة لزيادة الوزن عند انقطاع الطمث

العنف ضد المرأة يعيد إنتاج مكامن التمييز بين النساء والرجال

المرأة العربية تواجه العنف الجسدي والجنسي بالتكتم والسلبية

العنف الممارس ضد المرأة لم يعد من المواضيع المسكوت عنها لكن درجة الحساسية والحرج منه لدى الضحايا ما تزال مرتفعة خاصة في المجتمعات العربية حيث تجد المرأة نفسها متكتمة على ما تعرضت له إما مجبرة أو لأسباب نفسية. ويزداد منسوب السرية عندها إذا تعرضت لعنف الزوج وخاصة للعنف الجنسي. إلا أن الصمت في هذه الحالات يؤدي إلى نتائج عكسية ويشجع ممارس العنف على مواصلة ممارساته دون توجس من عواقبها، هذا ما لا تعيه النساء اللاتي يتعاملن مع العنف بالكتمان.

المرأة المعنفة تتعرض لأضرار نفسية وبدنية تؤثر في تربيتها لأبنائها

❑ **باريس** – تعرّف منظمة الأمم المتحدة العنف الممارس ضد المرأة بأنه: "أيّ فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجّح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية البدنية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة". هذه الأشكال من العنف وغيرها التي تستهدف النساء ما تزال مستشرية في جميع أنحاء العالم، وحسب آخر إحصائيات منظمة الصحة العالمية فإن حوالي ثلث النساء في العالم أي ما نسبته 30 بالمئة ممن عشن مع أزواج لهن تعرضن لعنف جسدي أو جنسي من جانب شركائهن.

وأوضحت كلوديا غارسيا مورينو المسؤولة في منظمة الصحة العالمية المكلفة بشؤون البحوث بشأن العنف ضد النساء، أن هذا الرقم يصل إلى 35 بالمئة إذا ما جرى الأخذ في الاعتبار الاعتداءات الممارسة على النساء من غير أزواجهن. وتتفاوت معدلات العنف حسب المناطق والدول ولعل أعلاها تهم الدول العربية والدول النامية.

كما أن 38 بالمئة من جرائم القتل في حق النساء في العالم مرتكبة من جانب الزوج. وتتعرض امرأة من كل ثلاث نساء في العالم للعنف خصوصا من الزوج، حسب ما أشار إليه أخصائيون خلال مؤتمر في العاصمة الفرنسية باريس بشأن "العنف والجنس حيث أكدت وزيرة الصحة الفرنسية في مداخلتها أن "أعمال العنف الممارسة ضد النساء والأطفال وبشكل خاص على الفتيات الصغيرات ليست كغيرها من أعمال العنف"، وأن هذه الممارسات "يجمعها هدف واحد ونتيجة واحدة وهي إعادة إنتاج مكامن التمييز بين النساء والرجال جيلا بعد جيل والإبقاء على خضوع المرأة والهيمنة الذكورية".

> الحل الأكثر جدية يتمثل في تغيير العقليات بالعمل على نشر الوعي والتحسيس بانعكاسات العنف السلبية على الفرد والمجموعة

وأفادت منظمة الصحة العالمية أن أعمال العنف "تؤججها النزاعات والأزمات الإنسانية" التي كان لها تداعيات مأساوية على الصحة العقلية والجسدية للضحايا.

لا توجد عصا سحرية لدحر العنف ضد النساء، لكن هناك أدلة بأن التغييرات في العقلية والسلوك ممكنة، وبالإمكان تحقيقها في غضون أقل من جيل هذا ما صرحت به شارلوت واتس، الأستاذة في معهد النظافة والطب المداري، في لندن. وفي هذا التصريح خلاصة للعديد من التوصيات أطلقتها منظمات دولية وجمعيات مدنية خاصة في الدول العربية التي يستشري فيها العنف الممارس ضد المرأة بجميع أنواعه.

ولم يعد أمرا خفيا ما تعانيه النساء في المجتمعات العربية من عنف يمارس عليها إما في نطاق الأسرة وفي أغلب الحالات من الزوج وأحيانا من الأب أو الأخ ومن أفراد المجتمع. بالإضافة إلى أن أوضاع المجتمعات العربية التي تعيش صراعات ونزاعات مسلحة مثل سوريا وليبيا والعراق واليمن وغيرها من دول ما أطلق عليه "الربيع العربي" مثل تونس ومصر عمقت معاناة المرأة من العنف.

وبات العنف يستهدف المرأة أكثر من غيرها بصعود تيارات الإسلام السياسي وبتنامي التطرف والتشدد الديني أصبح للرجل مبررات أكثر، تعلّق على شماعة الشريعة والدين، تتيح له أريحية أكثر في ممارسة سلطته على المرأة بممارسة العنف لكن هذا لا يشمل كل ممارسي العنف بل يتصل فقط بمن يتقبلون التفكير الديني المتطرف الذي يقدم لهم صورة مفادها أن الشريعة الإسلامية ترخص لهم ضرب وتعنيف زوجاتهم فتسوغه لنفوسهم على أنه ممارسة شرعية.

كما لا يبدو استضعاف المرأة في هذه المجتمعات جديدا بل إنه قديم متجدد يتراوح بين الشدة والضعف وفق السياق السياسي والاجتماعي في كل دولة. ورغم ما تدعيه الحكومات العربية من تقدم في مجال تحقيق المساواة بين الجنسين وتحقيق العدالة الاجتماعية من حيث تضمين حقوق المرأة في دساتيرها وتشريعاتها إلا أن الأرقام والإحصائيات تقدم صورة جد قاتمة حول أعداد النساء ضحايا العنف المادي واللامادي.

ورغم ما حققته هذه الدول من تقدم في مجال التعليم والانفتاح على الغرب إلا أنها لم تتخلص من هذا الفكر الذي يرى في المرأة كائنا ضعيفا ليس أمامه إلا أن يرضخ لما تسطره له السلطة الذكورية.

وبالإضافة إلى الدور الذي تلعبه الاضطرابات الأمنية والنزاعات المسلحة والتطرف والمجتمع الذكوري في تقاليده تجاه المرأة في ارتفاع نسب العنف الذي يسلط على المرأة يتفاقم الوضع بسبب نقص الوعي لدى جميع مكونات المجتمع عموما والمرأة خصوصا بانعكاسات هذا العنف على الضحية وعلى عائلتها وأبنائها وعلى مستقبل المجتمع ككل إلى جانب انعكاساته على اقتصاد الدولة لما يكلفه من تغطية صحية وغيرها من مصاريف لجبر الأضرار.

نقص الوعي أو غيابه أحيانا بخطورة تعنيف المرأة يدفع ممارسيه إلى التمادي لأن أغلب النساء العربيات المعنفات خاصة من قبل الزوج يجبرن أو يخترن الصمت وعدم الإفصاح على ما تلقينه من إهانة معنوية ومادية. هذا الصمت يتحول إلى حرص على حفظ السر إذا تعلق الأمر بعنف جنسي وذلك لاعتبارات كثيرة ومعقدة منها المراعاة أو الخوف من بقية أفراد العائلة وتجنب الفضيحة وخشية نظرة المجتمع لهن ولعائلتهن. وأحيانا التظاهر بالسعادة مع الزوج لإخفاء الحقيقة يكون الحل لترى المرأة نفسها في الصورة المرموقة التي تريد أن ينظر لها بها محيطها.

المرأة التي تواجه العنف بالصمت لا تعي أنها بهذا السلوك السلبي لا تجني على نفسها فقط بل إنها تجني أولا على أبنائها الذكور الذين تخلق لديهم الحياة في بيئة من العنف ورؤية أمّهم تعنف من الأب حتى لفظيا تجعلهم يكررون نفس السلوكيات في المستقبل وهو ما أثبتته العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية. كما تجني أكثر على بناتها اللاتي يختزنّ تفاعل الأم مع العنف ويصبحن في المستقبل قادرات على تقبل العنف والتعايش معه كأمر عادي وتتسم ردود فعلهن بالخضوع والصمت في محاولة للاقتداء بأمهاتهن وهذا أيضا مثبت علميا.

صمت المرأة وردة فعلها السلبية لا تضر فقط حياة الأسرة والمجتمع الراهن بل تمتد لصنع أجيال تكرر نفس السلوكيات وتنتج مجتمعات مختلة من حيث المساواة بين الجنسين وهو ما لا يفضي إلى تنمية مستدامة ولا يرتقي لا بالفرد ولا بالمجموعة.

لأجل ذلك يظل الحل الجذري قائما على تغيير العقليات بالعمل على نشر الوعي والتحسيس بانعكاسات العنف السلبية بجانب سنّ تشريعات ووضع سياسات تمكّن من التصدي للتمييز الممارس ضد المرأة ومن ردع العنف وتجريمه، وبدعم التعليم والتوعية حتى لا تنتج أجيال المستقبل معايير التمييز ضد المرأة واستضعافها وتتقبل ممارسة الرجل للعنف على أنه ممارسة لسلطته الشرعية.

التعليم.. حجر الأساس لقبول حقوق المرأة في المجتمعات العربية

يغير التعلم نظرة الإنسان لمحيطه بكل مكوناته ويتيح له امتلاك وسائل تحليل أكثر منطقية وأكثر عمقا مما لقنه له محيطه الضيق، وبالتعليم يمتلك الإنسان ثقافة تجعله قادرا على تحليل ونقد الموروثات الاجتماعية وهذا النقد يمكن أن يطال أكثر المجالات حساسية في المجتمعات العربية الإسلامية وهي تقبل الشخص المتعلم لنظريات حقوق المرأة التي تتبنى التعامل مع المرأة والرجل على حد السواء في شتى نواحي الحياة.

❑ **مسقط** – عندما يتعلم الإنسان ويتقدم في مستويات التعليم يمكن أن تتغير طرق تفكيره ومنها سلوكياته من خلال ما اكتسبه من معارف جعلته ينفتح على الرأي المخالف وعلى العالم المختلف عن عالمه. هذا ما يجعل المتعلم قادرا على نقد ومواجهة الأفكار والمسلمات التي ورثها عن أجداده وأحيانا يرفضها أو يعمل على تغييرها من هذا المنطلق يجد المثقفون أنفسهم في بعض المجتمعات المتشددة أو المنغلقة في مواجهة دائمة للأفكار الرجعية واللامنطقية التي تحاول هذه المجتمعات المحافظة عليها، وهذا ما ينطبق على نظرة المثقف والمتعلم العربي لمكانة وحقوق المرأة في مجتمعه.

صحة زاوية النظر هذه كشفتها دراسة ميدانية عمانية أظهرت وجود اتجاهات إيجابية لدى طلبة التعليم ما بعد الأساسي نحو حقوق المرأة واهتمام السلطنة بقضاياها وبكل ما يتعلق بشؤونها من رفع مستويات تعليمها وإدماجها في الحياة العامة وتشريكها في العمل للنهوض بالبلاد.

وأشارت الدراسة من خلال استطلاع اهتمام الطلبة بمعرفة حقوق المرأة وجوانب القوة والضعف لديهم كشريحة محددة لمستقبل المجتمع، إلى أن نتائجها تعد أحد المرتكزات لصانعي القرار في التنمية الشاملة لتفعيل دور المرأة وتمكينها في عملية التنمية، حيث أوصت بضرورة قياس درجة الوعي بحقوق المرأة من وجهة نظر الطلبة الجامعيين والعمل على تطبيق هذا النوع من البحوث على فئات أخرى من المجتمع في مراحل عمرية أكبر لتعزيز اتجاهات جيل المراهقين والشباب نحو حقوق المرأة.

وخرجت الدراسة بجملة من النتائج أهمها تأثر اتجاهات الطلبة إيجابيا نحو حقوق المرأة حسب الجنس وكانت الفروق لصالح الإناث كما ظهرت الفروق في المستوى التعليمي للوالدين ومدى تأثر الطلبة به وكانت الفروق لصالح المستوى التعليمي الجامعي عند الأب والأم الأمر الذي يثبت تأثير التعليم في تعديل شخصية الفرد وتغيير نظرته نحو حقوق المرأة بشكل أفضل.

ومن خلال تقصي الاتجاهات نحو حقوق المرأة لدى طلبة التعليم ما بعد الأساسي في مسألة التمييز ضد المرأة ومحاور حقوقها السياسية والمدنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية تهدف الدراسة لتحديد العوامل الأكثر تأثيرا في تلك الاتجاهات بغرض تقديم المقترحات التي من شأنها أن تسهم في رفع مستوى الإيمان بمبادئ حقوق المرأة في المجتمع العماني. وذلك في إطار تسهيل مهمة النهوض بها وتمكينها في كافة المجالات.

> اختبار توجهات الشباب في ما يخص التمييز بين الجنسين وتحديد درجة تقبلهم لحقوق المرأة ومواقفهم من انخراطها في التنمية يمكن أن يمثل منطلقا للاستراتيجيات التي تستهدف النهوض بها

وجاء اختيار طلبة مرحلة التعليم ما بعد الأساسي كعينة للدراسة لأهمية مرحلتهم العمرية التي تتشكل فيها اتجاهاتهم الفكرية ويتبلور فيها وعيهم بالحقوق والواجبات تجاه أنفسهم والآخرين. ومن الثابت أنه عندما ينمى وعي المراهقين إناثا وذكورا بحقوق المرأة فإن ذلك سوف يكون داعما قويا لتمكينها مستقبلا.

اختبار توجهات فئة الشباب فيما يخص التمييز بين الجنسين وتحديد درجة تقبلهم لحقوق المرأة وتحديد مواقفهم من انخراطها في التنمية المجتمعية والسياسية والاقتصادية من خلال العمل يمكن أن يمثل منطلقا للاستراتيجيات التي تستهدف النهوض بالمرأة إذ يتيح لراسمي هذه الاستراتيجيات تحديد أهدافهم منذ البدء على أساس النتائج التي توصلوا إليها ويكشف لهم طرق العمل نحو تعزيز وعي الشباب بأهمية تحقيق المساواة الفعلية بين المواطن والمواطنة العمانية بما يفتح أمامهما مجال التشارك والتعاون المثمر في سبيل الارتقاء بنفسهما وبالسلطنة.

وما توصلت إليه هذه الدراسة يفتح أمام المرأة العمانية باب التفاؤل بمستقبل أفضل يمكن أن تكون سباقة فيه من خلال عقلية شبابها المستنيرة لتحقيق أحلامها بالمساواة مع الرجل وبتفعيل ما كسبته من تشريعات وقوانين تقر بحقوقها مثل التعليم والصحة والعمل والانتخاب والترشح للانتخابات في المناصب السياسية.

ويظل الارتقاء بالمرأة رهين عقلية ووعي الأجيال الصاعدة ليس في سلطنة عمان فقط بل في بقية الدول العربية لأن جيل الشباب اليوم يعيش تمزقا بين الحداثة والرجعية إذ أصبح مهددا بالرجوع إلى الوراء بعد انتشاء الفكر المتطرف الذي بات يغزو عقولهم بأفكار ظلامية تعصف بما تلقوه من تعليم أحدث لديهم تطورا فكريا وجعلهم يدركون أن المرأة شريك فاعل في التنمية والرقي وأن لها ذات حقوق الرجل خاصة في سوق الشغل وفي المناصب الريادية والعليا في الدولة.

مكاسب المرأة العمانية يدعمها وعي الشباب بأهمية تمكينها في جميع المجالات

العزاب أكثر سعادة من المتزوجين

الارتباط العاطفي ليس معيارا ضروريا لسعادة الجميع

رغم الاعتقاد السائد بأن حال العزاب يثير الشفقة مقارنة بالمتزوجين، إلا أن دراسة حديثة أثبتت أن العزاب هم الأكثر سعادة وليس المتزوجين كما كان شائعا.

العزاب لا يعيشون خوفا من تدهور علاقتهم العاطفية مع الزمن

□ **ويلينغتون** – أكدت دراسة من جامعة أوكلاند في نيوزلاند، شملت أكثر من أربعة آلاف شخص تم استجوابهم مرتين، أن سر السعادة لدى العزاب هو شعورهم بالدفء والراحة، مقارنة بالمتزوجين الملقى على عاتقهم الكثير من المسؤوليات والأعباء وقيامهم بالكثير من الأعمال التي تؤدي إلى إجهاد أنفسهم.

وأشارت الدراسة إلى أن العزاب كي يحافظوا على سعادتهم، عليهم تفادي النزاعات والمشكلات التي تواجههم في العلاقات مع أقاربهم وأصدقائهم وشركائهم في العمل.

وقالت الدراسة إن العزاب يستطيعون هم أيضا الإحساس بالسعادة التي يشعر بها المرتبطون عاطفيا. وأوضحت أن المرتبطين عاطفيا تستهلكهم العلاقة العاطفية ولا يستطيعون بذل مجهودات كبيرة للحفاظ على روابط الصداقة وعلى حرارة العلاقة مع العائلة. إلا أن العزاب يتمتعون بوقت أكبر ويستطيعون الحصول على السعادة من خلال العائلة والأصدقاء.

كما أشارت إلى أن العزاب لا يعيشون خوفا من تدهور علاقتهم العاطفية مع الزمن. وهذا يخفف توترهم وقلقهم حيال المستقبل.

هذا إضافة إلى أن كل يوم يأتي بجديد، يستطيع العزاب اختيار أصدقاء أو أفراد بعينهم لقضاء الوقت معهم، وهذا يخفف من الملل الذي يصيب بعض العشاق.

وأكدت الدراسة أنه إذا كان الشخص يكره المشاكل مع الشريك فهو يعيش وضعا شبيها بوضع العزاب. وفي المقابل، يكون الأشخاص المتعودون على تقلبات العلاقات العاطفية أكثر سعادة من المرتبطين.

كما أشارت إلى أن بعض الأشخاص يعتبرون الارتباط مصدرا رئيسيا للتوتر، وهؤلاء يحسون بقلق أقل عندما يكونون عزابا، والأفضل بالنسبة لهم ألا ينخرطوا في علاقات عاطفية مستدامة.

> سر السعادة لدى العزاب هو شعورهم بالدفء والراحة، مقارنة بالمتزوجين الملقى على عاتقهم الكثير من المسؤوليات والأعباء وقيامهم بالكثير من الأعمال التي تؤدي إلى إجهاد أنفسهم

وقال جيمس مادوك، وهو باحث بارز في مركز للنهوض بالرفاه في جامعة جورج ميسون في فيرفاكس بولاية فرجينيا الأميركية، "أعتقد أن هذه الدراسة تؤكد على نقطة مهمة: الارتباط العاطفي ليس معيارا ضروريا لسعادة الجميع، هناك طرق كثيرة للإحساس بالسعادة".

وبين أن الأشخاص الذين لا يحبون المشاكل لا يجب أن يتركوا علاقة عاطفية واعدة بسبب كرههم للصراع والشجار، وأضاف "إذا أحسست أن العلاقة لن تنجح. آنذاك يمكن أن تغير وضعك. أنت غير مكبل في كل الأحوال".

ويذكر أن المجتمع الغربي تزداد فيه نسبة العزاب بشكل واضح، ففي الولايات المتحدة الأميركية ازدادات النسبة بين السكان البالغين سن الرشد لتصل إلى 128 مليون شخص، ما يشكل نسبة 51 بالمئة من إجمالي السكان البالغين.

وحول مدى صحة هذه الدراسة وتطبيقها عمليا، أوضحت الدكتورة المصرية فاطمة الشناوي خبيرة العلاقات الزوجية والأسرية والعلاج النفسي ، أن تحقيق السعادة لا يشترط كون الشخص أعزب أو متزوج، فلا يمكن أبدا تعميم القاعدة وقول أن العزاب أكثر سعادة من المتزوجين والعكس، فالمسألة هنا تتعلق بأمور ومقاييس عديدة، وغالباً ما تتمحور الفكرة في مدى رضا الفرد عن حياته سواء كان أعزب أو متزوجا.

وعن الزواج والحياة الزوجية، ترى الشناوي أنه على الرغم أن هناك كثيرا من المتزوجين الذين يستيقظون يوميا على شقاء وتعاسة، هناك أيضا من ينعمون بحياة زوجية سعيدة ومستقرة، موضحة أن الأمر يتوقف هنا على اعتبارات عديدة أولها شخصية الطرفين، فهناك كثير من المتزوجين الذين نجحوا في تحقيق سعادتهم الزوجية بأبسط الإمكانيات، لأن كل طرف في العلاقة الزوجية يعرف واجباته وحقوقه جيدا، واستطاعا معا أن يخلقا نقطة تفاهم واحترام متبادلة، فالتفاهم المتبادل هو أولى خطوات نجاح أي علاقة زوجية. كذلك استطاع كل طرف أن يضحي من أجل الآخر ويتنازل قليلا كي يرضي الآخر، ويعلم أنه لا يعيش وحده في المنزل وأنه في علاقة يأخذ فيها بقدر ما يعطي.

يشار إلى أن دراسة صينية أنجزت في وقت سابق كشفت أن للجينات الوراثية تأثيرا على العلاقات العاطفية وعلى حالة الإنسان وبقائه خلف سياج العزوبية أو دخوله قفص الزوجية. وأثبتت الدراسة أن تراجع عدد عقود الزواج وارتفاع حالات الطلاق سببهما ليس المشكلات الاجتماعية، بل المشاكل الصحية نظرا لوجود جينات تعمل على العزوف عن الارتباط.

وشملت الدراسة نحو ستمئة شخص، واكتشف الباحثون أن جينا أطلقوا عليه جين العزوبية يؤثر على العلاقات العاطفية، وهو مرتبط بمستوى هرمون السيروتونين في الدماغ، وهو هرمون يتحكم بسلوك الحب والميول العاطفية وله دور في التأثير على العلاقات العاطفية وبالتالي الزوجية.

ونبه الخبراء إلى عدم تعميم نتائج الدراسة على كافة الشرائح العمرية، حيث أنها أجريت على فئة معينة من طلاب الجامعات والبالغين الذين لا يعانون من قيود أسرية وضغوط اجتماعية.

ومن جهة أخرى كشفت دراسة بريطانية أن الزواج يجعل الناس أكثر عرضة للاكتئاب، وقال العلماء إن الشكاوى المتواصلة والمشاجرات الداخلية في المنزل هي محفزات كبيرة للإجهاد على المدى الطويل وتجعل الأزواج والزوجات أقل استجابة للتجارب الإيجابية في الزواج. على الرغم من أن أبحاثا سابقة كشفت أن المتزوجين بشكل عام أكثر سعادة وصحة من العزاب.

القسوة

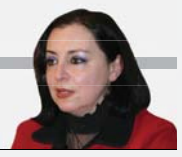

هيفاء بيطار

□ لطالما شغلتني حالة القسوة التي هيمنت على أرواح الناس، ولأنني في قلب الجحيم السوري وأشهد على نزيف أحبتي ودمار بيوتهم وآمالهم، فقد وجدتني أمام حالة خطيرة من تصحر المشاعر الإنسانية ومن أشكال مُروعة للقسوة التي لم أصدق يوما أنها ممكنة.

وكم أحس بالألم والخجل حين أتصفح ما يكتبه الأصدقاء على الفيسبوك، فأجد مثلا كتابة شفافة رقيقة تنضح ألما وشاعرية وأملا أيضا، لصديق وتحت كتابته مباشرة كتابة لا تقل عن الأولى رقة وشاعرية وتنضح بالمحبة والتعاطف مع المعذبين السوريين لصديق آخر، لكن ما لا يعرفه بقية الأصدقاء الفيسبوكيين أن هذين الصديقين المتنافسين في الكتابة الوجدانية الرقيقة والمُشبعة بالإنسانية، هما عدوان لدودان، حذف كل منهما الآخر وشطبه من صفحته وطرده من روحه، ولا يتمكن أي منهما من قراءة ما يكتبه الآخر، وربما من سخرية القدر أن كتابتهما متجاورة دوما.

ومن سخرية القدر أيضا أنهما إخوة. أتأمل تلك الحالة: أخوان من أم واحدة لم تتخيل يوما أن رحمها سينجب الأخوة الأعداء، يقطعان بكل قسوة حبال المحبة والأخوة والرقة والتسامي، ويعلنان القطيعة التي تستمر لسنوات، وكل منهما متألم، وكل منهما مُروع على نزيف شعب ودمار وطن، لكن كل منهما يكره الآخر كرها "رهيبا" كما لو أنه يتلذذ بالكره.

كنت أعتقد أن الألم يوحد الناس ويجعلهم أكثر رقة وتعاطفا في علاقاتهم مع بعضهم البعض، لكن للأسف ما ألاحظه هو العكس، يبدو أن الألم حين يصبح هائلا ويفوق قدرة الإنسان على التحمل يجعل الروح تجف وتيبس كغصن شجرة مقطوع من جذع الأم ومرمي بإهمال على الأرض حتى يجف ويموت كما يموت الآلاف من السوريين دون أن يرف جفن للعالم بأسره.

حالة الألم السوري والوضع المأساوي المديد والذي يبدو بلا نهاية، جعلا السوري في حالة من التوتر العظمى كما لو أنه وتر مشدود حتى نقطة الانقطاع، تكفي لمسة بسيطة كي ينقطع، ما عاد بمقدور أحد أن يتحمل آلام روحه فكيف عليه أن يتحمل آلام غيره؟ لكل إنسان طاقة محدودة على التحمل، وفي الحالة السورية، نفد الاحتياطي من الصبر لدى الناس، القلب ذاته أصبح صلبا من فرط الألم، ألم صاعق وحشي مستمر على مدى سنوات يحول القلب الدافئ اللين بالمحبة والحنان إلى كتلة صلبة متخشبة من القهر، وعاجزة عن الحب، ويبدو أن ليس القلب أو الدماغ يصابان بسكتة تجعلهما يتوقفان عن القيام بدورهما، بل إن الصداقات والعلاقات الإنسانية بين الإخوة والأصدقاء تُصاب أيضا بسكتة تجعلها تموت، وتجعل سنوات طويلة رائعة من المحبة والمشاركة والذكريات والعيش المشترك والأحلام وكل المناسبات، كل ذلك يُداس بوحشية من قبل الطرفين اللذين كانا مُقربين ومتحابين، يقتل كل متألم صديقه أو أخيه بوحشية ولا يكلف أحد من الطرفين نفسه لإقامة كفن لائق لتلك العلاقة الإنسانية الرائعة التي جمعتهما،

ولا يبالي أي من الأخوين أن الأم التي أنجبت أولادها تبكي دما على قسوة قلوبهم وعلى القطيعة التي حلت بينهما، تحس بالعار أن أولادها أصبحوا أعداء كل منهما يخون الآخر بسبب خلاف في رؤية المشهد الدامي في سوريا.

أنا أيضا أجد نفسي مذهولة وعاجزة عن تفسير حالات من موت بعض صداقاتي بالسكتة، سنوات من المحبة والمشاركة، وساعات لا متناهية من البوح وحديث الروح للروح والقلب للقلب، تُمحى بلحظة، كما نمحو كتابة عن سبورة. لا أبرئ نفسي ولا أدين الآخر، أنظر للحالة كموضوع يستحق التحليل والدراسة، لماذا تلك القسوة الوحشية التي صبغت حياتنا؟ لماذا صرنا لا نبالي بخسارة صداقات أو بذلك الجفاء المُخزي والقطيعة بين الأخوة؟ هل العلة تكمن فينا أم بذلك السرطان الذي أصاب أرواحنا وحول حريرها إلى فولاذ؟ لسنا نحن من يجب أن يُدان بل وحشية الألم الذي ينهش في أرواحنا وقلوبنا منذ سنوات، الألم حينما يزيد عن طاقة تحمل الإنسان يشوه الروح، أصبح كل سوري سجين قوقعة ألمه الذي لا يُطاق ويشعر أنه حين يلتقي أخيه كأنه يرى مأساته في وجه، أصبح الآخر يؤكد لي مأساتي وجحيمي لذلك أتجنبه، لذلك ربما أكرهه، لأنه لا يسمح لي أن أخدع نفسي وأخفف مصابي، إنه مرآة الحقيقة، حقيقة عيشنا الذي لا يشبه العيش بشيء، إنه حين أنظر في عينيه أرى الآلاف من الجثث المتراكمة، وهو بدوره يرى الآلاف من الجثث التي لا تزال دامية ومتراكمة في عينيّ، الألم هو المذنب الوحيد في تصحر العلاقات الإنسانية وليس نحن.

الألم الذي أفقدنا صوابنا وجعلنا نهذي من حمى الوجع والقتل الوحشي والصواريخ التي لم تدمر بيوتا وتقتل إخوتنا فقط، بل دمرت أرواحنا وطاقات الأمل وحب الحياة.

أصبح عيشنا تنويعات للمعاناة والموت. أصبح كل طلوع فجر أشبه بوعد مؤكد لجحيم مؤكد يتجدد كل يوم، نغفو على جحيم يوم مضى ونحن مدركين أن جحيما "جديدا" سوف يكون بانتظارنا ما إن نستيقظ.

وحده الألم الوحشي يجعل الناس قساة لأنه يُفقدهم حس التعاطف، لأنه يتركهم ضحايا على قارعة رصيف الحياة، مُروعين من القهر والظلم والقتل، يتأملون برحمة ما يهبط عليهم من السماء، ولكن السماء في سوريا لا تمطر سوى الصواريخ والبراميل المتفجرة، يتأملون رحمة من الأرض، لكن الأرض السورية مزدحمة بالجثث والسلاح، كيف يمكن لمشلول من الألم أن يساعد أخاه المشلول من الألم مثله على النهوض والمشي؟

الألم جفف الأرواح ومسح أي قدرة على التعاطف والرحمة والمحبة ولم يبق إلا القسوة التي هي تجلي الألم الخارق، لأنني واثقة أن هذه القسوة مجرد قشرة سميكة نخفي تحتها جرح أرواحنا النازفة التي لا مُعين لها. لم يعد بمقدور بشري أن يعين أخاه المبتلى مثله بوطن تحول إلى بركة دماء وساحة وغى.

ما القسوة إلا أعلى درجات الألم الإنساني حيث تذوب وتحترق كل المشاعر الإنسانية والمحبة والتعاطف والرقة في أتون الجحيم السوري. حين لا نعود إخوة في الإنسانية بل أخوة في اللاإنسانية والجحيم، عندها تحتل نفوسنا وقلوبنا القسوة ولا نكون سوى ضحايا.

طبق اليوم

المطبق بالبشاميل
من المطبخ السوري

* **المقادير:**
- 5 حبات بطاطا مقطعة دوائر
- 5 حبات باذنجان مقطع دوائر

* **للحشوة:**
- نصف كيلوغرام لحم مفروم
- بصلة مفرومة
- طماطم مفرومة
- فلفل مفروم
- 3 إلى 4 أكواب صلصة بشاميل
- جبنة موزاريلا، حسب الرغبة
- توابل، حسب الرغبة

* **طريقة الاعداد:**
- تقلى البطاطا والباذنجان ويوضعان جانبا.
- تفرم الطماطم والبصلة والفلفل ويضاف لها اللحم والتوابل.
- في طبق الطبخ توضع طبقة من البطاطا وطبقة من الباذنجان. يكور اللحم وتوضع فوقها بالتساوي.
- تسكب عليها صلصة البشاميل.
- تبرش جبنة الموزاريلا وترش على الوجه.
- توضع في الفرن نصف ساعة ثم تحمر من الوجه.

موضة

تصميمات رقيقة بألوان كلاسيكية

□ قدمت مصممة الأزياء اللبنانية ريم عكرا بلمساتها الأنيقة أحدث تصميماتها، أبرزت خلالها مجموعة مميزة في التصميمات والألوان لعام 2016.

مزجت ريم عكرا بين طابع الفساتين الكلاسيكية القديمة وتطريزات وألوان العام الجديد، فقدمت الفساتين المنفوشة ذات الطبقات بألوان غير تقليدية مثل الأحمر والفوشيا والأخضر والأزرق الزهري، كما قدمت التصميمات الرقيقة بألوان كلاسيك مثل الأسود والذهبي أو كلاهما معا.

وفيما يتعلق بالخامات المستخدمة قدمت الساتان مع الدانتيل والشيفون بمجموعة من الألوان الجريئة المبهجة مثل الأخضر والأصفر والأزرق والأحمر والبنفسجي والنبيتي والذهبي والأسود.

واهتمت المصممة اللبنانية في مجموعتها لعام 2016 بفخامة التصميمات التي اهتمت بتحديد الخصر والطابع الكلاسيكي إلى جانب الخامات الراقية التي استخدمت في تنفيذها.

نسر قرطاج ينير درب الخفافيش الأسبانية

أيمن عبدالنور.. تحد جديد لتونس والعرب بين أسوار حديقة فالنسيا

بدأ صخرة دفاع منتخب تونس أيمن عبدالنور يجني ثمار اجتهاده وتطوره في عالم المستديرة بعد أن تخطى صعوبات كبيرة في بداية مسيرته الاحترافية، التي انطلقت مع فريق النجم الساحلي التونسي وفيردر بريمن الألماني وتولوز الفرنسي ثم توجها باللعب في موناكو الفرنسي. لينطلق الآن برحلة جديدة في الدوري الأسباني من خلال انضمامه لنادي فالنسيا.

مراد بالحاج عمارة

□ عزز التونسي أيمن عبدالنور في الساعات الأخيرة من سوق الانتقالات الصيفية صفوف فالنسيا الأسباني، وتوصل النادي الأندلسي لاتفاق مع نادي الإمارة الفرنسية موناكو لضم المدافع التونسي 26 (عاما) بعقد يمتد لخمس سنوات حتى 30 يونيو 2020. واعتبرت رئيسة النادي، تشان لاي هون، في تصريحات إعلامية أن عبدالنور من أفضل المدافعين في أوروبا، وعبرت عن سعادتها بالتعاقد مع اللاعب. ولم يكشف الناديان عن قيمة الصفقة، لكن تقارير إعلامية عالمية أفادت بأن موناكو سيحصل على ثلاثين مليون يورو (نحو 33.5 مليون دولار) من وراء انتقال النجم التونسي. ويأتي ضم المدافع السابق للنجم الساحلي بعد تأهل فالنسيا لدور مجموعات بطولة دوري أبطال أوروبا بتخطيه موناكو بالذات في الدور الفاصل. وسيخلف عبدالنور في قلب دفاع فالنسيا، الأرجنتيني نيكولاس أوتاميندي المنتقل إلى مانشستر سيتي الإنكليزي قبل أيام.

وأكد النجم التونسي أن الانضمام للخفافيش يمثل تحديا جديدا بالنسبة إليه. وقال الأخير تعليقا على المفاوضات التي جرت مع النادي الأسباني "وكيل أعمالي تولى مسؤولية كافة التفاصيل، وكانت لدي عروض من الأندية الأسبانية وبعد رحيل أوتاميندي وجدت إدارة فالنسيا أنني الشخص المناسب كي أحل محله وفي النهاية اخترت اللعب لفالنسيا".

وأضاف الدولي التونسي "كل النجوم الكبرى في العالم تلعب في الدوري الأسباني وحصولي على هذه الفرصة يمثل تحديا حقيقيا بالنسبة إلي، والعمل والالتزام سيمكناني من الحصول على مكان في التشكيلة الأساسية".

وتابع عبدالنور "فالنسيا فريق كبير في أسبانيا وأوروبا لا شك في ذلك. أنا سعيد بالقدوم إلى أفضل بطولة في العالم". وأكد "سأعطي كل ما في وسعي حتى نقدم موسما رائعا مع زملائي الجدد. أعرف الفريق واللاعبين. العالم كله يعرف فالنسيا لأنه فريق كبير ويملك الكثير من الألقاب". وأوضحت رئيسة النادي "أيمن من أفضل المدافعين. أنا سعيدة لأنه أبدى اهتمامه والتزامه مع مشروعنا منذ البداية".

سلاح الصبر

تسلح أيمن عبدالنور بالصبر والتحدي لاقتحام كوكب الكرة العالمية من أوسع الأبواب. إذ لم تكن طريق ابن تونس إلى فالنسيا الأسباني، مفروشة بالورود، حيث كانت منعرجاتها كثيرة والعوائق فيها عديدة، بيد أن عبدالنور كوفئ في نهاية الطريق وتوج تضحياته بشق طريق العالمية. انطلقت مغامرة الفتى التونسي مع الكرة في بيته الأم، النجم الساحلي، الذي تعلم داخله أبجديات اللعبة، قبل أن تتاح له فرصة اقتحام الفريق الأول موسم 2007–2008، وهو في سن التاسعة عشرة. وسرعان ما فرض الظهير الأيسر نفسه سريعا في التشكيلة الأساسية بفضل عطائه الغزير ومواصفاته البدنية وانضباطه الكبير. بدأت جوهرة الدفاع الساحلية تستقطب أنظار الأندية الأوروبية بعد موسمين ونصف الموسم بزي النجم الساحلي، وكان فيردر بريمن سباقا في هذا الصدد، وقرر الظفر بخدمات المدافع الصلب في تجربة إعارة لمدة 6 أشهر مع خيار الشراء، بيد أن الأمور لم تسر كما يشتهي العملاق التونسي. ولم ينجح اللاعب في إقناع مدرب الفيردر وقتها، توماس شاف، بإمكانياته العريضة رغم بلوغه مع الفريق نهائي كأس ألمانيا في 2010 وخوضه 8 مباريات فقط في الدوري. كانت صفعة فيردر بريمن القاسية بمثابة الدرس المفيد والذي لا ينسى لعبدالنور، الذي قرر العودة إلى النجم مجددا في يونيو 2010. ولم تكن عودته لحضن أسرته عادية، حيث غلفتها أحاسيس الإحباط من تجربة احترافية أولى كانت دون المأمول، لذلك شحذ عبدالنور الهمم وحاول استعادة ثقته من جديد، وكان التغيير الجوهري في خطته الدفاعية، حيث أصبح يشغل خطة مدافع محوري بعد أن كان ظهيرا أيسر في السابق، خطة جديدة اكتشف معها الملاحظون مزايا ونقاط قوة جديدة في ابن تونس، لتعود اهتمامات الأندية الأوروبية بخدماته للظهور.

> ممثل كرة القدم العربية قد يختزل طريق النجاح والتألق في الليغا، وبالتالي المرور إلى مرحلة أبعد من بيت الخفافيش في مستقبل يعد بالكثير لأيقونة الدفاع العربية والأفريقية

محطة الاستقرار

كان عبدالنور على موعد مع تحد جديد اتجه به إلى الضفاف المقابلة من البحر الأبيض المتوسط، وتحديدا تولوز الفرنسي، الذي فاز بخدماته بعقد يمتد على أربعة مواسم انطلاقا من 8 يونيو 2011، وذلك بعد مردود خارق في صفوف النجم إثر تجربة بريمن القصيرة. تغير مدار عبدالنور على خط الاحتراف في تولوز، حيث استهل مشواره بقوة مقدما موسما جيدا تحت إمرة المدرب آلان كازانوفا، الذي كان له دور بارز في صقل مواهبه. أثار استقرار عبدالنور في مردوده وتداول اسمه في تشكيلة الأسبوع الفرنسية في عدة مناسبات واهتمام وسائل الإعلام به كنجم صاعد واختياره ضمن كوكبة أفضل لاعبي الدوري الفرنسي موسم 2011–2012 رفقة البلجيكي إدين هازار (لاعب ليل آنذاك) وأوليفييه جيرو والمغربي يونس بلهندة (كلاهما في مونبلييه آنذاك)، اهتمام عدد من الأندية الأوروبية الأعلى شأنا وقيمة من تولوز، على غرار عملاقي أسبانيا برشلونة وريال مدريد وكبيري إيطاليا ميلان ويوفنتوس وأثرياء روسيا ومنهم سبارتاك موسكو وأنجي ماخشكالا. ورغم أن نسر قرطاج كان مستعدا لتغيير وجهته نحو آفاق أرحب في الكرة العالمية، إلا أن انتقاله كان مفاجئا من حيث التوقيت، حيث اختار الساعات الأخيرة من الميركاتو الشتوي الموافق ليوم 31 يناير 2014 للإعلان عن انضمامه إلى عملاق الإمارة الفرنسية نادي موناكو.

لم تؤخر هيبة موناكو كفريق عظيم محليا وبإحداثيات ملكية، عبدالنور في التأقلم مع التحديات الجديدة لفريقه، حيث وجد نفسه في معترك أعرق مسابقة قارية، دوري أبطال أوروبا، ولأن كبار القوم يظهرون عند الشدائد، لعب المدافع التونسي دورا محوريا في تقديم موناكو لموسم أوروبي استثنائي، بلغ فيه محطة الدور ربع النهائي، قبل أن يرمي المنديل بكثير من سوء الحظ أمام وصيف البطل، يوفنتوس الإيطالي. موسم عبدالنور الكبير في موناكو، جعله أحدث أكثر حلقات مسلسل الميركاتو الصيفي الفرنسي إثارة على الإطلاق، حيث انهالت عليه العروض رفقة الشائعات، مع اقتراب إقفال باب الانتقالات. ولئن شاب هذا المسلسل الكثير من الغموض والمد والجزر، فإن النجم التونسي قرر أن يحط في أحضان فالنسيا الأسباني، مفضلا إياه على عدد من العروض العالمية الأخرى. ومن المتوقع أن يكسب عبدالنور ثقة المدرب البرتغالي نونو سبيريتو سانتو ومساعده الإنكليزي الخبير فيل نيفيل من أجل كسب الرهان وتقديم الإضافة لفريق الخفافيش التي تنتظره استحقاقات كبيرة على الصعيدين المحلي والقاري. وتبدو فرص التأقلم السريع متوفرة بقوة أمام النجم التونسي، الذي سيحمل الرقم 23، وهو ما يعني أن ممثل كرة القدم العربية والأفريقية قد يختزل طريق النجاح والتألق في الليغا، وبالتالي المرور إلى مرحلة أبعد من بيت الخفافيش في مستقبل يعد بالكثير لأيقونة الدفاع. وحظي أيمن عبدالنور باستقبال كبير من جماهير فالنسيا التي احتشدت في مدرجات "المستايا" بالإضافة إلى الجالية التونسية المقيمة في أسبانيا. وبات مدافع المنتخب التونسي، رابع أغلى لاعب في القارة السمراء، باعتباره احتل المركز الرابع في قائمة أغلى اللاعبين بأفريقيا، خلف الثنائي الإيفواري ويلفريد بوني وديدييه دروغبا، والغاني مايكل إيسيان.

مفخرة جديدة

لقد بات أيقونة الدفاع التونسية مفخرة جديدة لتونس والعرب في بيت عمالقة الليغا. وبالتالي عليه أن يعرف كيف يكسب الرهان ويتحمل ثقل المسؤولية التي أضحت ملقاة على عاتقه من أجل التمثيل الحسن لكرة القدم العربية والأفريقية في أقوى الدوريات العالمية. إن سبل النجاح متوفرة لابن قرطاج لكي يفرض نفسه بين عمالقة العالم لا سيما وأنه سيلعب منافسات أعرق المسابقات القارية من خلال دور مجموعات أبطال أوروبا. وهو ما سيجعله محط أنظار كبار القارة على غرار الأندية الإنكليزية والإيطالية.

إن طريق عبدالنور في مضمار الدوري الأسباني لن تكون مفروشة وروداً، سوف يجد عوائق عديدة منها سرعة التأقلم، وكذلك المنافسة الكبيرة من قبل نجوم النادي الأسباني، أيضا عامل العنصرية. لذلك لابد أن يضع ابن تونس كل هذه الاعتبارات نصب عينيه ويكتفي بالعمل والمثابرة قصد فرض نفسه وافتكاك مكانته خاصة وأنه يتوفر على كامل عناصر النجاح. ويتميز بعقلية احترافية قد تجعله من بين عمالقة اللعبة في قادم المشوار.

كان اختيار اللاعب التونسي لفريق فالنسيا دلالة جديدة على ما يتمتع به هذا النجم من ذكاء وفطنة باعتبار أنه كان يفضل تسلق سلم النجومية بتأن كبير بعد ما فضل فالنسيا الأسباني على بقية كبار العالم أمثال تشيلسي وأرسنال الإنكليزيين وعملاقي أسبانيا برشلونة وريال مدريد. وتأمل الجماهير العربية أن يسلك أيمن عبدالنور مسار النجاح في الدوري الأسباني على غرار ما يقدمه النجوم العرب والأفارقة في مختلف بطولات العالم، ليكون عبرة لبقية الأجيال التي تحمل المشعل لإنارة درب الكرة العربية والأفريقية الزاخرة بالمواهب لكنها في المقابل تفتقر إلى عقلية صحيحة تقودها لمحاكاة نظيرتها الأوروبية.

> المدافع التونسي أيمن عبدالنور سيخلف الأرجنتيني نيكولاس أوتاميندي المنتقل إلى مانشستر سيتي الإنكليزي قبل أيام، في قلب دفاع فالنسيا

مانشستر سيتي يفلت من كمين كريستال ويحرز العلامة الكاملة

البديل ستيفن نايسميث يعمق جراح تشيلسي بهاتريك تاريخي

صفعة جديدة يوجهها إيفرتون إلى تشيلسي

أفلت مانشستر سيتي من كمين مضيفه كريستال بالاس وحافظ على العلامة الكاملة في مسيرته بالموسم الحالي، من خلال الفوز الصعب والمتأخر 1/صفر على كريستال أمس السبت في المرحلة الخامسة من الدوري الإنكليزي، والتي شهدت أيضا فوز أرسنال 2/صفر على ستوك سيتي وهزيمة تشيلسي 3/1 أمام مضيفه إيفرتون.

❏ **لندن** - استفاد إيفرتون من إصابة لاعبه البوسني الشاب محمد بيسيتش في الدقائق الأولى من المباراة، ليسجل البديل ستيفن نايسميث ثلاثة أهداف (هاتريك) ويقود الفريق لفوز ثمين 3/1 على ضيفه تشيلسي أمس السبت، في افتتاح مباريات المرحلة الخامسة من الدوري الإنكليزي لكرة القدم، في حين فاز مانشستر سيتي على مضيفه كريستال بالاس 1/صفر.

وفي باقي المباريات التي أقيمت أمس بنفس المرحلة، تغلب نورويتش سيتي على بورنموث 3 /1 وواتفورد على سوانسي سيتي 1/صفر وتعادل ويست بروميتش ألبيون مع ساوثهمبتون سلبيا.

ويدين مانشستر سيتي بالفضل الكبير في الفوز الثمين إلى لاعبه النيجيري البديل كيليتشي إيهياناتشو الذي سجل الهدف الوحيد للمباراة في الدقيقة 90، بعد دقيقة واحدة من نزوله بديلا للإيفواري ويلفريد بوني. ورفع مانشستر سيتي رصيده إلى 15 نقطة في صدارة جدول المسابقة، بعدما حقق الفوز في جميع المباريات الخمس التي خاضها حتى الآن.

ووجه إيفرتون صفعة جديدة إلى تشيلسي الذي مني بالهزيمة الثانية على التوالي، وهي الثالثة في خمس مباريات خاضها الفريق حتى الآن في رحلة الدفاع عن لقبه بالبطولة.

وهذه هي المرة الثانية فقط التي يتعرض فيها تشيلسي لهزيمتين متتاليتين تحت قيادة البرتغالي جوزيه مورينيو، حيث كانت المرة السابقة في 2006، علما بأن الفريق مني بثلاث هزائم فقط طيلة منافسات الموسم الماضي.

وحقق إيفرتون واحدا من أهم الانتصارات في مسيرته ورفع رصيده إلى ثماني نقاط، ليقفز عدة مراكز إلى الأمام ويقتسم المركز الرابع مع ليستر سيتي مؤقتا، فيما تجمد رصيد تشيلسي عند أربع نقاط ليتراجع إلى المركز السادس عشر في جدول المسابقة.

وسجل نايسميث، الذي لعب بداية من الدقيقة التاسعة، أهدافه الثلاثة في الدقائق 17 و22 و82، فيما أحرز الصربي نيمانيا ماتيتش الهدف الوحيد لتشيلسي في الدقيقة 36.

وأصبح نايسميث أول لاعب في إيفرتون يسجل هاتريك في مرمى تشيلسي على مدار تاريخ مواجهات الفريقين.

وباغت إيفرتون ضيفه ببداية قوية، حيث وضح النشاط الهجومي في أداء إيفرتون منذ الدقيقة الأولى ليحاصر تشيلسي في نصف ملعبه خلال الربع ساعة الأولى، وإن غابت الخطورة عن هذه المحاولات الهجومية.

وتلقى إيفرتون صدمة مبكرة بإصابة لاعب الوسط البوسني محمد بيسيتش بعد خمس دقائق فقط من بداية اللقاء، وذلك خلال هجمة لإيفرتون من الناحية اليسرى والتحام قويّ من كورت زوما مدافع تشيلسي، وخرج بيسيتش في الدقيقة التاسعة وحل مكانه اللاعب ستيفن نايسميث. وقدم البديل نايسميث هدية ثمينة لفريقه في الدقيقة 17، عندما أحرز هدف التقدم إثر هجمة سريعة لإيفرتون وتمريرة عرضية لعبها بريندون جالويه من الناحية اليسرى وقابلها نايسميث بضربة رأس قاتلة لتذهب الكرة في سقف المرمى.

وبعدها بدقيقتين فقط، كاد إيفرتون يضيف الهدف الثاني إثر هجمة منظمة وتمريرة عرضية من الناحية اليمنى قابلها آرونا كونيه بضربة رأس رائعة، ولكن الحارس أسمير بيغوفيتش أنقذ تشيلسي وتصدى للكرة. وعاد نايسميث مجددا ليترجم الضغط المتواصل لإيفرتون إلى هدف ثان في الدقيقة 22، عندما سدد كرة قوية بيسراه من خارج منطقة الجزاء لتسكن المرمى على يسار الحارس بيغوفيتش الذي لم يستطع أن يفعل لها شيئا. وبعد عدة محاولات هجومية افتقدت للخطورة من الفريقين، أعاد ماتيتش فريق تشيلسي إلى المباراة من خلال تسديدة رائعة بيسراه من خارج منطقة الجزاء ذهبت على يمين الحارس تيم هاوارد لتسكن الشباك في الدقيقة 36، وتكون هدف تجديد الأمل لتشيلسي.

ومع بداية الشوط الثاني، حاول تشيلسي الضغط على مضيفه، لكن الفرصة الأولى الخطيرة كانت عبر هجمة مرتدة سريعة لإيفرتون في الدقيقة 49 اضطر معها الحارس بيغوفيتش للتقدم إلى حدود منطقة الجزاء وقطع الكرة ليفسد الهجمة، ورد زوما بتسديدة قوية من داخل منطقة الجزاء في الدقيقة 52، ولكن الحارس تصدى لها.

وتوالت الهجمات المتبادلة بين الفريقين في الدقائق التالية وسدد كونيه كرة قوية في الدقيقة 63، ولكن بيغوفيتش أمسكها بثبات.

وتصدى هاوارد ببراعة لكرة عرضية لعبها أزبيليكويتا في الدقيقة 64 وأخرجها للركنية، وسط محاولة من تشيلسي لتسجيل هدف التعادل. وسدد لوكاكو كرة قوية زاحفة من حدود منطقة الجزاء في الدقيقة 68 تصدى لها الحارس بيغوفيتش.

وجاءت الدقيقة 82 ليطلق نايسميث رصاصة الرحمة على فريق تشيلسي، عندما تلقى تمريرة بينية رائعة من روس باركلي إثر هجمة منظمة للفريق من الناحية اليمنى، حيث هيأ اللاعب الكرة لنفسه وسددها من زاوية صعبة إلى داخل المرمى.

وفي الدقائق الأخيرة من المباراة، حاول تشيلسي تقليص الفارق لحفظ ماء الوجه، ولكن محاولاته باءت بالفشل، لينتهي اللقاء بالفوز الكبير لإيفرتون.

أوديغارد الطفل في مملكة المظاليم

مراد البرهومي

❏ منذ حوالي سبعة أشهر نجح فلورينتو بيريز رئيس ريال مدريد في أن يسبق الجميع ويختطف "جوهرة" نرويجية مازالت في ريعان الشباب، أو لنقل "وردة" لم تتفتح بعد، لقد كان الريال صاحب السبق وفاز في "المزاد" الذي شارك فيه كبار الأندية الأوروبية مثل ليفربول وبايرن ميونيخ ومانشستر سيتي ومانشستر يونايتد، وضمن توقيع اللاعب النرويجي الفتي مارتن أوديغارد الذي لم يبلغ آنذاك سن السابعة عشرة.

إذن جاء أوديغارد وكان يمني النفس في أن يفتكّ مكانا ضمن كوكبة النجوم اللامعة في الفريق الملكي للعاصمة الأسبانية، بيد أن الفرصة لم تحن بسرعة، خاصة وأنه كان يدرك أن صغر سنه وتواضع خبرته وتجربته لا يخولان له دخول معترك المنافسة منذ الوهلة الأولى.

كانت البداية في مدريد أشبه بلاعب حديث النشأة وفي طور النمو، حيث اقتصرت تدريباته مع الفريق الأول على بعض الحصص التي تعد على أصابع اليد الواحدة، وظل دوما ضمن فريق الشباب في انتظار اكتمال مرحلة النضج والكمال.

مرت اليوم سبعة أشهر والفرصة لم تحن بعد، تغير الجهاز الفني برحيل الإيطالي كارلو أنشيلوتي وقدوم الأسباني رافاييل بينيتيز، والولد الصغير الذي كان يحلم بالنجومية والشهرة مازال يحلم إلى اليوم، حيث أنه لم ينل فرصته وبقي خارج أسوار القلعة البيضاء، بدأ الموسم الجديد وخاض الريال عددا من المباريات وأوديغارد لم يكسب تأييد الجهاز الفني الذي فضل أصحاب الخبرة والتجربة فيه على منح الثقة للاعبين الشبان.

وفي خضم حالة الانتظار هذه، تحدث البعض عن وجود رغبة غير معلنة من قبل بعض المؤثرين في الفريق الملكي بالتفريط في هذا اللاعب على سبيل الإعارة لموسم واحد، حتى يشتد عوده ويصبح جاهزا لخوض التحدي الكبير، بيد أن المدرب رافاييل نفى بشدة وجود نية لخروج هذا الطفل حاليا، مؤكدا أن الفرصة ستأتيه قريبا.

ومع ذلك، فربما ما يزيد في قلق هذا الفتى أن المعسكر المدريدي مليء بالنجوم واللاعبين الكبار، والأماكن غالية للغاية، إلى درجة أن لاعبين ممتازين لم يجدوا حظهم مع الفريق الأول، فما بالك بلاعب شاب لم يبلغ بعد سن السابعة عشرة؟

ألم يخرج عدد كبير من اللاعبين الدوليين من الشباك بسبب عدم وجود فرص للعب مثل هيغواين ودي ماريا وأوزيل وخضيرة؟ ألم يفشل عدد آخر خلال الموسمين الأخيرين في افتكاك مكان تحت دائرة الضوء مثل خيسي رودريغاز ويارامندي وكاسيميرو ولوكاس سيلفا؟

حالة القلق المتزايد لدى الفتى الذهبي للنرويج مردها أيضا أن الريال سُمّي لدى البعض "بالمقبرة"، فكم من نجم "هوى" في هذا النادي و"احترقت" أمانيه وغادر في صمت، والأكثر من هذا أن عددا كبيرا من اللاعبين لازموا دكة الاحتياطيين وظلموا كثيرا في الريال إلى درجة أنهم فضلوا الهروب من المملكة البيضاء، من أجل البحث عن فرص أكبر في فرق أخرى.

وبما أن جماهير "الميرنغي" ومعها الجهاز الفني والمسؤولين لا يعترفون إلا باللاعبين القادرين على الإبداع والخلق والابتكار والحصول على الألقاب والتتويجات، فإن فرصة قليل التجربة والخبرة أوديغارد في اللعب مع زمرة النجوم مازالت مؤجلة إلى موعد غير معلوم.

هذه الوضعية قد تدفع اللاعب بشكل غير علني للاعتراف ولو مؤقتا بأنه أخطأ الاختيار والعنوان، فالريال لا يصبر على اللاعبين كثيرا حتى وإن كان منافسا شرسا في البداية على التعاقد معهم، ربما كان يتعين على أوديغار اختيار فريق آخر يمنحه فرصة اللعب والبروز والتطور في كنف الهدوء، وهذا الحال قد ينطبق على فريق أرسنال الإنكليزي الذي لا يتورع مدربه أرسين فينغر عن الزج باللاعبين صغار السن في الفريق الأول.

الأمر ذاته قد ينطبق على ليفربول الذي عادة ما ينجح في ضم اللاعبين الشباب ويطور مواهبهم بشكل كبير، مثلما حدث مع النجم الإنكليزي رحيم ستيرلينغ الذي بلغ سريعا مرحلة النضج، وبات من أهم اللاعبين في الدوري الإنكليزي.

أما مع الريال فالوضع مختلف، إذ تبقى المملكة حكرا على "الأسياد" والنجوم، ولا مكان للاعبين الصغار والمظاليم، ففي القلعة البيضاء ستكون دكة البدلاء أو الفريق الثاني مكان اللاعبين من الصف الثاني.

في الختام، ربما يكون المستقبل باهرا أمام الشاب النرويجي أوديغار، وربما ينجح في ترك بصمته ويكون أفضل خليفة لرونالدو وبن زيمة وخايمس، لكن كان على صاحب السبعة عشر ربيعا أن يختار فريقا متوسطا لا تحكمه الأهواء والنجومية حتى يتمكن من تطوير موهبته، دون ضغط أو أضواء ساطعة تحرق أكثر مما تشع.

* كاتب صحفي تونسي

الصراع يتجدد بين فيدرر وديوكوفيتش

❏ **نيويورك** - يخوض لاعبا التنس السويسري روجيه فيدرر والصربي نوفاك ديوكوفيتش اليوم الأحد حلقة جديدة في مسلسل الصراع بينهما والممتد منذ سنوات، حيث يلتقي اللاعبان في المباراة النهائية لبطولة أميركا المفتوحة (فلاشينغ ميدوز)، بعدما شق كل منهما طريقه بنجاح إلى المباراة الحاسمة على لقب البطولة.

وتأهل فيدرر المصنف الثاني للبطولة إلى النهائي بعدما تغلب على مواطنه ستانيسلاس فافرينكا 6/4 و6/3 و6/1 مساء أمس الأول الجمعة (صباح أمس السبت بتوقيت غرينتش) في المربع الذهبي للبطولة.

ويخوض فيدرر نهائي البطولة الأميركية للمرة الأولى منذ ست سنوات، كما يسعى إلى الفوز بلقبها للمرة السادسة في مسيرته الرياضية حتى الآن، حيث توج باللقب سابقا في خمس نسخ متتالية من 2004 إلى 2008.

وكان آخر ألقاب فيدرر الـ17 في بطولات "غراند سلام" الأربع الكبرى، هو لقب بطولة ويمبلدون في 2012، مما يجعله حريصا بشدة على انتزاع لقب البطولة الحالية. ورغم بلوغه الرابعة والثلاثين من عمره، لا يزال فيدرر في أعلى مستوياته، حيث حقق الفوز الحادي والخمسين له، مقابل سبع هزائم في المباريات التي خاضها بالموسم الحالي حتى الآن.

ولحق فيدرر في النهائي بالصربي نوفاك ديوكوفيتش المصنف الأول عالميا والمصنف الأول للبطولة، بعدما تغلب ديوكوفيتش على الكرواتي مارين سيليتش حامل اللقب 6/ صفر و6/1 و6/2 في المباراة الأخرى بالمربع الذهبي.

وستتسم المباراة التي ستجمعهما اليوم بالطابع الثأري إلى حد كبير، في ظل خسارة فيدرر أمام ديوكوفيتش في نهائي بطولة إنكلترا المفتوحة (ويمبلدون) هذا الموسم، فيما فاز فيدرر على منافسه الصربي العنيد في نهائي بطولة سينسيناتي للأساتذة الشهر الماضي. وتتساوى كفة اللاعبين قبل مواجهة اليوم إلى حد كبير، حيث التقيا 41 مرة فكان الفوز من نصيب فيدرر في 21 منها، مقابل 20 انتصارا لديوكوفيتش.

نهائي فلاشينغ ميدوز يتسم بطابع ثأري

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

الصقور والشعر والبنادق تزين معرض أبوظبي للصيد والفروسية

يجلس سالم الكتبي وسط مجموعة من الإماراتيين بزيهم التقليدي، بينما يحتسون قهوة عربية داخل أحد الأركان المخصصة لبيع الصقور في معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية.

أحمد أبودوح

المعرض يقدم أجمل وأكبر الصقور

❏ **أبوظبي** – يشرح سالم الكتبي الذي يهوى تربية الصقور إلى جانب بيعها لهاوين مثله، لزبائنه في معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية مزايا أحد الصقور وعمره ولياقته الصحية، ومن ثمة سعر شرائه، بمعاونة مساعده سعيد.

ويقول سالم "كل من يهوى الصيد بالصقور له مزاجه الخاص، ولا يوجد نوع محدد من الصقور التي تحظى بإقبال أكثر من الأنواع الأخرى".

ويقام المعرض الدولي للصيد والفروسية، الذي أنهى فعالياته أمس، في إمارة أبوظبي على أساس سنوي. وهذا العام شهد إقبالا كبيرا وتنوعا في النشاطات المعروضة.

وحظيت الصقور بتنوعها باهتمام عدد كبير من الزوار الإماراتيين والخليجيين. ويشرح تجار الصقور لضيوف المعرض نشأة الصقر وتربيته على اقتناص الفرائس.

وقال سالم لـ"العرب" إن تربية الصقر "تشبه إلى حد كبير تربية طفل صغير، يحتاج هذا الطائر الذي يتسم بالحساسية الكبيرة إلى دبلوماسية في التعاطي معه".

وفترة أسبوع أو أسبوعين هي المدة التي يحتاجها الصقر كي يصبح قادرا على اقتفاء أثر الفريسة والانقضاض عليها بكفاءة، كما يقول سالم.

وبشكل خاص يبحث هواة الصيد بالصقور، الذي يمثل أحدة أعمدة التراث الإماراتي، عن نوع "بيور" وهو أحد أندر الأنواع وأكثرها تكلفة بين صقور الصيد.

واتسم هذا العام بارتفاع أسعار الصقور بشكل ملحوظ. وقال أشرف بنغالي أحد العاملين في تجارة الصقور لـ"العرب" إن السعر يتراوح بين 5 آلاف درهم (1360 دولارا) و60 ألف درهم (16300 دولار).

ونظّم نادي صقاري الإمارات مسابقة لأكبر وأجمل الصقور، وخلال الدورات الماضية نجحت المسابقة الموجهة لأصحاب مزارع إكثار الصقور في منطقة الخليج العربي، في تحفيز الصقارين على استخدام الصقور المهجنة كبديل مناسب في الصقارة والاستغناء عن استخدام صقور الوحش في البرية، بما يتيح لها فرص التكاثر بشكل أكبر.

وفي أركان المعرض لوحظت بشكل مكثف مظاهر التراث الشعبي الإماراتي، وتنتشر لوحات الصحراء والخيول والجمال التي تسير وسط النخيل ويعتليها رجال يرتدون غطاء الرأس والجلابيب البيضاء.

وقال فارس خلف المزروعي رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي إن "المعرض يخدم رؤية وإستراتيجية اللجنة في تعزيز قيم الولاء والانتماء ومشاعر الفخر عبر ممارسة التراث الإماراتي الأصيل وضمان استدامته".

وعلى مقربة من قاعة عرض الصقور الهجينة، تتناثر بنادق الصيد في صناديق زجاجية، وإلى جوارها أسلحة نارية مغطاة بنقوش تعكس البيئة الإماراتية التقليدية.

وغالبية هذه البنادق من إنتاج مجموعة أليتور، التي تملك شركة بلازا لتجارة الأسلحة، واستحوذت مؤخرا على شركة ريغبي الإنكليزية لصناعة البنادق.

وتعرض الشركتان أسلحة نارية من أعيرة متفاوتة من بينها 22 إل أر، و308 وين، 220 سويفت وغيرها.

وقال دارين هال، ممثل شركة بلازا لـ"العرب" إن الشركة حاولت هذا العام "منح مشاركتنا في المعرض طابعا خاصا من خلال مزج الأصالة الإماراتية بالتطور التكنولوجي لأدوات الصيد".

ووجه هال الأنظار إلى بندقية صيد حديثة نقش عليها من أحد الجوانب لوحة صغيرة تظهر مسجد الشيخ زايد الشهير في أبوظبي، وإلى جانبه أبراج الاتحاد التي ترمز للوحدة بين الإمارات السبع المكونة لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وعلى الجانب الآخر من البندقية نقشت القلعة القديمة في أبوظبي، ومن فوقها رأس كبيرة لصقر بجوارها رأس وعنق حصان، بينما يظهر أسفلهما رجل يرتدي الزي البدوي على ظهر جمل.

وضم المعرض، الذي أقيم لأول مرة عام 2003 سيارات صيد رباعية الدفع، ومراكب وأدوات الصيد البحري، كما نظمت لجنة المهرجانات والبرامج الثقافية في أبوظبي أمسيات شعرية عن التراث الإماراتي حضرها كتاب ومثقفون من الإمارات والعالم العربي.

وقال عبدالله بطي القبيسي، مدير المعرض، إن الحدث "اكتسب منذ انطلاقته الأولى في عام 2003 شهرة عالمية، وأصبح منافسا لأهم معارض العالم في مجال الصيد والتراث، وذلك عبر فعالياته العديدة وأنشطته المتميزة". وأضاف القبيسي الذي كان يجلس في وسط المجلس الرئيسي لجناح اللجنة المنظمة، أن المعرض بات "يشكل ملتقى لدعاة المحافظة على البيئة ولهواة الصيد وللشعراء والفنانين، مما يمنحه السمة الإقليمية والعالمية المتميزة في تعميق الوعي بالصيد المستدام وصون هذا الإرث التاريخي بكل خصائصه وفضائله وقيمه".

ونظمت وكالة الأنباء الفرنسية مع لجنة المهرجانات والبرامج الثقافية الإماراتية معرض صور تحت عنوان "الثابت والمتحوّل فوق الرمال". وقدّم المعرض مجموعة كبيرة من الصور التي حصدت في السابق جوائز هامة، وتعكس الحياة في دولة الإمارات وتراثها.

تونسيون يقرصنون التلفزيون المجري للصحفية المعتدية على المهاجرين

❏ **بودابست** – قالت قناة تلفزيونية في المجر كانت تعمل فيها مصورة ركلت وعرقلت مهاجرين يهربون من الشرطة هذا الأسبوع، إن موقعها على الإنترنت توقف يوم الجمعة ملقية باللوم على متسللين في هذا العطل.

وكتبت بيترا لازلو التي استجوبتها الشرطة للاشتباه في ارتكابها سلوكا غير منضبط بركل وعرقلة لاجئين بمخيم في جنوب المجر، في وقت سابق رسالة مفتوحة أعربت فيها عن ندمها "للسلوك المدفوع بالفزع".

وكتبت قناة (إن.1 تي.في) والمعروفة أيضا باسم تلفزيون نيمزيتي بصفحتها على فيسبوك، إن متسللين استخدموا عنوان إنترنت تركيا محوا محتوى موقعها بالكامل، بما في ذلك أرشيف المحطة ومراسلاتها. وقال سزابولكس كيسبرك رئيس تحرير القناة إن جماعة تونسية تسمى "الفلاقة" تبنت عملية القرصنة. وارتبط اسم مجموعة تطلق على نفسها "فرقة الفلاقة"، لديها حساب على تويتر، بهجمات معلوماتية في السابق.

وفصلت المصورة التلفزيونية يوم الثلاثاء من قناة الأخبار اليمينية، بعد انتشار تسجيلات فيديو لأفعالها في وسائل الإعلام وعلى الإنترنت. وخلا موقع القناة على الإنترنت بعد ظهر الجمعة من أي شيء سوى شعار ورسالة باللغتين المجرية والإنكليزية.

نعومي واتس تشارك بفيلمين في مهرجان تورنتو الأربعين

❏ **مونتريال** – بعد أن افتتحت نعومي واتس (46 عاما) الخميس 17 سبتمبر الجاري، الدورة الأربعين من مهرجان تورنتو السينمائي، وذلك من خلال مشاركتها في بطولة فيلم "ديموليشن" لجان مارك فاليه إلى جانب جايك غيلنهال.

ستطل النجمة البريطانية أيضا على جمهورها في نفس المهرجان بفيلم ثان، هو "أباوت راي" عن كفاح مراهقة لتصبح ذكرا من بطولة سوزن ساراندون ووايل فانينغ وناعومي واتس طبعا.

ونفس الشيء ينسحب على جوليان مور (54 عاما) التي فازت هذه السنة بـ"أوسكار" أفضل ممثلة، فهي ستحضر المهرجان لتقديم فيلم "فريهلد" الذي تؤدي فيه دور شرطية مصابة بالسرطان تسعى إلى ضمان حقوق شريكتها إيلين بايج، كما تقوم أيضا ببطولة فيلم "ماغيز بلان" لريبيكا ميلر.

ويروي فيلم "ديموليشن" الذي افتتح دورة هذا العام التي تمتد إلى الـ26 من نفس الشهر، قصة ديفيس ميتشل (الذي يقوم بتجسيده الممثل جايك غيلنهال)، وهو مسؤول ناجح في مصرف استثماري يغرق في دوامة اليأس بعد وفاة زوجته، لكنه يتغلب على يأسه إثر تعرفه على امرأة تؤدي دورها نعومي واتس.

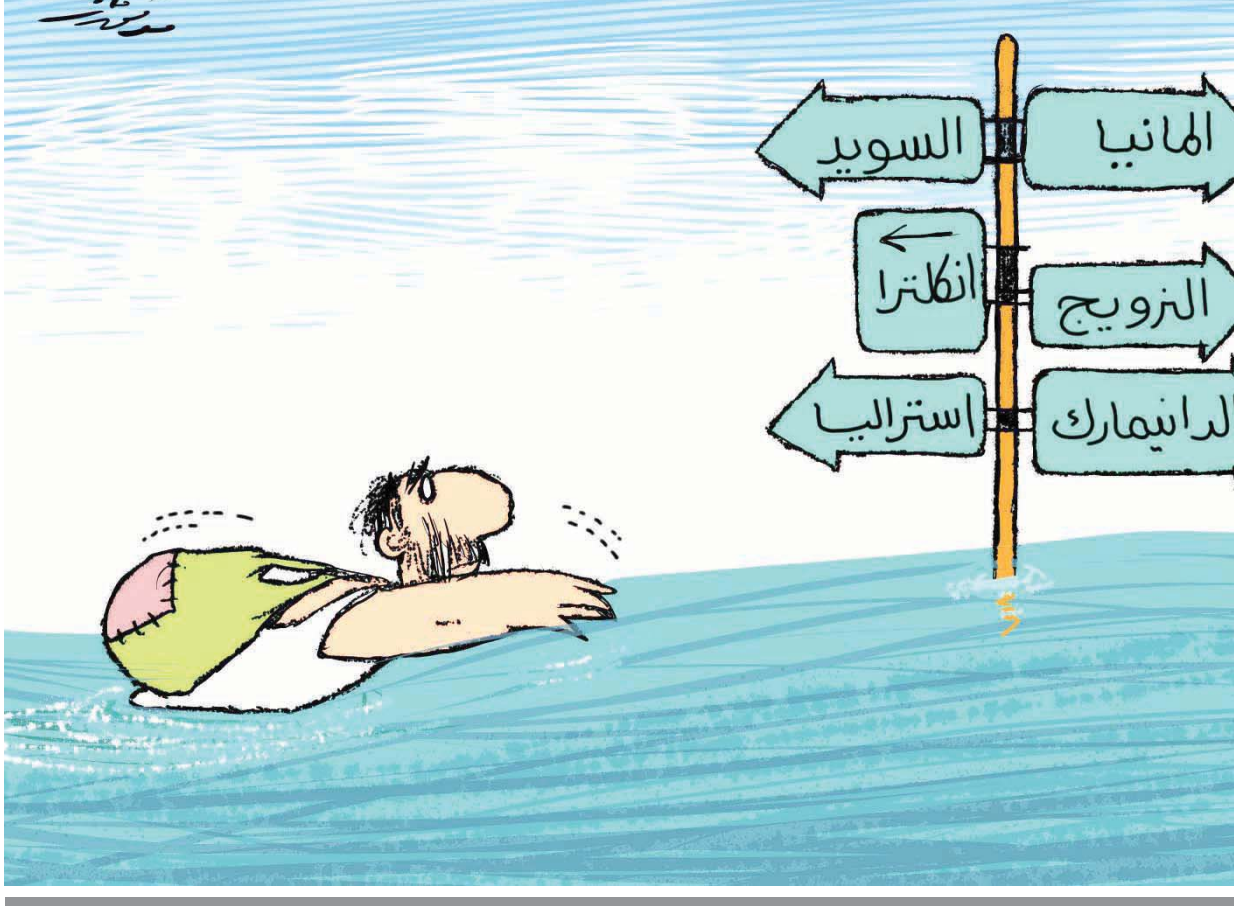

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

أبي يدخن الحشيش

❏ صديقي إبراهيم مهندس ورجل أعمال، لفّ العالم كله، لكنه يعشق الإسكندرية، يمتلك شاليها وفيلا في أرقى منتجع بعروس البحر الأبيض في مراسي..

عيبه الوحيد أنه يدخن الحشيش بعد الغروب أمام البحر، هو يزعم أنه يحفز الإبداع ويحرّك الخيال ويشعل المواهب، يتناول العشاء في السابعة والنصف مساء يوميا، ولا يأكل أيّ شيء بعدها، فقط ثلاث سجائر من الدخان الأزرق.

يأوي إلى فراشه في الحادية عشرة تماما بعد الاستماع للموسيقى الكلاسيك، تصميماته للفيلات والكومباوندات جعلته من أشهر المبدعين في فن المعمار، ليس له مغامرات نسائية، حياته منحصرة في زوجته وولديه. صحيح أنهم لا يرونه طوال العام، إلاّ في شهر الصيف بالإسكندرية. لكنه يعوضهم بالهدايا وسفريات اليوم الواحد ومباريات البلاي ستيشن، أو هكذا يعتقد.

رغم الحياة الرغيدة التي تعيشها هذه العائلة، إلاّ أن الأولاد خصوصا ابنه الأصغر (8 سنوات)، لا يشعرون بأنه يتصرف معهم مثل باقي الآباء.

فهم يريدونه أن يذهب لمدارسهم ليحضرهم للمنزل بدلا من السائق، ويحضر اجتماعات مجلس الآباء بدلا من والدتهم، ويسأل المدرّسين عن أحوالهم المدرسية بنفسه، والابن الأصغر يرى أنه لا يلعب معه، ويريده أن يتبارى مع الأطفال الآخرين في كرة الشاطئ كما يفعل بقية الآباء. المهمّ أنه قبل انتهاء إجازاتهم في أغسطس، قرّر إبراهيم أن يغادر الإسكندرية ليلا بعد أن تحسّن الطريق الصحراوي، وأصبح مضاء كأنه في عزّ النهار، أراد الاستمتاع بآخر نفس من سجائره التي يدخّنها بعد العشاء.

وعلى سبيل الاحتياط قال لزوجته ضعي هذه القطعة في حقيبة يدك، لأن الكمائن الليلية توقف السيارات -حتى الفارهة منها- للتأكد من هوية سائقيها وعدم شربهم للكحوليات أو المخدرات.

وقام صديقي بغسل فمه بمعطر نفاذ، ولفّ قطعة الحشيش الصغيرة بورق سوليفان حتى لا تصدر عنها أيّ رائحة، حدث ما توقعه، أوقفهما كمين في الطريق، خفض إبراهيم زجاج السيارة وحيا الضابط الذي ابتسم قائلا توصل بالسلامة يا فندم.

فإذا بالصغير من الخلف يصيح بالضابط "عمو بابا معاه حشيش ووضعه في حقيبة ماما"، ولحسن حظ إبراهيم ابتسم الضابط، وقال للصغير: يا حبيبي متتفرجش على أفلام عربي كتير..

تنفس إبراهيم الصعداء، ونظر لابنه شذرا، وخافت زوجته أن يضربه، وطلبت منه الترفق به، فأجابها إبراهيم: منذ متى وأنا أضربهم!، وسأله: لماذا فعلت ذلك يا حبيبي إنت عايز بابا يروح السجن؟

رد الصبي: لا.. بس أنت لا توافق أن تذهب معي للمراجيح أو "الزحليقة" كما يفعل الآباء الآخرون.

ابتسم إبراهيم وقال: خلاص يا حبيبي، كل يوم مراجيح أرحم من 6 أشهر سجن!